عَدَدٌ مِنَ المؤلِّفين

«١٣» مسرحيَّة عالميَّة

الجزءُ الثَّاني

تـرجـمـة
عَبُّود كاسُوحة

منشــورات وزارة الثقــافة
في الجمهورية العربية السورية
دمـشـق ١٩٩٨

العنوان الأصلي للكتاب :

Treize Pièces de Théâtre:

Sartre, Anouilh, Cocteau et autres.

١٣ مسرحية عالمية = Treize Pièces de théâtre
/ عدد من المؤلفين؛ ترجمة عبود كاسوحة . - دمشق: وزارة
الثقافة، ١٩٩٨ . - ٢ج؛ ٢٠سم . - (مسرحيات عالمية؛ ٥٠).

١- ٨٢٢ر٨٠٨ ك١ س ث ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- كاسوحة ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٦٧٤ / ٤ / ١٩٩٨

مسرحيات عالمية
« ٥٠ »

العنوان الأصلي للمسرحية :

Jean Anouille
Cécile
ou
L'Ecole des Pères

جان أنُوْيْ

المسرحية الخامسة

سيسيل أو مدرسة الآباء

مسرحية ذات فصل واحد

إذا عالجتَ موضوعاً وأنتَ تتلاعبُ به، فإنّك تبدعُ عالماً من التقاليد والرُّقّيّات، وتنسجِ من حوله إكليلاً من مفاتن الحرّيّة والإبداع. أما العمل المسرحي الحافل بالتلاعب فيشبه حركة مقطوعة موسيقيّة.

جان أنُوْيْ

شخصيات المسرحية:

السيد أورلا

سيسيل، ابنته

أرامَنْت، قيّمة على شؤون سيسيل

الفارس

السيد داميان، والد أرامنت

خَدَم، سيّافة

عُرضت مسرحية «سيسيل أو مدرسة الآباء» لأوّل مرة في ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٥٤ على مسرح «كوميدي الشانزيليزيه» (باريس) من إخراج رولان بيتيري. وقد أعدّ الديكور والملابس ج. د. مالكيس. أدّى هنري غيزول دور (السيد أورلا)، وكاترين لوكوي دور (أرامنت) وكليمان تييري (الفارس) وكاترين أنوي دور (سيسيل) وموريس ميريك دور (السيد داميان) وروجيه لوران وغي ديكو (سيّافة).

حديقة من أحواض شجر البرتقال. المنزل قائم ناحية اليسار، ويقوم ناحية اليمين جناح صيني صغير.

يظهر السيد أورلا على خشبة المسرح، جالساً في الجناح، وأرامَنْت واقفة بالقرب منه. الملابس من زيّ بور جوازية لويس الخامس عشر أو لويس السادس عشر، وطرازها مغلوط قدر الإمكان.

السيد أورلا: أنا قلق جداً، يا أرامنت. لأنني أعتقد جازماً، أنّك أكثر فتوّة وأشدّ فتنة من أن تقدري على الاهتمام بابنتي.

أرامنت: كنّا أربع مرشحّات لمنصب القيّمة هذا. وكانت الثلاث الأخريات مسنّات أو غاية في الدمامة. فلمَ وقع اختيارك عليّ، يا سيدي؟

السيد أورلا: لأنك فتيّة وجميلة حصراً. لكنّني أخاف أحياناً أن أكون قد اخترتكِ لنفسي. لقد بدا لي أنّ وجود امرأة شديدة البشاعة على مائدتي كل يوم، شيء يفوق طاقتي. إلا أنّي أخشى أن أكون أباً طالحاً. كان عليّ أن أوكل أمر سيسيل إلى غول عجوز، وأن أحتملها أنا

نفسي بكل رباطة جأش. كما كان بوسعي أن أتناول وجباتي على حدة أو أقرأ بعض الدوريّات على المائدة.

أرامنت: لكنّك طلبت إليّ، في جملة ما طلبت، أن أعلّم الآنسة سيسيل أنّ القراءة أثناء الطعام أمر غير لائق على الإطلاق.

السيد أورلا: لقد ارتكبتُ حماقة! فأنتِ وهي، أولاً، من سنٍّ واحدة.

أرامنت: الآنسة سيسيل في السابعة عشرة أما أنا، فعمّا قريب أبلغ الثالثة والعشرين.

السيد أورلا: ذلك سيّان.

أرامنت: إسمح لي بأن أعارضك، يا سيدي. فلديّ الإحساس بأنّي تعلّمت أشياء كثيرة في خمسة أعوام. وعلى رأسها الحذَر من الرجال.

السيد أورلا (بغتة): لماذا تقولين ذلك لي؟

أرامنت: من أجل أن أجيب على ما يثير فيك القلق. فأنا قادرة حقاً علي حماية الآنسة سيسيل، التي يمكن لشبابها ونقص الخبرة لديها الإنسياق بها نحو الوقوع في غواية الكلام المعسول. فعليك أن تعترف يا سيدي بأنّي لا أنساق للحكايا.

السيد أورلا: إنّي لأتساءل: لمَ تتفننين في إزعاجي، يا أرامنت؟

أرامنت: وهل تفوّهتُ بكلام مزعج؟

السيد أورلا: «إنّي لا أنساق للحكايا» ما معنى ذلك؟ هل يعني أنّي أحاول خداعك؟ هذه الصورة البيانية التي تقولها المراهقات الصغيرات كانت على الدوام كلاماً غير مفهوم بالنسبة لي. هل أسمعتك شيئاً من معسول الكلام؟ يا للمعضلة الصعبة! أنت لم تعودي صغيرة. فعمرك ثلاثة وعشرون عاماً. وأنا رجل كان الحبّ شغلي الشاغل على الدوام. ورغم أني والد سيسيل، فأنا لم أتخطّ مرحلة العشق ولله الحمد! فهل تحسبين العيش على صلة وثيقة مع فتاة رائعة، بالأمر الهيّن؟ أنت تجلسين كل يوم في مواجهتي على المائدة، وتبتسمين لي بينما تكون سيسيل شاردة الذهن في مكان ما. . . . وفي المساء نصعد نحن الثلاثة إلى الطابق العلوي حيث تقع حجرة نومك على خطوتين من حجرتي. أنا أحمق. كان ينبغي أن أختار غولاً.

أرامنت: ما زال أمامكَ متّسع من الوقت.

السيد أورلا: المتّسع متوفّر على الدوام لنكون تعساء بلا قيمة.

ولا أقصد ما ستعانيه سيسيل من أسىً، لا سيّما أنها أضحت شديدة التعلّق بك. لكنّ حياتي الخاصّة ستغدو كئيبةً تماماً. سوف أعجّل في تناول وجباتي لكي أُقصّر العذاب، وسوف تنتابني آلام المعدة مما يؤدي دوماً إلى حدّة في المزاج. ولن أقوى من ناحية أخرى على تحمّل فكرة وجودك في منزل آخر، حيث ستكونين فريسة يطمع فيها الرجال. فأنت ما زلت طفلة. لا تنسي أن عمرك ثلاثة وعشرون عاماً! ماذا تعرفين عن الحياة، يا عزيزتي؟ أنت لقيت هنا رجلاً حسن التهذيب، يكِنُّ لك احتراماً. لكن اقصدي البارون واعملي عنده موجّهة لابنته على نحو ما عُرض عليك مؤخراً، كما علمت، وأراهن على أنه لن ينتظر يومين حتى يأتي ليطرق باب حجرتك.

أرامنت: لا بدّ لي من الاعتراف بفضلك، يا سيدي، فقد انتظرت أنتَ أسبوعاً بحاله قبل أن تفعل ذلك.

السيد أورلا: أنا رجل حسن التهذيب. وأنتِ على كلّ حال لم تفتحي لي.

أرامنت: كذلك لن أفتح للبارون إذا ما شاء سوء طالعي أن أفقد ثقتك وأتوجّه للعمل عنده.

السيد أورلا: لا أحسبك تعقدين مقارنة بيني وبين ذلك البارون؟

أرامنت: أعتقد أني سمعت أنّكما كنتما معاً من تلامذة الآباء وأنّكما ترِبْان بفارق عامٍ ليس إلاّ.

السيد أورلا: إجل، إلاّ أنّ عبء السنين ظاهر عليه هو. لكن، لندع هذه المسألة جانباً. لو أنّي لم أبْدِ اهتماماً بك على هذا النحو أو ذاك - وأقول هذا عن خبرة بالتناقضات النسائيّة - لانتابك الغيظ من أوّل وهلة.

(يقف وقد بدا منشغل البال)

إنّي قلق جداً، يا أرامنت، فهذا الفارس الشاب يتردّد على منزلنا كثيراً.

أرامنت: إنه يهوى الآنسة سيسيل. والآنسة سيسيل تهواه.

السيد أورلا: أيّة خبرة يملكون وهم في هذه السن؟ فهذا الشاب، أولاً، ليس ذا مكانة. فوالده في شيء من العسر وهو لا يزال ينوء تحت عبء الولدين الأكبرين. ولن يقدر أن يؤمّن له مكانة لائقة، حتى لو جعل من بناته الثلاث راهبات. قد يتوصّل إلى أن يجعل منه أحد فرسان مالطة، إذا ما توفي عمّه الأكبر في الوقت المناسب. هذا كل ما يستطيع أن يأمله. يتبيّن إذاً أنّ زواجه ليس مطروحاً على بساط البحث في كافة الأحوال. وينبغي أن تنتهي علاقتهما الوديّة!

أرامنت : سوف يتقابلان خفية .

السيد أورلا : اللعنة على إبليس . أيصحُّ هذا الكلام لي ، يا آنسة؟ سوف تكونين هناك لتحولي دون ذلك .

أرامنت : يظلّ الأمر فوق طاقتي ، حتى لو أدرت ذلك فغرامهما سيقهر كل العوائق . ولن أقبل بذلك ، يا سيدي . فأنا لا أحتمل رؤية أحد يعاني من الهوى .

السيد أورلا : آه ، حقاً؟ إذا ما منعتُ هذا الغرّ من رؤية سيسيل فلن تقوي على احتمال عذابه ، أمّا صنوف العذاب التي أعاني منها منذ ستة أشهر ، والتي أضنتني وأنا مسمّر عند بابك ، فأنت تحتملينها على خير ما يرام؟

أرامنت : هل تحسب يا سيدي ، أنّي ، لو فتحت لك ، أظلّ جديرة بنيل ثقتك حيال الآنسة سيسيل؟

السيد أورلا : لا تشوّشي السؤال . فأنا أطلب إليك ، بكلّ تأكيد ، أن تكوني حازمة تجاه سيسيل التي لا تزال طفلة ، لكن . . .

أرامنت : نحن من نفس السنّ .

السيد أورلا : اللعنة على إبليس ! أنت في الثالثة والعشرين ! أما هي ففي السابعة عشرة . وفي خمسة أعوام يتوفّر للفتاة الوقت الكافي لتتعلّم معرفة العالم ، والحكم على صفة

رجل ما وصدق إحساس ما. أنا لا أفهمك، يا أرامنت. ولكن لا يسعك أن لا ترى أنّي عاشق مولّه بحبك.

أرامنت: لا أعتقد، في واقع الأمر، أنّ بوسع المرء أن لا يرى ذلك يا سيدي. فأنت تتحاشى كلّ تحفّظ ممكن. وعليّ أن أظهر مهارة فائقة كي لا تلحظ الآنسة سيسيل ذلك. وإذا لم تكفّ عن محاولاتك لمسَ ركبتي من تحت المائدة، فإنت ستلمس ذات يوم ركبتها هي.

السيد أورلا: لا يمكن لملاطفة وديّة من والدها أن تثير دهشة هذه الطفلة. فأنا أُقَبِّلُها مئة مرة في اليوم.

أرامنت: أما إذا خامرها الشك في أن تلك الملاطفة الوديّة موجّهة نحو ركبة أخرى، فإنّي أخشى أن يؤدي ذلك إلى جرح مشاعرها. وعلى نحو أكثر خطورة من نظرتك إلى الأمور باستخفاف، يا سيدي.

السيد أورلا (يغمغم حالماً بعض الشيء): نظرتي باستخفاف... نظرتي... (ثم يسأل بغتة بنبرة مغايرة).

أنا، في نظرك إذاً، أب طالح، يا أرامنت؟ إنّ هذا ليحزّ في نفسي...

أرامنت: أنت ترغب في أن تكون خير أب في الدنيا، يا سيدي. لكني أظن أن من واجبي العمل على الأقل لتحقيق هذه الرغبة من بين رغباتك. لذا تراني أبتعد بركبتي إلى تحت مقعدي في جلسة غير مريحة على الإطلاق؛ أؤكد لك ذلك. كما إني أصم أذني فلا أسمعك البتة وأنت تخدش في الليل بابي.

السيد أورلا (يقترب قائلاً بشيء من الخسة): وماذا لو وضعت سيسيل في الدير (في دير كثير المباهج، كأنها تمضي إجازتها الصيفية إلى حد ما) أو ماذا لو أرسلتها لتمضي بعض الوقت عند عمتها الراهبة؟ ستجد هناك عدداً من أبناء عمومتها لتسليتها. . .

أرامنت: لن تقسو عليها بتحميلها عذاب فراق فارسها الصغير؟ ومن جهة أخرى، فإنه لا يبقى لي من مكان في هذا البيت، في حال غياب الآنسة سيسيل. فأنا أتولى حمايتها، يا سيدي، لكنها هي أيضاً تقوم بحمايتي. ولا يسعنا أن نفترق إحدانا عن الأخرى وسط المخاطر التي تتهددنا.

السيد أورلا (يتأوه): الحياة هوة من التناقضات، يا أرامنت! أنا ذاهب إلى مكتبي للتفكر في ذلك كله. إذ لا يسعني

الاعتقاد بأن ليس من حلّ للتوفيق ما بين الواجب والسعادة.

أرامنت: أعتقد أنّ هذا هو الشاغل الأكبر للناس مذ أن خرجوا من مغاورهم ليحاولوا العيش في مجتمع. ولم يبتكروا غير الزواج، كمحاولة توفيق مؤقّتة، بين هذين المفهومين.

السيد أورلا: مؤقّتة جداً، يا أرامنت. وعليك أن تصدّقي رجلاً حاول المغامرة. أما النتيجة من بعد، فتشبه حال تلك التجارب الكيميائية التي يستمتع بها جارنا فولتير. فالخليط يغلي في البداية. ثم ما تلبث السعادة الخفيفة أن تتبخّر ولا يبقى في الحوجلة إلاّ حصى الواجب والرواسب الغليظة الرمادية.

(ثم يسأل باهتمام)

هل سيأتي الفارس اليوم أيضاً؟

أرامنت: على نحو ما هي الحال بعد ظهر كل يوم.

السيد أورلا: لا تدعيهما وحدهما دقيقة واحدة! فما أن تديري ظهرك حتى يباشر أمثال هؤلاء الأطفال المداعبة والعناق.

أرامنت: هذا أمر طبيعي في سنّهم.

السيد أورلا (بشيء من الجفاء): وهذا من طبيعة سنّي أيضاً. إلا أنّي أستغني عنه.

(يهمّ بالخروج ثم يغيّر رأيه فيتوجّه نحوها)

المسألة، يا أرامنت في غاية القسوة. دعيني أحتويك بين ذراعيّ مرة واحدة؟

أرامنت (وهي تصدّه بحزم وتقول مبتسمة): كلاّ، يا سيدي. ولا مرّة أبداً.

السيد أورلا (خارجاً ساخطاً): كوني عديمة الرحمة حيالهما. حتى كرسيّاهما لا ينبغي أن يتلامسا! وحتى لو تناولا طعاماً خفيفاً، عليك مراقبة الغطاء. فمن السهولة بمكان مدّ الساق من تحت المائدة. هاك! علّمي ابنتي كيف ينبغي الجلوس على الكرسي بشكل لا يتيح لركبة أحد أن تطالها!

أرامنت (تبتسم): أخشى ألا يكون هذا التمرين الرياضي أقلّ ضرورة بالنسبة لها من ضرورته لي أنا.

السيد أورلا (يخرج متأوّهاً): أنا رجل تعيس جداً، يا أرامنت.

(يدخل الفارس)

الفارس: يا أرامنت!

أرامنت: سيدي؟

الفارس: هل تعتقدين أنّي وصلت مبكّراً جداً؟

أرامنت: أنت دائماً تصل مبكراً جداً، يا سيدي الفارس. فنحن خارجون لتونّا من على المائدة.

الفارس: ومع ذلك فقد انتظرت ساعة بطولها في الشارع قبل أن أُعْلِمَ بوصولي. يا له من وقت ضائع، يا أرامنت! من الواضح أنّك لم تقعي في الهوى قط. إيه، يا أرامنت، يوم تصيرين في مثل سنّي...

أرامنت: أخشى ألا يقع لي ذلك أبداً من بعد، يا سيدي.

الفارس (متعجّباً): أن تقعي في الهوى أو أن يقع أحد في هواك، وأنت على ما أنت عليه من جمال؟

(يمسك بيديها ويقبّلهما)

أرامنت (تسحب يديها وتقول ضاحكة): كلا، يا سيدي، بل أن أصير في مثل سنّك. فتلك مغامرة قد عرفتها قبل ثلاثة أعوام. ويقولون إنّها لا تتجدّد أبداً.

الفارس: إنّه لشيء رهيب أن يبلغ المرء العشرين من عمره. ومنذ ثلاثة أيام، يا أرامنت.

أرامنت: سوف ترى أنّنا نألف ذلك. لكن لا يكاد المرء يألفه حتى يرى نفسه وقد تجاوزه.

الفارس: سأغدو مسنّاً، عمّا قريب، يا أرامنت، وأنا لم أعش حياتي بعد. قلت إنّك بلغت سنّك هذا من غير أن تحبّي. ألا يَعْتَصِرُ قلبكِ أن تتبدّدَ حياتك سدى؟

أرامنت: إن شئت الحقيقة، يا سيدي الفارس، فإنّ الأمل ما يزال يراودني.

الفارس: الحقّ معك. لأنّ ما أنت عليه من جمال يجعل المجال فسيحاً أمامك. أتعلمين أني لو لم أكن أهوى سيسيل لقتلني الشوق إلى تقبيل يديك. هل أجرح شعورك وأنا أخاطبك دونما كلفة؟ أنت شقيقتي.

أرامنت: خاطبني دونما كلفة إن كان ذلك يروق لك، لكن أرجوك ألا ترفع الكلفة بينك وبين يديّ.

الفارس (على نحو مباغت): أتعرفين أنّي على حافة اليأس، يا أرامنت؟

أرامنت: هذه قصّة جديدة! أَمَثْلُكَ يوم أمس؟

الفارس: لا بل أكثر بكثير. فصباح اليوم دخلت في جدال عاصف مع والدي. وقد حرّم عليّ رؤية سيسيل. وانتزع منّي قسماً على أن أطأ عتبة هذه الدار لآخر مرة.

أرامنت: وأنت، هل أقسمت؟

الفارس: تعرّضت لكافة أشكال الضغط الفكريّة حتى أُرْغِمْتُ على ذلك في النهاية.

أرامنت: إنّه لإنسان عديم الفؤاد!

الفارس: أعتقد اعتقاداً جازماً أنّه يفتقر للمال. وثروة سيسيل ضئيلة. (إني لا أعرف مِن مخلوقات خارقة تشبه الآباء يا أرامنت. فبينما لم أنل أنا قبلة واحدة من سيسيل، إذ تمكن هو من الحصول على المعلومات الأكثردقّة حول ثروتها، وذلك عن طريق الكاتب بالعدل الذي يتعامل معه السيد أورلا). وهو يقول إنّه لا يريد إلا إسعادي، وأنا أصدّقه، لكن عليه أولاً أو يزوّج أخويّ: لن أحصل أنا على شيء. ولديّ الخيارُ بينَ أحد أمرين. إمّا أن أنتظر موت عمي لأصير من رتبة فرسان مالطة، وفي ذلك استبعاد لسيسيل لأنّ الرتبة تتطلّب العزوبة - وإمّا أن أتزوّج جراباً من الريالات[1]، وفي ذلك أيضاً استبعاد لسيسيل.

أرامنت: وهل عثر عليه؟

الفارس: على من؟

أرامنت: على جراب الريالات؟

الفارس: أجل. إنّه ضخم. أما هي فهزيلة، ودميمة إلى حدّ يثير الفزع. وفوق كل ذلك مسنّة. إنّها فتاة تناهز الخامسة والعشرين.

---

(١) كناية عن وريثة غنيّة. (م)

أرامنت: بعد عامين أغدو إذن مسنّة! لستَ مستلطفاً على الإطلاق، يا سيّدي الفارس. . .

الفارس (يقبل يديها): أنتِ لم تفهميني. فلو تعلّق الأمر بك، يا أرامنت، لما كان للسنّ من قيمة تذكر.

(يتوقّف)

كلا، انظري، حتى لو تعلّق الأمر بك، فأنا أحب سيسيل. . . إلا أنّي أحب تقبيل يديك. لكن قولي، وأنت قد خبرت الحياة، هل تعتقدين أنّ كلّ شيء يبقى على الدوام مشوّشاً هكذا داخل القلب؟

أرامنت: دائماً.

الفارس: إلا أنّك لن تفارقينا، إذا ما تزوجتُ سيسيل! فأنت، إجمالاً، شقيقة لها، وأريد أن أتزوّجك أيضاً - كشقيقة.

أرامنت (ضاحكة): تريد يدسيسيل ويديّ أنا من حين لآخر، أليس كذلك؟ أرى ياسيدي الفارس، أنّك تصرّف أمورك الصغيرة على خير ما يرام، مع أنك لم تبلغ العشرين إلا منذ ثلاثة أيام. إلاّ أنّي أتوقّع رحيلك من غير هاتين اليدين ولا تلك. فكيف تريد أن تتزوج سيسيل إذا كان ما لديها ضئيل وأنتَ لا تملك شيئاً على الإطلاق؟

الفارس: آه؟ أنا لم أقل لك بعد. لقد عزمت على أمر.

أرامنت: هات ما عندك.

الفارس: سوف أختطفها في هذا المساء. وأنا مرغم على ذلك من أجل أن أظل أراها، لا سيّما أنّي أقسمت على عدم الرجوع إلى هنا. سوف أختطفها وإيّاك بكل تأكيد.

أرامنت: ما كان عليّ أن أبوح لك بهذا: إني أعتقد أن سيسيل حمقاء إذ قبلت بأن تتبعك. لكنّي مستعدة لمنعها من ذلك.

الفارس: وهل يطاوعك قلبك على أن تمنعينا من تبادل الحب؟

أرامنت: أجل، يطاوعني على منعك من ارتكاب حماقة. هل فكرت فقط في تبعات ما عقدت العزم عليه؟

الفارس: التبعات أمرها هيّن جداً. فطراز الآباء الشائع منذ أيام روسّو، هو والحمد لله، طراز المتسامحين. فينبغي بعد أن نتزوج، يا أرامنت، أن نتقدّم لمراضاتهم مراعاة للأصول، ولا يبقى عليهم بعدئذ إلاّ أن يمنحونا بركتهم.

أرامنت: قد يوافقون على منحكم البركة، فذلك لن يكلّفهم شيئاً. أما أن يمنحوكم المال فأمر مستعبد لا محالة.

الفارس: ألا تعتقدين أنّ بوسع أبي أن يمدّ لي يد المعونة، إذا ما جعل شقيقاتي الثلاث راهبات؟

أرامنت: لا أعرف شيئاً عن أحوال أبيك المالية، لكنّي ألاحظ أنّك تقرّر من غير مشقّة مصير شقيقاتك!

الفارس: أفٍ، يا أرامنت، إنّهن دميمات. ولن يجدن أزواجاً أكثر تساهلاً من يسوع المسيح أبداً. ناهيك بأن حياتهن ستكون مضمونة إلى الأبد. فالحياة هناك على الأرض تجري بسرعة خاطفة! وها أنت تقرّين بنفسك. فقبل ثلاثة أعوام فقط كنتِ في العشرين، وقد غدوتِ الآن زاهدة. وإذا ما نذرناهنّ للسماء فإنّا نجعلهنّ يتفادين الكثير من الحوادث المريرة ومن إغراءات الوقوع في الخطيئة. ناهيك بأني أحبّ سيسيل حباً جمّاً!

أرامنت (تضع إصبعها على صدره): يبدو لي أنّ هذا القلب الصغير الجميل بحلّته القشيبة، والذي يدقّ ويخفق خفقاناً شديداً، لا يعدو كونه، يا سيدي الفارس، حجراً صغيراً جميلاً.

الفارس: لا تخطئي، فأنا حسّاس جداً. وأسكب في بعض المرات سيولاً من الدموع. لكن ليس بوسعنا أن نبكي من أجل الجميع. فهذا يفوق قوانا البشرية. ولا بدّ من الاختيار.

أرامنت: فلندع قضية شقيقاتك جانباً. لأنّك لن تعاني منها إلا تعب الفكر. لكنّي واثقة من أن السيد والدك لن يطاوعه

قلبه على التضحية بالثلاث، حتى ولو أرغمته الظروف على أن يزوّجك سيسيل. عليك إذاً أن تقدّر تبعات عملك. فهل يسعك أن تعيش فقيراً؟

الفارس: ماذا تقصدين بذلك، يا أرامنت؟ سوف أتمكّن من أن أشتري بزّة جديدة من حين إلى حين، أنّى كانت الظروف؟

أرامنت: أجل. ومهما تكن موارد السيد أورلا ضئيلة، فأنا على ثقة من أنه لن يدعكما، أنت وسيسيل، محرومين من الملابس المزركشة. إلا أنّك فتى وسيم، يا سيدي الفارس، ومن أسرة عريقة جداً. ألم تحلم بأن يُقام لك حفل زواج مهيب؟ وأن يتاح لك دخول البلاط، والمشاركة في الحفلات، ونيل حظوة الملك، وأن تنعم يوماً بمنصب قياديّ رفيع؟

الفارس (متعجباً بأسى): تخيّلي أنّي لا أحلم إلاّ بذلك مذ أن بلغت الخامسة عشرة! لكنّني أهوى سيسيل. أنت قاسية القلب، يا أرامنت، لمَ تلهين بتحريك النّصل داخل جرحي؟

أرامنت: كيما أرى إن كنت سأقدر أنا على أن أمنحك موافقتي.

الفارس : إنّي لأضحّي بأثمن شيء في الدنيا مقابل أن أكون على فرس في مقدّمة جنودي ونشنّ الهجوم! إيه رائحة البارود وبريقَ النصال تحت الشمس، وكأسَ الحِمام! . . . يا لها من حياة رائعة!

أرامنت : إيّاك، والحال هذه يا فارسي الصغير، أن تحمل سيسيل رديفة. فالفارس لا يجيد الهجوم على الأعداء والمرأة التي يهواها خلف ظهره. لا تنكّس رأسك هكذا. بل انظر إليّ.

(ترفع رأسه فيمسك بيديها ويقبّلهما)

الفارس : آه من يديك، من يديك! إنّي هائم بيديك، يا أرامنت.

أرامنت : أنت هائم بيديّ، وهائم بشنّ هجوم، وهائم بسيسيل، وأخشى أن تكون في نهاية الأمر هائماً بنفسك فقط. إنّي أرفض منحك موافقتي، يا سيّدي. لن تخطف تلميذتي.

الفارس : هل فكّرتِ فيما تقولينه، يا أرامنت؟ عندها سأقتل نفسي.

أرامنت : خنصري يشير عليّ بالرفض.

الفارس : وأنتِ تصدقينه؟ دعيني أراه عسى أن أقنعه.

(يمسك بخنصرها ويقبّله . يدخل السيد أورلا)

السيد أورلا : أيّها الفارس .

الفارس (يحيّيه) : هات يديك ، أقبّلهما . يا سيدي .

السيد أورلا : تقبّلُ يديّ أنا أيضاً؟ هل ترى المسألة طبيعية ، أيّها الفارس؟ فأنا لا أفتح من باب في هذا البيت إلاّ وقع نظري عليك وأنت منهمك بتقبيل أحدهم .

الفارس : كنت أقدّم تحيّتي لأرامنت .

السيد أورلا : وبعد قليل تقدِّم تحيّتك لابنتي . أنت فتىً تقدّم التحيّات على نحو فائض جداً ، أيها الفارس . وشؤوني أنا ترغمني على الخروج من بيتي والعودة إليه بكثرة . فعليك أن تتصرّف من الآن فصاعداً على نحو يمكّنني من فتح الأبواب دون وجل .

الفارس (وهو ينحني بوقار) : أعدك بأن أحرص على ذلك ، يا سيّدي .

(السيد أورلا يخرج)

هل تحدّثتُ إليه بما يكفي من الاحترام؟ يبدو لي أنّي تصرفت حياله على خير ما ينبغي .

أرامنت : على أحسن ما يرام . إلاّ أنه وجدك تقبّل يدي الفتاة التي يغازلها ، هذا فيما أنت قد عقدت العزم على خطف ابنته مساء اليوم .

الفارس : ماذا تقولين؟ السيد أورلا يغازلُكِ؟ أنا لا أقوى على احتمال ذلك!

أرامنت : حقّاً؟ وبأية صفة؟

الفارس : ألم أقل لكِ؟ أنتِ شقيقتي. سأمضي لمقابلته على الفور وأطلب منه تفسيراً لسلوكه. إعلمي، يا أرامنت أنّي لا أسمح لأحد بأن يزعجك!

أرامنت : من قال لك بادئ ذي بدء إنه يزعجني؟ أمّا أن تطلبَ منه تفسيراً لسلوكه، فعليك الانتظار حتى يوم غد. وما دام سيأتي ليطلب منك تفسيراً لسلوكك، فيمكن الاكتفاء بتبرير واحد.

الفارس : إنّ الانتظار حتى غد لحماقة، فسوف تكون له اليد العليا، وأكون أنا بطبيعة الحال قد فقدت نصف مبرّراتي. إنّي ذاهب إليه من فوري!

أرامنت (توقفه) **:** وماذا لو منعتك أنا من الذهاب إليه؟

الفارس : أنت تطربين إذاً لتمهيداته؟ إنه رجل ناهز الأربعين، وقد أضحت إحدى رجليه في القبر؟ إنّك تذهلينني، يا أرامنت. أنتِ لا تجيدين قراءة ما يعتمل في قلبك. لا يمكن لك أن تهوَيْ هذا العجوز!

أرامنت : من قال لك إنني أهواه؟

الفارس: إنك تهوينني أنا، يا أرامنت، مثل أخيك. لأنني أحب سيسيل. إنما تهوينني أنا.

أرامنت: وهذه الآن حكاية جديدة!

(تدخل سيسيل وقد احمرّ وجهها غضباً)

سيسيل: يا سيّد، مضت ساعة وأنا أنتظرك في المكان المتّفق عليه. أنا أعلم أنك قد حضرت منذ وقت طويل: لقد سمعت جرس المدخل الخارجي. وها أنت منهمك بالحديث مع أرامنت!

الفارس (يُقْبِلُ نحوها)**:** سيسيل، يا حبيبتي، إنّي أضع معها اللمسات الأخيرة استعداداً لهذا المساء. لقد أرغمني والدي على القسم أن لا أعود إلى هنا بعد اليوم. والأمور تجري متدافعة: ولا بدّ من أن أخطفك مع حلول الظلام.

سيسيل: يا سيّد، إذا لم تكن عندك لهفة لتراني حين تأتي إلى هنا، فكيف ستكون عليه الحال بعد أن نتزوج وتصير قادراً على رؤيتي في كل ساعة؟ لا بدّ لي من إطالة التفكّر في الأمر، ولم أعد أعرف إن كنتُ سأدعك تخطفني.

الفارس (يتقدم ليمسك بيديها قائلاً)**:** سيسيل، يا حبيتي!

سيسيل : كلا ، يا سيد . فهذه الكلمات التي تُجيدُ التفوّه بها ، قُلْها لغيري . وابحث عن أيادٍ أخرى وقبّلها ، يا سيّد .

الفارس : هذه خيانة شائنة . من الذي تجرّأ فأخبرك بذلك؟ إنّه أبوك ، أليس كذلك؟

سيسيل : لم يقع نظري على أبي ، من بعد الغداء ولم يقل لي شيئاً البتّة . لكنّي وقد بتّ أعرف الرجال منذ زمن طويل ، فهمتُ كل شيء وأنا أنتظرك .

الفارس : من هو ذلك الدنيء الذي تصرّف بوضاعة فنقل ذلك إليك ، يا سيسيل؟ صحيح أنّي قبّلت يديْ أرامنت ، بيد أنّي كنت أشكرها ، وقد قبلتْ أن تمدّ يد المساعدة لحبّنا . . .

سيسيل : ماذا قلت أيها السيد؟ وهل أصدق أذنيّ؟ لقد قبّلتَ يديْ أرامنت؟ الحقيقة أن الذهول يستولي عليّ! . . .

الفارس : لكنّك قلتِ لتوّك إنهم قالوا لك إنهم قد شاهدوني!

سيسيل : قلت لكَ إنه ما من أحد قال لي شيئاً قط ، أيها السيد! بل أنت رغبت في أن تأخذ على عاتقك مهمّة إعلامي بذلك ، وهذا على الأقل دليل على استقامتك . هيّا . سأظلّ أمحضك الودّ، على اعترافك هذا ، رغم قسوته ، بعد أن فقدتَ حبّي . وداعاً ، أيهاالسيد . تمسَّكْ

بالعهد الذي قطعته على نفسك حيال السيد والدك. ولا تأتِ أبداً من بعد.

(تخرج)

الفارس (يرتمي على قدمي أرامنت): يا أرامنت، سألفظ أنفاسي في هذه اللحظة على مرأى منك. إلحقي بها، قولي لها إنّي أحبّها، قولي لها إنّي لا أهواكِ أنتِ. صحيح أنّ يديك عذبتا المذاق تحت شفتيّ، إلا أنّها متعة آنية. أما أن تشيح سيسيل بوجهها، فسوف يعمّ الظلام هذه الحديقة! أسرعي، أفهميها أنّي لا أهوى سواها، يا أرامنت، وأنا أقسم لك على أنّي سأحبُّك أبداً!

أرامنت: طيّب، يا سيّدي. الوقت يجري. أنا لا أريد أن ألهو بتعداد خلافاتكما بل سأسعى إلى تسوية أموركما. أما أنت، فعليك أن تُعِدّ كلّ شيء لهذا المساء.

الفارس: أنت توافقين إذن على أن أخطفها؟

أرامنت: سوف أرى عندما يحين الوقت، إن كان عليّ أن أدع الأمور تمضي في مسارها حتى النهاية. لكنّي أوافق على الأقل، على أن تتظاهر كأنّك ستقوم بخطفها. وأنتما على حق، لأنّها قد تكون وسيلة لإقناع والديكما.

الفارس: شكراً! إنّي أهيم بك، يا آرامنت! أعطيني يديك!

أرامنت: سيدي، إنك لتجسّد عدم الوعي بعينه!

الفارس: هذا صحيح، لقد نسيت. لن أعود لمثل هذا من بعد. أو فقط من بعد أن أتزوّج سيسيل ولا أعود مهدّداً بخطر فقدها.

أرامنت (تخرج ضاحكة): توكّل على ذلك، أيها الشاب الفطن!

الفارس (وقد غدا وحيداً): إيه! يا لروعة الحياة. سأمضي لأُخْطِر رجالي السيّافة، فقد نضطر لاستخدام القوة في هذه الليلة. أنا أهيم بسيسيل وأهيم بأرامنت، سأخطف الاثنتين معاً، رغم أنّي لم أبلغ العشرين إلا منذ ثلاثة أيام!

(يخرج)

تبقى خشبة المسرح فارغة هنيهة. تُسْمَعُ موسيقى خفيفة، ثم يظهر السيد أورلا وسيسيل وهما يتجوّلان.

السيد أورلا: سيسيل، لا بدّ من أن أتحدّث إليك. فمنذ وقت طويل وأنا راغب في ذلك. إننا لا نقوم بشيء ذي بال، طول نهارنا، لا أنا ولا أنت، ولم أجد من جانبي الوقت المناسب لذلك. فهذا البيت، همومه الصغيرة

تثقل كاهلي. أنت فتية جداً يا سيسيل، وكلّما كبرت ستتعلّمين أن العيش مسألة قائمة بذاتها. قد تقولين. حَسْبُ المرء في واقع الأمر أن ينهض صباحاً ويرقد مساء، وبشيء من طول الأناة ينقضي النهار... ومهما قلّتْ درجة استمتاعه بلذائذ المائدة، أو ببهجة تبادل الأحاديث بعد الظهر بصحبة صديق أو اثنين، يجد الجولة قد انتهت. وحان وقت التوجّه إلي السرير ونسيان كل شيء. إلاّ أن الفكر، لسوء الحظ، يظلّ يعمل.

سيسيل: أجل، يا بابا.

السيد أورلا: «أجل، يا بابا». هذا لا يعني شيئاً. أنا لم أطلب إليك أن تصغي إليّ بكل تهذيب، وأنتِ تفكرين بمسألة أخرى، يا سيسيل. بل أطلب إليك أنَ تُعْمِلي فكرك لتفهمي ما أقوله لك. إنّه لأمر في غاية البَساطة أن تفكّري كطفلة قائلةِ: «الآباء أغبياء وتكفيرهم محدود. وهم يعيشون بأفكار مسبقة حملوها من جيل آخر. ولا يعرفون شيئاًمما هو صالح. فعلينا أن نصغي إليهم بكل احترام، مراعاة للأصول السائدة - نعم يا بابا، أعدك بذلك يا بابا - وننتظرهم من بعد ليديروا ظهرهم، حتى نتصرّف على هوانا.

سيسيل : لا ، يا بابا .

السيد أورلا : «لا ، يا بابا» ! إنهــا ذات الإجـابة . أنا لا أطلب منك كلَّ هذا الاحترام ، يا سيسيل ، بل أريد رؤية بريق صغير في عينيك يكون دليلاً على أنّك تُصغين إليّ . لو تحدّثتُ إليك مثل أب وأنت مثل بنت صغيرة ، لافترقنا بعد قليل بانحناءة مهذبة من جانبك وتربيتة ودية منّي على وجنتيكِ ، من غير أن نكون قد تقدّمنا خطوة واحدة . بودّي أن تتخلّي عن امتيازات سنّك ، وأن توليني هنيهة ، ما تولينه ولداً آخر من انتباه وتقدير .

سيسيل : أنت تعلم أنّي أطيعك على الدوام يا بابا ، في كلّ شيء وبكلّ احترام .

السيد أورلا : طيّب ! أنت تتحامقين الآن . وتعلمين حقّ العلم أنّي لا أسألك عن هذا . لكنّ شيئاً ما في نظرتك ، قد فضح أمرك في النهاية وأعتقد أنك قد فهمتني . فأنت كائن صغير يتوقّد حيوية وذكاءً ، حكيمة مثل صينيّ عجوز رغم ملامح الطيش ، لكنّ أعرافاً مغرقة في القدَم أرست فيما بيننا حاجزاً لا يمكن تجاوزه . أمّا وأنا أبوك وأنت ابنتي فنحن نعتقد كلانا أنّنا مرغمان على تأدية أدوار جاهزة . فكلّ ما سأقوله لك موسوم سلفاً داخل

ذهنك بسمة من الابتذال والامتثال والسأم. وهذا من جانبك ظلم جائر يا سيسيل. تخيّلي هنيهة أنّي لست أباك، وأؤكّد لك أنّي رجل طريف وفتّان.

سيسيل: نعم، بابا.

السيد أورلا (بمرارة): نعم، بابا! لا تجيبي بشيء مطلقاً، وأعتقد أنّنا سنتقدّم بسرعة أكبر. سأبدأ، يا سيسيل، فأصرّح لك بأنّي تقريباً في مثل سنّك.

(ينظر إليها برضىً)

آه! لقد نجحت في إثارة دهشتك على كلّ حال! إلا أنّي أرى بوضوح أنك ما زلت حذرة. أنت تقولين في نفسك إنها بداية غير مألوفة، لكن لنأخذ حذرنا رغم كل شيء. لأن الأمور سوف تتحوّل إلى محظورات ودروس أخلاقيّة بغير ذلك. أتدرين كيف تبدو هيئتك الآن، يا سيسيل؟ إنتِ مثل أسير تقوم الأركان العامّة المعادية باستجوابه... إلاّ أنك كبيرة وجميلة، وبعد عام أو بعد شهر، بل ليس من يدري، فربما غداً تنتقلين أنت أيضاً إلى المعسكر الآخر: وتصبحين امرأة. سيكون بوسعنا عندئذ أن نتفاهم، لكن ربّما يكون قد فات الأوان. وبودّي لو أجد درباً إلى قلبك قبل ذلك.

سيسيل : لكنّ قلبي مِلْك لك، يا بابا.

السيد أورلا : إنه مثل صندوق صغير مغلق ضاع مفتاحه ولستُ أدري البتّة ما بداخله.

سيسيل (بعد أن تتريّث هنيهة) **:** لم أدرك ما هو قصدك، يا سيدي.

السيد أورلا : إيه! هذه المرة، لم تقولي بابا. إنه لتقدّم. سأُدْلي أمامك بتصريح آخر، يا سيسيل؛ لسنا فقط من سنّ واحدة، لكنّك أيضاً تروقين لي كثيراً. فيا لحسن طالعنا أننا تخلصنا معاً من ورطة الأعراف ومراعاتها. ولو كنت بنتاً صغيرة على درجة كبيرة من الدّمامة. أو كنت متزمّتة أو كنت حمقاء ليس إلاّ، لما راودتني فكرة محاولة جذب انتباهك. وها قد مضت عشر دقائق كاملة وأنا أعبّر بكلام بارع لكي أُبهجكِ، لكنّني لست واثقاً من أني قد أثَرتُ شيئاً من الدهشة في نفسك. المسألة محزنة جداً، يا سيسيل! وسوف تلاحظين حين تكبرين قليلاً أن العالم ليس طافحاً بالعديد من الرجال المدهشين. وها إنّ أحدهم في متناول يدك. لكنّ المحزن في الأمر أنّك لم توليه الاهتمام الكافي بحجّة أنه والدك.

سيسيل (بعد شيء من التريّث) **:** قد تكون ضيّقتَ الخناق عليّ بشيء من السرعة أيها السيد. هذا هو لقاؤنا الأول. وعلينا أن نلتقي مجدّداً.

السيد أورلا : شكراً، يا سيسيل. أنت فتاة ذكية، وأنا قد أخطأت، والحمد لله. بل أنت الحكمة بعينها. الواقع أنّي تسرّعت بعض الشيء في اتّخاذ قرار. وعلى المرء أن يظلّ فتىً يافعاً لكي يعتقد بأنه يفتح القلوب عنوة. . . أما نحن فسوف نستغرق الوقت الكافي دونما تسرّع. (أنت ترين أنّك تعرفين في بعض الشؤون أكثر مما أعرف). دعيني أقبّل يدك كأنّك سيدة. وها أنا أذكّرك بأنك وعدتني بلقاء آخر. فهل تقبلين بأن يكون الموعد هذه الليلة بعد العشاء، في الحديقة؟ سوف يتظاهر كلانا بالصعود إلى غرفته، وحين ينام الجميع نعود لنتلاقى هنا. إذ من الأفضل ألاّ يكون أحد على علم بلقاءاتنا.

سيسيل (تمتم حائرة) **:** هذه الليلة، أيها السيد؟

السيد أورلا : أجل. هل يبدو ذلك في نظرك أسرع مما ينبغي؟ هل ترغبين في التريّث والتفكير قليلاً؟

(سيسيل لا تقول شيئاً)

هيه! أجيبي، ماذا يضايقك؟

سيسيل (تقول بغتة): بما أنك رغبت في أن نتكلّم بصراحة: فهذه الليلة، يا سيدي، سأكون مُحتَجَزَة.

السيد أورلا (مجفلاً): ستكونين محتجزة؟ بعد العشاء؟ ماذا تقصدين بقولك هذا؟ أخشى أن أكونَ أسأتُ سمعك.

سيسيل: سأكون محتجزة. ولا أستطيع أن أضيف قولاً آخر، يا سيدي.

السيد أورلا (يقول على نحو مباغت وقد احتدم غيظاً): ألا يسعك أن تضيفي قولاً آخر، يا آنسة؟ ألا تعلمين أنك تسخرين مني في هذه اللحظة؟ أنا لن أسمح بذلك! قد يكون لديك موعد آخر؟ هيّا، أجيبي!

(سيسيل تلوذ بالصمت).

سيسيل، أنا أبوك، وآمرك أن تجيبي! فما قلتهِ لا يحتمل. «هذه الليلة، يا سيدي، سأكون محتجزة». وتتجاسرين على أن تقولي ذلك لي أنا، تقولين ذلك لوالدك وأنت في السابعة عشر! أم أنّك تنوين أن تجعليني ضالعاً في سفاهاتك، أيتها البنت الشقيّة؟ ماذا تفعلين بما يتوجّب عليك من احترام حيالي في كافة

الأحوال؟ هل نسيت من أنا، وهل عليّ أن أذكّرك بذلك؟ إيه! أؤكّد لك أنّي أشعر بالأسف على سرعة تصديقي وثقتي. إلا أنّي سأعرف كيف أعاملك من الآن فصاعداً، وعلى نحو ما تستحقين. إصعدي إلى حجرتك، يا آنسة.

(سيسيل على وشك أن تتكلم).

لا تتفوّهي بكلمة واحدة! إنّي أحتجزك هناك حتى أرى فيك رأياً آخر. وأقسم لك على أنّي سوف أوعز بأن لا تغادريها هذه الليلة! هيّا!

(سيسيل تنحني أمامه باحترام وتتوجّه إلى البيت).

(حين تبلغ العتبة تستدير وتقول له بأسى).

سيسيل: أنت ترى كم ذلك عسير، يا سيدي؟

السيد أورلا (بعد أن خرجت): «أنت ترى كم ذلك عسير يا سيدي» يا للوقاحة! تقول ذلك لأبيها! ألم يعد هناك شيء ذو قدسيّة!

(يقول لأرامنت وهي داخلة)

يا أرامنت، أكاد أخرج عن طوري!

أرامنت: ولكن ماذا جرى يا سيدي؟

السيد أورلا: عقدت النية على التحدث إلى سيسيل بودّ وصراحة، وجهدتُ ما وسعني لنيل ثقتها، وجعلها

تدرك أنّي لا أتحدث إليها كأبٍ بل كصديق. وحسبت أنّي أخرق جدار الغموض وأتفاهم معها على نحو أفضل: عرضت عليها أن نلتقي في الحديقة بعد حلول الظلام، ظناً مني أنّ الجوّ الرومنسي قد يسهّل علينا مهمّة تبادل الحديث، كما طلبت إليها أن تكون صريحة معي وأن تنسى من أنا. فهل تعلمين بماذا أجابتني؟

أرامنت (ضاحكة): أنّها لا تستطيع في هذه الليلة وأنها محتجزة؟

السيد أورلا (مجفلاً): اللعنة على الأبالسة! أنتم في هذه الدار تهزؤون بي، يا آنسة؟ أنتِ إذاً على علمٍ مسبق بالموضوع؟

أرامنت: سيدي، أنت رغبت في أن تتحدّث سيسيل إليك كصديقة، وأعتقد أنها قدّمت الدليل المؤثّر على أنّها محضتك ثقتها، حين قالت لك الحقيقة بكل بساطة. ما قالته صحيح تماماً. إنها محتجزة هذه الليلة.

السيد أورلا: ابنتي محتجزة هذه الليلة! وموجّهتها تؤكّد لي ذلك بنفسها وبلهجة فيها كل الجدّ! لا بدّ أنّنا في مصحّ للمخبولين. أليس من المساس بالسرّ أن أسألك، يا آنسة، من الذي يحتجز ابنتي هذه الليلة؟

أرامنت: بلى، يا سيدي. فذلك هو الإفشاء بعينه. إنّ المسألة سرّ بينها وبيني.

السيد أورلا: إنه سر بينكما! يا له من أمر رائع. . . أما أنا، يا أرامنت، فمتألّم جداً. ليست سيسيل إلاّ فتاة صغيرة طائشة غير عاقلة، أما بالنسبة لك، فكان يحدوني الأمل ألاّ تسخري مني. أنا رجل أُعاني من العزلة الشديدة، يا أرامنت. المرح ظاهر عليّ بينما أنا في معظم الأوقات على حافّة اليأس. حين أدخل إلى مكتبي وأغلق الباب على نفسي تظنّون جميعاً أنّي أعمل. (ما الذي أعمله، يا إلهي. أنا لم أعمل في حياتي شيئاً ذكرا!) جميع من في المنزل يسيرون على رؤوس أقدامهم كي لا يزعجوني. أتعرفين، ما أفعله في حقيقة الأمر داخل هذه الصومعة؟ ألبث جالساً إلى المنضدة طيلة ساعات وأنا أحدّق في الجدار أمامي.

أرامنت: ينبغي عليك أن تأتي لتتحدّث إلينا، يا سيدي. وسوف نكون أنا وابنتك في غاية السعادة ونحن نخفّف من عنائك.

السيد أورلا: أنا لا أشعر معكما بالثقة. إذ يتراءي لي دوماً وجود سرّ ما، بينكما. فأنتما تضحكان ضحك

المجانين، والمطرّزات التي تشتغلانها بإيديكما، وكل واحدة تسرّ في أذن الأخرى كلاماً لا يعرف فحواه إلا الله. أما وجودي بينكما فيجعلكما في حالة جمود.

أرامنت: إن ما يتوجب علينا من احترام حيالك هو الذي يوقفنا، يا سيّدي. فأنت هنا المعلم وهمومك خطيرة جداً. ونحن نعتقد أن ما يعتمل في دماغك شيء مختلف جداً عن ترّهاتنا.

السيد أورلا: هذا هو الخطأ بعينه. واعلمي، يا أرامنت، أنه ليس من شيء في دماغي غير السأم. إنّ ملكيّتي متواضعة، لكنّ شؤونها تُدار تلقائياً. كما أنّي لم أسعد قط، على نحو ما يفعل أكثر الرجال الذين يماثلونني سنّاً، بالميل نحو السياسية ميلاً جدياً. حين كنت في العشرين، كانت حياتي، مثل حياتكما، قائمة على الحماقات وكان الوقت يتسرّب من بين أصابعي ويتبدّد. وقد تراءت لي ضرورة اتخاذ موقف يكسبني أهميةً حين أكبر وأنضج. فكان كلُّ يوم يمرّ يُحكِم عليّ إغلاق أبواب ذلك السجن المقيت، الذي جعلتُ من نفسي فيه سجّاناً وحيداً على نفسي. فلِمَ لا أراكِ راغبةً في إخراجي منه يا أرامنت عن طريق حبّك لي؟ سيكون هذا عمل خير وإحسان.

أرامنت: لست أحسب، يا سيدي، أنّ هناك من وقع في الحب، تحت تأثير دافع آخر غير المتعة. لكنّك ما تزال فتيّاً وفاتناً. فلمَ لا تفكّر في اتخاذ خليلة؟ إنّ من شأن ذلك أن يملأ عليك أيامك.

السيد أورلا (متعجباً): إليكم! يا له من سؤال! إنّما عليّ إنا أن أطرحه عليك.

أرامنت: إني أعرف في هذه المدينة ما لا يقلُّ عن امرأتين أو ثلاث نساء، فَتيّاتٍ وجميلات، لديهنّ استعداد تام لذلك.

السيد أورلا: وأنا نفسي أعرفهنّ. لكنّي لا أقيم لهنّ أهميّة تفوق أهميّة قِرْدَة.

أرامنت: وإذا كان لاَ بدّ من شفائك؟

السيد أورلا: ليس الحب وسيلة علاج! فبعد زوال المتعة، وهي تزول بسرعة، وسوف تخبرين ذلك يا بنيّتي ذات يوم، لا يبقى في وسعي أن أتوجّه إليهنّ بكلمة واحدة. وقد ألفظ أنفاسي من السأم وأنا مطروح عند أقدامهنّ. فالخير لي إذاً أن أبقى وحيداً بمواجهة الجدار. لأنّي، على الأقل، لا أرغم نفسي على الكلام.

أرامنت: قل لي بكل صراحة يا سيدي، هل كنت ستجهد نفسك بالتحدّث إليّ مطوّلاً، لو أنّي فتحت لك بابي؟

فبعد زوال المتعة، وهي تزول بسرعة كلما قلت لي قبل قليل، ستكون الحال ذاتها تماماً.

السيد أورلا: معك أنت؟

أرامنت: معي أنا، يا سيدي، لأنّك لا تحبني على نحو ما أريد أن تكون عليه حالي ذات يوم. أنت ينتابك السأم: وأنا فتيّة متوقّدة، وأقطن منزلك. ها قد زال الغموض كله. كنتَ قبل حين تحدّثني على البارون. هلاّ قلت لي بصدق، من هو الرجل الذي يكون في وضع مماثل، ولا يحاول كلّ ليلة، حين يصعد لينام ن يخدّش قليلاً لحظة مروره، باب حجرتي؟ أنت تتصرّف إذاً وفق النظام العادي للأشياء، وأنا أفعل الشيء ذاته حين لا أفتح الباب. لكن كُنْ واثقاً من أنّي ساعة أعرف أنّي أُحب وأنّ هناك من يُحبّني، فسوف أسمع الحفيف، لأنّي ذات سمع مرهف.

السيد أورلا (بقسوة): وماذا عن الغلام الذي كان يقبّل يديك، قبل قليل، يا آنسة، هل تسمعينه لو طرق بابك؟ أنا لست ابن البارحة، يا أرامنت: كنت ما تزالين بنتاً صغيرة، حين حاولت نساء أخريات أن يلعبن تلك اللعبة معي وقد تعلّمْنَها قبلك بزمن طويل. لا تحاولي

إذاً أنت تقصّي على مسامعي حديث خرافة، أطول من ذلك! فمثل هذا لا يليق بك ولا بي. كما أن الغشاوة سقطت أخيراً عن عينيّ. وما سيسيل إلاّ واجهة، وهذا يفسّر كلّ ما تبدينه من أشكال المجاملة. فهذا الغلام إنّما يأتي إلى هنا لكي يقابلكِ أنتِ!

أرامنت: وماذا في الأمر لو كان كذلك، يا سيدي؟ أنا فتاة، وأنا حرّة. وهل بوسع أحد أن يعترض على ذلك؟

السيد أورلا: أنا وأيمُ الحقّ!

أرامنت: أنت حقّاً؟ وبأيّة صفة؟

السيد أورلا: بصفة... لا تجعليني أخرج عن طوري! والدك، يا أرامنت، عهد بك إليّ. وأنا مؤتمن حياله على شرفك. إنّي وثوق، بل قد أكون ضعيفاً بعض الشيء لطيبة قلبي المفرطة، إلا أنّي لم أتساهل بشأن تلك النقطة قط. أمّا إذا دفع بك الطيش يوماً لأن تفتحي بابك لذاك المتطرّف، فواجبي عندئذ أن أحيط والدك بالأمر علماً. وكوني على ثقة من أنّي سأفعل.

أرامنت: وماذا لو فتحت بابي لك أنت؟ من سيتولّى عندئذ مهمة إعلامه، يا سيدي؟

السيد أورلا (وقد بدا عليه شيء من الضيق): ولكن في تلك الحال . . . كفّي عن المزاح يا أرامنت. لأنَّ فكاهاتك لا تضحك أحداً غيرك.

أرامنت: وكفّ أنت عن الأحلام بصوت عال، يا سيدي! فالفارس الصغير لا يأتي إلى هنا من أجلي أنا. إنّما يأتي من أجل سيسيل. فالكلّ يعرف ذلك وأنت أوّل الجميع. وها أنا عازمة على إطلاعك على سرّ إذا ما أقسمت لي على أن لا تبوح به لأحد. هيّا أقسم أوّلاً. فليس لي بك كبير ثقة. فأنت رجل مستقيم لكنّك ذو شخصيتين أو ثلاث شخصيات، حتى أنك تتخاصم أحياناً مع نفسك.

السيد أورلا: طيّب. إنّي أقسم. لكن ليأخذني الشيطان إن كنت أفهم شيئاً!

أرامنت: أقسم بأغلى شيء لديك على أنك لن تبوح بذلك لأحد. هيّا! وعليك أن تبصق استكمالاً للإجراءات.

السيد أورلا: أنت يا أرامنت تلعبين بعقلي. ها أنا أبسط يدي، وأبصق.

أرامنت: إيه! طيّب. إن الفارس ليس مهتماً بي، يا سيدي، لأنه سيخطف ابنتك في هذه الليلة.

السيد أورلا (يظهر عليه الذهول، ثم ينفجر ضاحكاً): آه! آه! النكتة مضحكة! أنت إذاً تعتبرينني غبياً؟ أم أباً هزلياً؟ ويتراءى لك أني سألبس معطفاً غامقاً وأعرّض نفسي للإصابة بالزكام في الحديق، لكي أتأكّد إن كنت سأعثر على سلّم؟ هيّا عابثي غيري على هذا النحو، يا آنسة!

أرامنت: يبدو لي ذلك نوعاً من الحذر. وإذا كانت سيسيل قد قالت لك بنفسها إنّها محتجزة هذه الليلة، فينبغي أن يكون لديها داعٍ لذلك.

السيد أورلا: سأحتجز سيسيل في حجرتها وأرتج عليها الباب بالمفتاح لأفوّت على تلك البنت الشقيّة تأدية أحد الأدوار الهزيلة بينك وبين عشيقك، يا آنسة! واعلمي جيّداً أنّي سوف أنام قرير العين. ولن أهتمّ في نهاية المطاف إن كنت عازمة على أن تلقي نفسك بيديك إلى التهلكة!

أرامنت: ذلك مؤكّد. لكنّي، لو كنت أنا مكانك، لقمت رغم كل شيء بجولة قصيرة لأتأكد إن كان أحدهم يبيّت عملية خطف.

السيد أورلا: هذا حسن، واصلي سخريتك. فأنا أرى الآن بوضوح أنّك لا تحبينني وأنّك لن تحبيني أبداً. أنا متوجّه

إلى مكتبي لأفكّر في الوسائل الكفيلة بالتخفيف من ألمي. وأنا الآن أكبر سناً من أن أستسلم لليأس. وغداً أقول لك ما اتخذته من قرار. فوداعاً يا أرامنت! أنا رجل مطعون في الصميم.

(يمشي خطوة ثم يستدير)

ذلك أنّي أريد أن أقول لك شيئاً. صحيح أني كنت أخدّش بابك، لكن من غير إلحاح. وكنتُ سعيداً تقريباً - ويعلم الله إن كنت أهوى مباهج الحب - كنتُ سعيداً لأنك لم تفتحي قط.

أرامنت (تتمتم وقد بدت بدورها حائرة): ماذا تقول، يا سيدي؟

السيد أورلا (يواصل قائلاً): أجل. قد تكونين عشيقة ذلك الغلام، فيما أنا أضع نفسي موضع السخرية وأنا أكلّمك على هذا النحو. والاحترام في نظري ليس بالأمر اليسير، يا أرامنت. وأنا أرى في كل قميص يخفق حول خصر ليّن شيئاً ينتزع من ذهني كلّ مفهوم للاحترام - إلا أني حين أقف أمام بابك المغلق (والقلب معرّض لهذا النوع من التناقضات المتعذّر تفسيرها) كنت أستعذب، داخل ما أنا فيه من مرارة كرجل، أن أتعلّم كيف أحترمك. هذا كلّ شيء. واسألي الليلة ذاك الفتى اليافع إن كان يفهم شيئاً من كلّ ذلك.

(يخرج. تبقى أرامنت وحيدة فتبتسم سعيدة وتتمتم)

أرامنت: ما كان عليك إلاّ أن تقول هذا، يا سيدي. . . وأنت الذي كنت تقاسي كلّ ذلك العناء! . . . ها أنت قد تفوّهت على غير ما إرادة منك، بالكلمات التي تفتح أبواب الفتيات. . . يا للرجال الصغار المساكين، يا للديكة الصغار المساكين! . . . فمنذ حداثة سنّهم وهم ينفشون ريشهم ليكونوا منتصرين. . . ليتهم يعرفون أنه حسب أُحدهم أن يكون متألماً بعض الشيء وحزيناً، لينال كلّ ما يريده من غير صراع. . . إلاّ أنّه ليس من مهمّتنا نحن أن نعلّمهم ذلك! وأنا مطمئنة بشأن ذاك، لأنه سيكون في الحديقة مع حلول الظلام: سيكون بمعطف من لون السور، وسيضع مسدسات في جيوبه، وفمه مليء بطعم الانتقام. وقد يتعرّض هناك للإصابة بالزّكام، وقد يتعرّض هناك للوقوع في الهوى. . . أو قد يتعرّض للإثنين معاً. سوف نرى على كل حال! فالكاتب نفسه لا يعرف ذلك.

تخرج بعد أن تؤدي انحناءة صغيرة. تظلّ خشبة المسرح فارغة. ويبدأ الليل بالهبوط هبوطاً حقيقياً على نغم جملة موسيقية ذات لحن ساحر. بعد أن يحلّ الظلام - وعلى نحو

سريع بالنسبة للفصل من السنة - يظهر رجل متلفّع بمعطف لونه بلون السور.

يتقدّم الرجل ذو المعطف بخطى حذرة. ثم يومئ بيده، فيظهر من الظل رجلان بمعطفين غامقين، وينضمان إليه.

الرجل: صه!

الرجل: صه!

يخرج ظلّ آخر بمعطف غامق من البيت، وقد أخفى وجهه في ثنايا معطفة. ذلك هو السيد أورلا. يومئ الرجل ذو المعطف بلون السور إلي زميليه بالابتعاد. يدور السيد أورلا والرجل ذو المعطف أحدهما حول الآخر. ويقرّران أخيراً أن يتبادلا الكلام.

السيد أورلا (بصوت خافت)**:** السيد داميان؟

السيد داميان (على النحو ذاته)**:** السيد أورلا؟

السيد أورلا: أجل، أنا.

(يتبادلان التحيّة)

السيد داميان: أشكرك، يا سيدي، لأنك أحطتني علماً.

السيد أورلا: لا داعي لذلك، يا سيدي، لأنّني لم أقم إلاّ بواجبي. فأنا أبٌ مثلك، يا سيدي.

(يشير صوب ظل الرجلين اللذين ينتظران)

هل جاء هذان السيدان بصحبتك؟

السيد داميان: إنّهما رجلان قويّا الشكيمة وقد حرصت على اصطحابهما. إذ خطر على بالي أنّه قد يلزمنا أن نردّ على القوة بقوة مثلها.

السيد أورلا: لقد تصرّفت بحكمة، يا سيدي. فأنا نفسي قد تسلّحت بمسدسين.

(يريه إيّاهما تحت معطفه)

السيد داميان: كيف أردّ لك هذا الجميل يا سيدي؟

السيد أورلا: إنه لأمر يسير جداً، يا سيدي. فأنت استودعتني أرامنت. وحرصي على صون شرفها كمثل حرصك أنت. إلاّ أنّك ترتجف. لا تخشَ شيئاً.

السيد داميان: أنا أب، يا سيدي. ثم إني أقول لك دونما خجل منك، يا سيدي (أنا رجل قانون قديم). وقلّما دخلت في منازعات.

السيد أورلا: لستُ أكثر منك خبرة قتاليّة. لكنّ الأمر يتعلق بشرف ابنتي أو بشرف ابنتك (إني أضعهما في مصاف واحد معاً)، وأنا على استعداد لإطلاق العيار الناري. والحقّ إلى جانبنا على كلّ حال.

السيد داميان: أجل. بيد أني لا أخفي عليك أنّي كنت أفضّل حصول محاكمة هامة. ناهيك بأنّي وأنا أمام الجرم المشهود، سأسحق الغريم سحقاً. لكن، يا للأسف! فذلك قد يأتي بعد فوات الأوان. والعشّاق يتحركون أسرع منّا بكثير، يا سيدي. أما وأنت أبٌ فإنّك تدرك كم يعاني الأب في سبيل حماية بناته!

السيد أورلا: وتقول لي هذا الكلام، يا سيدي، وأنا الذي لبثتُ بعض الوقت خائفاً على ابنتي، من قبل أن أكشف حيلتهما. إذ لم يعد هؤلاء الشبّان اليافعون يقيمون لأيّ شيء وزناً. ويتراءى لي أننا في زماننا كنّا أكثر حرصاً على شرف العائلات.

السيد داميان: إيه! لقد كنّا بدورنا أيضاً جسورين وعلى شيء من الغلظة. وبوسعي أن أسرد على مسامعك مئة واقعة كنتُ فيها على شيء من الطيش والتهوّر. فدمائي وأنا في العشرين كانت فائرة.

السيد أورلا: يوم بدأت أصيرُ راشداً، كان الناس يتحدثون عليك. لقد كنتَ جسوراً، خشن الطباع، يا سيدي!

السيد داميان: إيه! إيه!

السيد أورلا: كما أنّ نساء المنطقة يعرفن من مآثرك الشيء الكثير. حتى أنّهن لا يتلفّظن باسمك من غير أن تعلو وجوههنّ حمرة الخجل.

السيد داميان: إيه! إيه! . . .

السيد أورلا: وكنتُ ما أزال غلاماً حين بدأتُ أحلمُ أن أبلغ يوماً درجة مآثرك.

السيد داميان: إيه! إيه! عفوك ثم عفوك، يا سيدي. صحيح أنّي لم أعرف الكثير من النساء المتحجرات القلوب، في عهد المرحوم الملك. لكنّي أعتقد أنّك أحدثت من بعد دوياً لا يستهان به في مدينتنا الصغيرة، يا سيدي؟

السيد أورلا: صحيح أنّي حطّمت بعض القلوب التي ما لبثت أن كلّفتني غالياً. ذالك هو كلّ شيء. ولا بدّ لمرحلة الشباب على كل حال من أن تأخذ حقّها!

السيد داميان: إلا أنّنا يا سيدي، كنّا نراعي الأصول. ولم نكن نشبه في شيء هؤلاء الشبّان الأغرار. . .

السيد أورلا: الذين لا يرعوْنَ أيّة حرمة، يا سيدي.

السيد داميان: كنّا نقتصر على النساء المتزوّجات. فزيادة واحد في عدد الأزواج المخدوعين أو نقصان واحد، ليسا في نهاية المطاف بالأمر الخطير!

السيد أورلا: وقد نرضى بخادمة ما عند الحاجة أو بفلاّحة سهلة المنال . . . أما أن نقرب ساحة الأوانس ذوات المحتد، يا سيدي! . . .

السيد داميان: من غير ما اعتبار لشرف الآباء! . . .

السيد أورلا: علينا أن نتصرّف دونما رحمة، يا سيدي! انتبه، هيّا نتخفّى. يبدو لي أنّي لمحت ظلالاً في طرف ممشى الزيزفون. لا بدّ أنّه صاحبنا المغامر.

السيد داميان: أتحسب أنّه قادر على إشهار سيفه؟ فهؤلاء اليافعون من أبناء النبلاء يظنّون أنّ كل شيء مباح لهم.

السيد أورلا: الحقّ إلى جانبنا، يا سيّدي، ناهيك بأنّنا مع الاثنين من رجالك، نصير أربعة.

السيد داميان: أجل. لكن علينا مع ذلك أن نحترز ولا نعرّض أنفسنا للإصابة بجرح ما. فلنتخفّ في مكان بعيد قليلاً. وعند إعطاء الإشارة ندفع برجالنا.

السيد أورلا: لا تخف، فسوف نردع ذلك الغلام من قبل أن يفكّر بإشهار سيفه.

يدخل الفارس بمعطف غامق. يتوجّه إلى المنزل ويعطي إشارة، فتظهر أرامنت على النافذة.

الفارس: هذه أنتِ، يا أرامنت؟

أرامنت : أجل، أنا .

(تخرج من الباب، متلفّعة بمعطف وتتوجّه نحوه).

الفارس : وأين سيسيل؟

أرامنت : أنها قادمة . لكن هناك عائق بسيط سأحدّثك عليه بعد قليل . وينبغي الآن أن تختبئ هنا قليلاً .

(تقوده إلى الجناح الصيني وتدخله إليه).

أرامنت : عليك بالسكون المطلق لحين رجوعي، ولا تأتِ بأيّة حركة مهما سمعت .

(ترتج الباب)

الفارس (من داخل الجناح) **:** لكن لماذا أرتجتِ عليّ بالمفتاح؟

أرامنت : لكي أكون واثقة من العثور عليك عندما يحين الوقت . إلزم الصمت . لا تنبس ببنت شفة . ستكون الأمور على ما يرام .

(تعود إلى البيت وتقوم بإشارة . تظهر سيسيل متخفية بعباءة)

سيسيل : هذه أنتِ يا أرامنت؟

أرامنت : نعم . بوسعك الآن أن تأتي، فكلّ شيء يسير على نحو ما هو متوقّع . سأصعد لإحضار حاجاتك . انتظريني هنا .

سيسيل : أين الفارس؟ أنت تعلمين جيداً أنّي أشعر بالخوف في الظلمة .

أرامنت : لا تشعر الفتاة بالخوف في الليلة التي ستخطف فيها ، يا آنسة ! . . . سوف يأتي الفارس إليك بعد قليل .

(تعطي إشارة أخرى وتتوارى داخل البيت . يُقْبِلُ السيد أورلا ، المتخفّي تحت قلنسوته ، فيدور حول سيسيل التي ينتابها القلق ، قبل أن تتعرّف عليه).

السيد أورلا (هامساً) **:** هذه أنتِ؟

سيسيل (هامسة أيضاً) **:** نعم . وهَذا أنتَ؟

السيد أورلا : نعم .

(يقول وحده)

وقعت العصفورة في الفخّ . فَلِنتظاهر بأنّنا هو .

سيسيل : إني خائفة قليلاً .

السيد أورلا : لا تخشيْ شيئاً ، يا بنيتي ، فأناهنا .

سيسيل : هل أنت متأكّد على الأقل من أنّك تحبّني؟ وإلاّ فما زال أمامنا متّسع من الوقت .

السيد أورلا : كوني على ثقة ، يا حلوتي . فأنا لك إلي الأبد .

سيسيل : لكم تبدو لهجتك غريبة ! إنّي لأُنكرُ صوتك .

السيد أورلا : ذلك أني أتكلّم بصوت خافت مخافة أن يسمعونا . . .

سيسيل : سوف ننطلق بسرعة فور وصولها إلى هنا . هل يقف سيّافتك وخيولك لدى الباب الصغير؟

السيد أورلا: على نحو ما هو مرسوم.

(يقول وحده)

يا لهم من لصوص. كانوا عازمين على خطف ابنتي أيضاً.

سيسيل: ماذا قلت؟

السيد أورلا: قلت: «إنها لطيفة، لكن لمَ نصطحبُ هذه الطفلة؟» ألن نكونَ من دونِها في حالٍ أفضل؟

سيسيل: قد أكون طائشة، يا سيد، إلا أنني لن أقبل باختطاف من غير أن تصحبني وصيفة.

السيد أورلا: طيّب. وهل نعتبر تلك الجويرية وصيفة؟ وماذا سيقول أبوها؟

سيسيل: بل ماذا سيقول أبي؟ لا بدّ للمرء من أن يصمّم على تحمّل شيء بسيط من المنغّصات، حين يوافق على الاختطاف.

السيد أورلا (وحده): شيء بسيط من المنغّصات! يا لطريقتهن الجريئة في النظر إلى الأمور!

سيسيل: ما لك تتمتم على الدوام؟ إنّي لا أرى وجهك.

السيد أورلا: كنت أقول لنفسي إنّها ستسبّب لنا المتاعب، وإنّنا سنكون وحدنا أفضل، يا حبيبتي.

سيسيل: إنها شقيقتي، يا سيدي، وأنا لا أفعل شيئاً من دونها. إلاّ أنّك ستقسم لي على ألاّ تعود إلى تقبيل يديها.

السيد أورلا: ها! ها! ها قد وصلنا.

سيسيل: سوف تقوم باختطافنا نحن الاثنتين، لكنّك ستتزوجني أنا وحدي.

السيد أورلا: وهل تشكّين في ذلك، يا حبيبتي؟

(يقول وحده)

لقد أحسنتُ التقدير. فذلك الولد الفاسد عازم على القيام بضربة مزدوجة.

(يقول لسيسيل)

لم تكن ملازمتي المتواصلة لها أكثر من واجهة مريحة. ولكن لِمَ نأتِ على ذكر الزواج؟ أليس الحب، أليس الحب وحده كافياً؟

سيسيل: إنّي أحبّك، أيها السيد، وهذا في واقع الأمر سبب كافٍ لأن أتبعك. لكن ألا يتوجب علينا أن نلتزم بالقوانين؟

السيد أورلا: يا لها من كلمة قبيحة ينطق بها هذا الفم الجميل! وهل من قانون آخر غير قانون قلوبنا؟

سيسيل: لكن، ماذا أخيراً عن والدي، أيّها السيد؟

السيد أورلا : بمَ يهمنُّا أمر ذلك العجوز الظنون! سوف نرتحل، يا حلوتي. سنكون من أولئك الناس الرائعين، والمكروهين من قبَل ذوي القلوب الضعيفة، الذين لم تتوفّر لديهم الجرأة للإنصراف بكل ما لديهم إلى الحب: العشاق. العشاق! هل سبق لك أن سمعت هذه الكلمة من غير أن ينتابك الاضطراب، يا أرامنت؟

سيسيل (تتراجع قليلاً وهي تتمتم): أرامنت؟

السيد أورلا : أليس ذلك أفضل من بيت الزوجية والأطفال بصراخهم وهم يتشبّثون بأذيالك والخادمة وأواني المطبخ وتدبير المنزل؟ إنّ الحب يغوص في الحياة اليوميّة مثل من يغوص في ورطة. أما حبنا فسوف يكون فيه كلّ صباح شيء جديد نستكشفه ونعمل على حمايته. ستنشأ بيننا منازعات رهيبة، وسيلْحِق كلّ منّا بالآخر ألماً مبرّحاً. مُثخِناً كلٌّ واحدٍ صاحبه بالجراح من غير أن يستغني عنه. سنكون عبدين وطاغيتين في آن معاً. سينظر كل الرجال إليك بلهفة في الاحتفالات حيث سنمضي ليالينا، أما لهفتهم التي ستكشف لك عن حقيقة نفسك فسوف تغريك بأن تعذّبيني. ولن أعرف أبداً إن كنتِ تحبينني حقاً، ولن أعرف أيضاً ماذا تخفي

ابتسامتك. أمّا إذا تغيّبت ساعة في النهار فإن الغيرة ستظلّ تنهش قلبي. ذلك أنّك ستكذبينني القول دوماً وتظلّين بالنسبة لي لغزاً أبدياً... ذلك هو معنى الحياة، يا أرامنت! ذلك هو أن تكوني امرأة وأن تقعي في الهوى!

سيسيل (عرفت أباها بينما كان يتكلم، فظهرت على فمها ابتسامة خفية): يا إلهي، كم أنت مخطئ يا سيدي. ليست بي من رغبة في البعد عنك أبداً، ولا حتى ساعة واحدة. ليست بي من رغبة في أن أكذبك القول. أما أن أفكّر بإلحاق الأذى بك، فتلك فكرة حمقاء! إنّي أعاني أشدّ ألوان الضنى، حين ألمح أصغر ظلّ للألم في عينيك. لست راغبة إلا في أن أكون لك حقيقةً، وأعرف أنّ ذلك نهائي وأبدي. ولا جَرَم أنك لا تزال فتيّاً جداً ولا تعرف حقيقة الفتيات. ذلك أنّ أكثرهنّ هوساً لا يحلمن بغير ذلك، أيّها السيد.

السيد أورلا: أنت لم تقرئي إذن قصة حياة العاشقات الشهيرات؟ إنّهنّ لا يعشقن غير أنفسهنّ، يا بنيّتي! ولم يكن الرجال بين أيديهنّ أكثر من عجينة يكيّفْنَها على هواهنّ. كانوا مجرّد أداة ضمن أدوات فوزهنّ، مثل ما

لديهنّ من أدوات زينة ومجوهرات. أليس هناك ما يغريك إذاً بأن تصيري من أولئك المعبودات الشرّيرات، وأن تحطمي قلوب المحيطين بك؟

سيسيل: كلاّ، وألف كلاّ. فاقتصار المرأة على حبّ ذاتها لا بدّ أن يبعث على السأم. أما عن هاتيك النساء الذائعات الصيت، فهل تحسب أنّهن سيشعرن بميل شديد نحو التغيير لو كنَّ حقاً سعيدات بصحبة الرجل؟ إنّي لا أبالي بهنّ، لكن إذا ما أوليتهُنّ اهتماماً ذات يوم، فسوف يكون ذلك شفقة منّي. لأنهنّ عجزن عن العثور على الحب، وهذا كلّ شيء.

السيد أورلا: الحب، الحب، ما الذي تعرفينه في سنّك، عن الحب؟

سيسيل: كلّ ما لا يتمّ تعلّمه عنه، يا سيدي، أي كلّ شيء تقريباً.

السيد أورلا (يقترب): طيّب، سأتولى تعليمك الباقي...

سيسيل (تتراجع): إنّ الكلمات التي تتفوّه بها، يا سيدي، لغريبة حقاً، ويتولاّني الارتباك لدى سماعها. أنزل قناعك الآن. فأنت تعلم جيّداً أنّي عرفتك رغم الظلمة. وابنتك التي تحبّك وتحترمك، ما عساها تقول

لو عرفت أنّك تكلّم على هذا النحو فنيات أُخَر في الظلام؟

السيد أورلا (يشعر بالمباغتة ثم يكشف عن وجهه): طيّب، أجل، هذا أنا، يا أرامنت، ما دمت قد عرفتني. أنا الذي أشتهيك منذ زمن طويل جداً. لقد عزمت على استباق هذا الاختطاف الهزلي لأنّي أعرف، أفضل ممّا تعرفين، أنّه لا يسعك أن تُحبّي ذلك الغرّ. أمّا عن سيسيل، فلا تقلقي بشأنها. إنّها طفلة لا تدرك شيئاً. فلنتركها وشأنها؛ سوف نودعها في ديرٍ ما، أو عند عمّتها. أمّا في هذه الليلة فسوف تتبعينني أنا. لأنّني أهواك. أتسمعين يا أرامنت، أنا هيمان بك، ولا يسعني الاستغناء عنك من بعد أبداً!

سيسيل (تقول بصوتها الحقيقي): منذ وقت طويل وأنا أعرف أنّك تحب أرامنت. أما إذا كنت تهواها على نحو ما تقول، فلمَ لا تتزوّجها، يا أبي؟

السيد أورلا (يجفل ويتراجع هاتفاً): يا أبي! من أنت إذن؟ يالك من طفلة شقيّة! هل يمكن أن يكون قلبك قد طاوعك على الاستهزاء بأبيك على هذا النحو؟

سيسيل: وهل أنا التي أقبلت نحوك، يا سيدي؟ هل أنا التي بادرت إلى ذلك الحديث الغريب؟

السيد أورلا : أيّتها الصغيرة الشقيّة! إنْسي على الفور كلّ ما قلته لك. فليس فيه شيء من الصحة البتّة!

سيسيل (بعذوبة): سيدي، بل أنا لم أسمع شيئاً قط.

السيد أورلا : واعلمي أنّي عرفتك أنا أيضاً ولم أشأ إلاّ أن أضعك في موقف مخجل!

سيسيل : ما الذي دعاك إذن إلى كل تلك المسرحية الطويلة. كان أكثر يسراً بالنسبة لك أن تقول لأرامنت بصوت عال إنّك تحبّها.

السيد أورلا : يا آنسة، ما أنتِ، بل والدك هو الذي يطرح عليك الأسئلة! ماذا تفعلين في الحديقة في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وأنت بعباءة السفر؟ ومن كان في نيّتك أن تقابلي، من قبل أن تعرفيني؟

أرامنت (وقد ظهرت مبتسمة): الفارس، يا سيدي، الفارس الذي يحبّها. وكان عازماً على اختطافها لكي يتزوّجها ويسعدها. ألم أُحطْك بذلك علماً؟

السيد أورلا : وتجرئين على الظهور إذاً، يا آنسة! إعلمي أنّ هناك قوانين معمولاً بها في هذه المملكة لصون شرف الآباء. وسوف يتولّى أناس غيري تقييم دورك في هذه القضية لأني عازم على إعلام القضاء بكلّ ذلك. يا

آنسة، كنتِ عازمةً على التواطؤ في مسألة دنيئة. الزواج شيء مقدس، وهذه حقيقة خذيها من فمي. فهو وحده الكفيل بتقديس الحب. أمَا كنتِ تخاطرين، وأنت توافقين على هذا الاختطاف الليلي، بجعل ابنتي واحدة من أولئك الفتيات الضّالات اللواتي أضحين شقيّات إلى الأبد حين جعلن الحب يتقدّم الواجب؟ أجيبي!

أرامنت: سيدي، كنتُ على نافذتي، أصغي إلى أقوالك قبل قليل، وأنت ترمي إلى إقناعي بعكس هذا. لقد قمتَ بدورٍ مشين جداً. فخير لك ألا تلحّ ولا تشهر مسدساتك حتى لا تجرح أحداً. ألم نتوصّل أنا وهي، نحن الفتاتين المسكينتين، إلى صون شرفنا من دونك - بل حتى حيالك في بعض الأحيان؟ لقد تولّت سيسيل مهمّة الردّ على حماقاتك بدلاً عنّي وعلى نحو ما كنت سأفعله بنفسي. ألن تمنحنا الآن شيئاً من الاحترام والثقة؟

السيد أورلا: تعالي أحتويك بين ذراعي، أيّتها الفتاة الرائعة! أجل، لقد كانت سيسيل عاقلة حقاً. وما دمتُ أحبّك، فلم لا أبوح لك بذلك وأتقدّم صراحة طالباً يدك؟ . . . لقد بتّ أعرف الآن أنك تحبيني أيضاً.

سيسيل : بوسعك أن تقبّلها ، يا سيدي ، وأنا سأدير ظهري .

السيد أورلا : شكراً يا سيسيل . لكنّي سأفعل ذلك بعذوبة حتى ليسعك أن تكوني شاهداً علينا .

(يبرز السيّد داميان ومعه معاوناه)

السيد داميان : هلّموا أيّها الأشداء ! هيّا نقبض عليه !

(يهجمون على السيد أورلا)

ها أنا أقبضُ عليك ، أيها السيد ، وأنت تعانق ابنتي . أقبضُ عليك بالجرم المشهود . عملية اختطاف باستخدام العنف . لن تفلت من الأشغال الشاقّة .

(يميّز السيد أورلا)

ما هذا؟ ما هذه الخيانة؟ أهذا أنت ، يا سيدي ، وقد باغتُّك ليلاً وأنت مستغرق في عناق أرامنت؟

السيد أورلا : سوف أوضح لك الأمر يا سيدي . . .

السيد داميان : أيّها السيد ، كنت أحسبك أباً ، فتبيّن لي أنّ الإغواء ديدنك ! هل ما سمعته كان حُلُماً ، أم أنّك حقاً كنت تقسم لي قبل قليل ، والمسدس في يدك ، على أن تصون شرف الأوانس؟

السيد أورلا ، (وقد بدأ يبرز تصرّفه وسط الضيق والارتباك) — سيدي ، الحب هو عذري . هذه العاطفة التي تطغى على كل شيء . . .

السيد داميان: قل ذلك لغيري، قلهُ للآخرين. فليس لكلامك عندي من رصيد. إذن أنت تستخفّ أيضاً بأكثر الأشياء قدسيّة؟ ألست واحداً من أولئك الرجال الطائشين الذين ينالون من سُمعة السيدات؟

السيد أورلا: كلا، يا سيدي. لكن هناك أحياناً ظروف يبدو الحب فيها...

السيد داميان: كلام فارغ! أنت أيها السيد، تتحدث إلى أب، فاحترس فيما تقوله. وهذه كلمة لا يصغون إليها. ولقد ارتكبتُ خطأً فادحاً حين وثقت بك، لأنّك في نهاية الأمر غلام، ليس إلاّ.

السيد أورلا: ولكن، يا سيّدي...

السيد داميان: إحترم شعري الأبيض! كان بوسعي أن أكون أباك أيها السيد.

أرامنت (وهي بين ذراعي السيد أورلا): شكراً، يا بابا! فلقد نطقت بكلمة رائعة تحفّزتي على حبّه.

السيد داميان: على حبّه! على حبّه! أليس لديكم جميعاً من كلمة أخرى تردّدونها؟ وهل أكون الوحيد بينكم قد تجاوزت سنّ الحب؟ سوف أجعلكم تدفعون الثمن غالياً أيّها الشباب.

السيد أورلا: لستَ منصفاً، يا سيدي. فأنت نفسك قد أحببت، وبُحْتَ لي بذلك قبل قليل. وفي العاطفة ما يطغي على كلّ شيء، لذا. . .

(يشاهدُ الفارس، بعد أن أخذت سيسيل المفتاح من أرامنت وأفرجت عنه، وهو يحتويها بين ذراعيه ويشرع في تقبيلها)

دقيقة واحدة، يا سيدي، انظر، هذا هو صاحبنا المتحذلق!

(يتوجّه صوبهما مغتاظاً)

أيّها السيّد. أنا لا أحلم. ها أنت تقبّل ابنتي، في حديقتي الخاصة، ليلاً، وأمام ناظريّ؟

الفارس: سيدي، إنّي أحبها!

السيد أورلا: هذا عذرٌ واه، أيها السيد!

الفارس: لكنّك كنت تقولُ لتوّك، إنّ الحب. . .

السيد أورلا: إنّها كلمة طيّعة جداً، أيها الفتى. وحين أتلفظ أنا بها، يصير لها معنى مغايرٌ تماماً للمعنى الذي تعنيه أنت. أواه! أيها الشاب المتبذّل، إنّي أعرف حقاً أية خطّة شريرة قد وضعتَ، لكنّي تدخلتُ في الوقت المناسب، والحمد لله. القانون لا بدّ أن يسود. وأنت تعرف الثمن الذي ستدفعه؟ سجن الأشغال الشاقّة، يا سيّد، سجن الأشغال الشاقّة. . .

الفارس : لكنّ قلبك لن يطاوعك ، يا سيدي! . . .

السيد أورلا : أنت ، يا سيد ، تكلّم الأب المسؤول عن صون شرف ابنته . الأب! كان ينبغي على ما في هذه الكلمة من مهابة وعظمة ، أن يوقفك عند حدّك .

السيد داميان (يقبض عليه) **:** وأنت بدورك ستدفع ثمن فعلتك! فأنا أب أيضاً ، أيها السيد . ولا تحاول أن تصرف نظرنا عن القضيّة ، بقصّة شرف ابنتك ، فأنا الذي أريد أن أحاسبك بشأن شرف ابنتي .

السيد أورلا : لكنّي قلت لك يا سيدي ، إنّي أحبّها! . . .

الفارس (يقول للسيد أورلا) **:** لكنّي أنا أيضاً ، يا سيدي ، قلت لك إنّي أحبّها! . . .

أرامنت (تتقدّم) **:** هذه التمثيليّة الصغيرة بدأت تطول أكثر من اللازم . ألا ترون أنّنا قلنا جميعاً ما فيه الكفاية؟ يا أبي ، إنّ السيد أورلا يريد أن يتزوّجني . وأنت يا سيدي ، هذا الفارس ، يشرّفه أن يتقدّم إليك طالباً يد ابنتك . ألا ترون أن بوسعنا جميعاً أن ننزع معاطفنا المعتمة هذه ، ونتوجّه لنواصل مناقشة كل ذلك في مكان آخر غير هذه الحديقة؟ . فالليلة باردة ، ويخشى أن نصاب كلّنا بالبرد . ناهيكم بأنّي قد أعددت عشاء .

(تصفّق بيديها، فيظهر خادمان حاملين شمعدانات. ثم تُضاء شموع أخرى داخل المنزل).

أرجو أن تكلّفوا أنفسكم عناء الدخول، فالمائدة موضوعة... بل هناك بعض العازفين الذين أحضرتهم خلسة، وأعددت في النهاية قالباً ضخماً من الحلوى لمناسبة إعلان الخطوبة وعليه أسماؤنا نحن الأربعة مكتوبة بخط زخرفي.

السيد أورلا: كنت تعلمين إذن أنّ الخاتمة ستكون على هذا النحو، أيّتها الفتاة الرائعة؟

أرامنت: كنت أعرف سرّ التمثيلية يا سيدي، والأمور على المسرح تنتهي دوماً علي أحسن ما يرام.

السيد أورلا (وهو يأخذ بذراع السيد داميان): يا سيد داميان، هيّا بنا إلى المائدة! وهذه هي الخاتمة الطبيعية في فرنسا. فالأعراس وحفلات العماد والمبارزات والمآتم وعمليات الاختلاس وقضايا الدولة، كلّ شيء يغدو مبرّراً لهذه الخاتمة. ناهيك بأنّ طاهيتي عبقريّة. فهي وحدها قمينة بجعلك تتمنّى مصاهرتي والدخول في أسرتي... ونادِ على سيّافيك أيضاً لكي يحضرا ويتناولا كأس شراب في المطبخ.

(ويقول للفارس)

وادْعُ سيّافيك أيضاً، أيها السيد، إذ يبدو أنّهما ينتظران لدى الباب الصغير.

الفارس: ألف شكر لك، يا سيدي! إلاّ أنّي لاحظت أنّهما السيّافان ذاتهما في الحالتين.

السيد داميان: كيف ذلك؟ سأعمل على شنقهما!

السيد أورلا (وهو يصطحبه)**:** سامحهما، يا سيدي. فهما السيّافان الوحيدان في مدينتنا الصغيرة وليس لديهما من عمل يذكر. . .

(يسير الجميع ضمن موكب في البيت المضاء، الذي تنبعث منه نفحات موسيقية. وفيما هم خارجون، تظلّ سيسيل متخلّفة، ويبدو عليها شيء من الإستياء. فيتوجّه الفارس إليها)

الفارس: طيّب، يا سيسيل، ها أنت تقعين على عتبة السعادة، ألا تريدين الدخول؟

سيسيل: إنّي أتّخذ الآن قراراً مصيرياً، يا سيدي.

الفارس: أقسم لك، يا حبيبتي، على أنّي لن أقبّل يديْ أرامنت من بعد أبداً.

سيسيل : إنا أتوّكل عليك في ذلك ، يا سيـدي . لكنّي فكّرت ملياً في كل ما قاله لي أبي قبل قليل . . . كنت في الواقع ساذجة جداً . . . غير أنّي بتّ أعتقد في نهاية الأمر أنّي أنا التي سأجعلك تتألّم .

(ثم تدخل ، فيتبعها الفارس والقلق بادٍ عليه ، والموسيقى تزداد وضوحاً وخفّة بينما الستار ينسدل) .

ستـار

ويليام بتلر ييتس

المسرحية السادسة

أرض يتوق إليها الفؤاد

مسرحية ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

William Butter Yeats

La terre du Désir du cœur

أما ييتس . . . فواحد من الرجال النادرين الذين يختلط تاريخهم الشخصي بتاريخ زمانهم، ويندمج إحساسهم بإحساس عصرهم، حتى لا يسعنا فهم ذلك العصر من دونهم.

إيليوت

لِمَ يخفق قلبك بكل تلك الشدة؟
كيف لا
وقد وقع بصري في منزل أحد الناس
على تمثال العزلة
وهو يمشي بخطى حزينة

ويليام بتلر ييتس

ويليام بتلر ييتس (١٨٦٥-١٩٣٩):

كاتب ارلندي. ولد في دبلن وأمضى طفولته في لندن. استهواه تاريخ إرلندا وفولكلورها وشعرها. فأسس اتحاداً للشعراء دعاه «رايمرز كلوب». كما استهواه كل من التيوصوفية (وهي نظرية إشراقية دينية موضوعها الاتحاد بالخالق)، والإخفائية (وهي الإيمان بالقوى الخفية وإمكان إخضاعها للسيطرة البشرية). وما إن عاد إلى إرلندا عام ١٨٩٦ حتى أسس المسرح الأدبي الإرلندي، بالتعاون مع الليدي غريغوري.

كتب ييتس في حياته مسرحيات عديدة وقام بإخراج أخرى. أما المسرح الذي أسسه، والذي انضمّ إليه جورج برناردشو فيما بعد، فقد ساهم في إنشاء مسرح وطني إرلندي.

في عام ١٩٢٣ فاز ييتس بجائزة نوبل للآداب.

عاشت الأميرة إيدن تارة بين الناس ، وبين السايدز أو الخالدين تارة أخرى . فقد اختطفها إله الحب أنغوس ثم عادت إلى الأرض. فقام زوجها السابق، الملك ميدهير، باصطحابها مجدداً إلى عالم السايدز .

وتتجلى خاتمة هذه الأسطورة في «أرض يتوق إليها الفؤاد» .

مادلين جيبير

الشخصيات:

مورتين بروين - شون بروين

بريجت بروين - ماري بروين

الأب هارت - جنّيّة صغيرة

يجري المشهد الأول ضمن ملكية البارون كيلماكوفن، التابعة للكونت سيلغو، في زمن متأخر جداً.

أمامنا قاعة على يمينها مخدع عميق. يشاهد موقد في وسط المخدع ثم مقاعد ومائدة وصليب معلق على الجدار. لهيب النار يضيء المخدع. وعلى اليسار، يواجه الجمهور باب مفتوح. ثم مقعد على اليسار أيضاً. يمكن أن نلمح الغابة عبر الباب المفتوح. الجو معتم. غير أن القمر، أو بقية من أشعة الشمس الغاربة تلتمع عبر الأشجار فينفذ النظر بعيداً إلى عالم غامض ومجهول. يجلس مورتين بروين، وشون بروين وبريجت بروين في المخدع حول المائدة أو قرب النار. ويرتدون ملابس أحد العصور المتأخرة. ويجلس على مقربة منهم، كاهن مسن، هو الأب هارت، بلباس راهب. تشاهد على المائدة بعض ألوان الطعام والشراب. تقف ماري قرب الباب وهي تقرأ في كتاب، ويسعها حين ترفع نظرها أن تشاهد الغابة عبر الباب المفتوح.

بريجت : طلبت إليها أن تنظّف القصعات للعشاء، وها هي تنزل ذلك الكتاب العتيق، من تحت القش، لتظل منكبّة عليه منذ تلك الساعة. لو كان عليها أن تعمل مثل الأخريات، أيها الأب هارت، لأصمّت آذاننا بتأوّهاتها وشكواها. أو أن تنهض مثلي عند الفجر ترقّع الثياب وتجلي الأواني، بل أن تمضي مثلك على متن فرس في قلب العاصفة وسط الظلام، متأبّطاً حُقّة القربان المقدس.

شون : أماه، أنت ساخطة بشكل فائق الشدة.

مورتين (يقول للأب هارت): من الطبيعي أن يقف الشباب إلى جانب الشباب. فهي تدخل في خصام مع زوجتيْ من وقت لآخر. أما الآن فتلك هي مأخوذة تماماً بذلك الكتاب العتيق! لكن لا تكوني شديدة القسوة عليها. استنظريها عشرة شهور فقط بعد الزواج، ترَيْ أنها أكثر سكينة من فطر في حضن شجرة.

الأب هارت : يظل قلبهن بريّاً مثل قلب الطيور حتى يوم مجيء الأطفال.

بريجيت : ليست بها من رغبة إلا في مراقبة القدر على النار أو حلب البقرة أو حتى في بسط الغطاء وترتيب الأدوات فوق المائدة.

بريجت: زوجتك هي السبب. وأنت تخشى معارضتها فتقف في صفها.

شون: أماه، لو أنّك فقط . . .

مورتين: يا شون، هذا الإبريق نصفه فارغ. هيّا ائتنا بقارورتنا الفضلى.

الأب هارت: لم أرها تقرأ البتة. فما حقيقة هذا الكتاب؟

مورتين (يقول لشون): لكن ماذا تنتظر؟ حاذر أن تهزّها وأنت تنتزع السدادة، فهذا نبيذ ثمين. لا تستعجل (يخرج شون. يقول للكاهن) أقبل مركب إسباني ليغرق عند رأس أو كريس، من أيام شبابي، ولا يزال لديّ منه بضع قوارير. إنّه لا يقوى على احتمال أحد وهو يوجّه اللوم لزوجته. فذلك الكتاب لبث تحت القش خمسين عاماً. وجدّي، حسب قول والدي، هو الذي كتبه. بل إنه ذبح عجلة ليستخدم جلدها في تجليده. غير أنّ العشاء صار جاهزاً فيسعنا أن نتبادل الحديث ونأكل في آن معاً. وهو لم يجن كبير نفع من هذا الكتاب الذي لم يؤدّ إلاّ لملء بيته بالمتشردين وعازفي الكمان ومنشدي الموشّحات وأناس على تلك الشاكلة. تفضّل فالفطيرة الساخنة هنا أمامك. يا صغيرتي، ماذا تجدين في هذا الكتاب من الروائع حتى تدعين الخبز يتبرّد؟ لو انهمكنا أنا ووالدي في قراءة الكتب أو كتابتها، ما توفّرت

ذخيرة ملأى بالجنيهات الذهبية لشون ولك من بعد موتي .

الأب هارت : ليس لكِ أن تملئي رأسك بأحلام جنونيّة . قولي ماذا تقرئين؟

ماري : أقرأ عن أميرة اسمها إيدن ، وهي ابنة أحد ملوك ارلندا ، وكيف سمعت صوت غناء في أمسية من أماسي شهر أيار ، مثل أمسيتنا هذه . فتبعت الصوت وهي بين اليقظة والمنام ، إلى أن بلغت بلاد الجان - حيث لا يصير أحد عجوزاً أو ورعاً أو مهيباً . هناك حيث لا يصير أحد عجوزاً أو ماكراً أو حكيماً . هناك حيث لا يصير أحد عجوزاً ، أو عنيف الكلام . وهي ما تزال هناك لا شاغل لها سوى الرقص في أعماق غابة ظليلة ، يرطّبها الندى ، أو فوق قمة جبل مكلّل بالنجوم .

مورتين : أقنع الصغيرة بأن تضع ذلك الكتاب جانباً . فتلك هي نفس الحكايات التي كان يقصّها جدي . وهو الذي كان لا يجيد التمييز بين كلب وحصان ، وينخدع بسهولة على يد أيّ شخص تافه . قل رأيك في ذلك ليس إلاّ .

الأب هارت : دعي عنك هذا يا ابنتي . فالله بسط السماوات فوقنا مثل أجنحة عظيمة ، ومنحنا حلقة ضيّقة من الحركات والأيام . غير أنّ الملائكة الأشرار يأتون من بعد

لينصبوا الفخاخ ويزيّنوها بآمال واهية وأحلام ثقيلة، إلى أن يمتلئ القلب بالخيلاء فيبتعد عن السلام الإلهي وهو من الرعدة والفرح بين بين. فلقد تولّى أحد الملائكة الأشرار أغراء قلب إيدن بكلمات معسولة. وأنا، يا صغيرتي، شاهدت فتيات أخريات في حال من الضيق وقد استبدّ بهنّ القلق. غير أن السنين مرّت، فصرن مثل جاراتهن، يسعدهن الاهتمام بالأطفال والعمل في مخض اللبن والتخطيط للزيجات والممازحة في السهرات. وما الحياة إلا توهّج أحلام عنيف في البداية، يتلوه نور كامد منسوج من ساعات كامدة، إلى أن تحين الشيخوخة فتأتي مجدّداً بتوهّج عنيف.

مورتين: ذاك صحيح. بيد أنّها أصغر من أن تعرف أنّ ذاك صحيح.

بريجت: إنها كبيرة بما يكفي لتعرف أنّ من السوء أن ينحطّ المرء في البطالة.

مورتين: ليس لديّ ما ألومها عليه كثيراً. فهي تبدو حزينة حين يكون ولدي في الحقل. قد يكون ذلك هو السبب، ولتتحاشى أيضاً حدّة لسان هذه المرأة الطيبة، فتأوي إلى أحلامها، مثل الأطفال الذين يخشون الظلمة تحت أغطية أسرّتهم.

بريجت: لو لزمتُ الصمت لما قامت بشيء قط .

مورتين: وقد يكون طبيعياً أن يحلم المرء بالجان عندما يأتي المساء في شهر أيار . لكن أخبريني ، يا صغيرتي ، ألديك غصن المرّان البريّ الذي تعلّقه النساء فوق أبوابهنّ لتتولّى الجنيّات حماية المنزل؟ تذكّري أنّ بوسعهن اختطاف المتزوجات حديثاً ، بعد ساعة الأصيل في الأماسي من أيار ، وإلاّ فكلّ ما تهرف به العجائز قرب النار ليس إلا لُمامة من الأكاذيب .

الأب هارت: قد تكون حقيقة . فنحن لا نعرف مدى القدرات التي وهبها الله لتلك الأرواح الشريرة ، من أجل غاية نجهلها . (يقول لماري) أنت على حق ولا بأس في الحفاظ على عادات قديمة وبريئة .

أخذت ماري بروين غصن مرّان بري وعلّقته على مسمار مثبت في ركيزة الباب . فخرجت من الغابة بنت صغيرة بملابس غريبة ، ربما خضراء كثياب الجنيات ، وأخذت الغصن .

ماري: ما كدت أعلّقه على مسمار حتى ظهرت طفلة كأنّها محمولة على جناح الريح فحملت الغصن بيدها لتمسّده بلطف .

الأب هارت: بنت من عساها تكون تلك الطفلة؟

مورتين: ليست بنت أحد، بل ماري تتخيّل غالباً أنّ أحداً ما يمرّ بجانبها. والأمر لا يعدو هبّة ريح. وها هو وجهها شاحب شحوب ماء البحيرة قبل أن يطلع النهار.

ماري: لقد أخذوا المران البري. ولن يكون ذلك فأل خير على المنزل. لكن يبقى من دواعي سروري أني كنت لطيفة حيالهم. أو ليسوا أبناء الله أيضاً؟

الأب هارت: يا صغيرتي، إنّهم أبناء إبليس، وسلطتهم سوف تدوم حتى غاية الزمان. وعندها يشن الله عليهم حرباً منظمة ويقطّعهم إرباً إرباً.

ماري: قد يبتسم، يا أبتِ، فيفتح بابه على أقصى مداه.

الأب هارت: لو وقع فقط نظر أولئك الملائكة المتمرّدين على ذلك الباب، لسقطوا مصعوقين بفعل السلام الأبدي. وحين يقرع أمثال أولئك الملائكة أبوابنا، يمضي الذين يتبعونهم إلى ملاقاة العواصف ذاتها.

يظهر ذراع هزيل وعجوز لدى الباب فيقرع ويومىء. وهو يشاهد بوضوح وسط الضياء الفضي. فتتوجّه ماري بروين صوب الباب وتظلّ هناك لحظة، ساكنة. أمّا مورتين بروين فمنشغل بملء طبق الأب هارت بالطعام. وبريجت بروين توقد النار.

ماري (تعدو صوب المائدة) **:** في الخارج واحدة ما، أو مأت إليّ. رفعت يدها كأنّها تمسك بكوب وتريد أن تشرب. ذلك أنّها قد تكون عطشى.

(تأخذ شيئاً من اللبن عن المائدة وتمضي نحو الباب)

الأب هارت: قد تكون تلك الطفلة التي لم تصدّقوا أنّها هناك قبل قليل.

بريجت: وربما، يا أبتِ، إنّ ما قاله صحيح. فليس في السنة من مساء بمثل هذا الشؤم.

مورتين: ليس لشيء أن يصيبنا بضرٌ ما دام الكاهن الصالح تحت سقفنا.

ماري: ما أشدّ غرابتها من عجوز صغيرة الجسم، لباسها كله بلون أخضر...

بريجت: تطلب الجنيات لبناً وناراً مع حلول شهر أيار. والويل للمنزل الذي يلبّي طلبهن، لأنّه يقع تحت سلطانهن حتى نهاية السنة.

مورتين: صمتاً، يا امرأة، صمتاً.

بريجت: لقد أعطت اللبن. كنت أعلم حقّ العلم أنّها ستجرّ الويل على المنزل.

مورتين: من هي؟

ماري: كل ما فيها غريب، كلامها ووجهها.

مورتين: أقبل غرباء في الأسبوع الفائت على كلوفرهيل. لا بد أن تكون منهم.

بريجت: أنا خائفة.

الأب هارت: ما دام الصليب معلّقاً هنا فسوف يبعد كل شرّ عن المنزل.

مورتين: تعالي، يا صغيرتي، فاجلسي هنا بقربي، وأبعدي عنك أحلام الاستياء تلك. فبودّي أن تضيئي أيامي الأخيرة مثل البارقة الصالحة المنبعثة من فحم التورب. وبعد أن أموت تضحين أغنى امرأة في المنطقة. فلديّ دخيرة ملأى بالجنيهات الصفراء، مخبّأة حيث لا يسع أحداً العثور عليها.

بريجت: أنت تنخدع بكل الوجوه المليحة. فعليّ أنا أن أوفّر وأضيّق على نفسي، من أجل أن تحظى زوجة ابني بكافة الأشكال من أشرطة الزينة لشعرها.

مورتين: لا تكوني ساخطة. فهي فتاة طيّبة! تناول الزبدة بقربك؛، أيها الأب هارت. يا صغيرتي، ألم يسعفنا كل من القدر والزمان وحسن الطالع، أنا وهذه العجوز بريجت؟ فنحن نملك مئة فدان من الأراضي الخصبة. وها نحن جالسان جنباً إلى جنب أمام النار. هذا الكاهن المحترم صديقي. وأنا أرى وجهك ووجه ابني

- فقد وضعنا طبقه بالقرب من طبقك - وها هو قادم إلينا يحمل الشيء الوحيد الذي نحتاجه: النبيذ الفاخر وبكثرة. (يدخل شون) حرّك النار وضع شيئاً من فحم التورب الجديد حتى يتوقّد. فالنظر إلى دخان التورب وهو يتصاعد من النار والإحساس بالقلب مفعماً راحة وحكمة، لهما أفضل ما في الحياة. فحين يكون المرء فتياً يطمح إلى السير على درب لم تطأه من قبله قدمان. ثم ما يلبث أن يعثر على الدرب القديم الذي يمر عبر الحب ورعاية الأطفال، حتى تحين الساعة التي ينبغي أن نقول فيها وداعاً للقدر والزمان والطالع الحسن.

تأخذ ماري كتلة من فحم التورب من قلب النار وتمضي خارجاً. يخرج شون ليلحق بها فيلقاها راجعة.

شون: ما الذي دعاك للذهاب وسط نداوة الغابة؟ فجذوع الأشجار ينساب بينها شبه ضياء يسبّب رعدة في الأوصال.

ماري: ذلك أن عجوزاً قصير القامة غريب الشكل أومأ إليّ يريد ناراً ليشعل غليونه.

بريجت: ها أنت أعطيت لبناً وناراً في هذا المساء الأكثر شؤماً في السنة، فتسبّبت بالويل لهذا المنزل دون ريب. فقبل الزواج كنت عاطلةوعلى استعداد للتجوّل بأشرطة تزيّن

شعرك. أما اليوم - كلا، يا أبتِ، سأمضي بفكرتي حتى منتهاها - فغدوت امرأة لا يسعها أن تلائم أي زوج.

شون: على رسلك، يا أمي.

مورتين: بلغ بك السخط مبلغاً كبيراً.

ماري: وما همّني إذا أبحتُ للجان هذا المنزل الذي لا أسمع فيه طول النهار غير مرير الكلام!

بريجت: تعلمين حقّ العلم أنّ ذكرهنّ أو الإفراط في الكلام عليهنّ ليس إلاّ، يمكن أن يكون كافياً لجرّ كافة أشكال الويلات.

ماري: اهرعن إليّ، أيتها الجنيات، وخذن بيدي بعيداً عن هذا المنزل الكئيب! أعدن إليّ الحرية التي فقدتها كلها. ولأكن قادرة على العمل حين يروق لي، وأن أظلّ عاطلة حين يروق لي! أيتها الجنيات، اهرعن إليّ واحملنني بعيداً عن هذا العالم الكئيب. بودي أن أمتطي بصحبتكن صهوة الرياح، لأجري فوق ذروة الموج المتلاطم وأرقص فوق الجبال كلهيب النار.

الأب هارت: أنت لا تدرين ماذا تقولين.

ماري: انتابني السأم، ياأبتِ، من هذه الألسنة الأربعة. فلسان مفرط في البراعة والحكمة ولسان مفرط في التقوى

والوقار ولسان أكثر مرارة من الموجة، واللسان الأخير يفيض حباً لا مبالياً، يفيض بالحب الفاتر وبعبوديتي.

يقودها شون بروين نحو مقعد خشبي على يسار الباب

شون: لا توجّهي إليّ إية ملامة. فغالباً ما أظلّ متيقظاً أتفكّر في أنّ كل شيء يسبّب الألم لهذا الرأس المتألق - ألا كم هو جميل - وتلك الجبهة الواسعة الشاحبة تحت تلبّدات الشعر المزدهر! تعالي هنا واجلسي بقربي! فلقد تقدمت بهم السن كثيراً حتى نسوا أنّهم كانوا يوماً في سنّ الشباب.

ماري: آه! أنت في هذا المنزل إطار الباب، أما أنا، فغصن المرّان البرّي. وبودّي أن أبقى معلّقة على هذا الباب، إن كان ذلك بمستطاع، إلى أن أجتذب السعادة إلى هذا المنزل.

تمضي لتحيطه بذراعيها، لكنّها ترمق الكاهن بنظرة خجلى فتسبل ذراعيها.

الأب هارت: يا ابنتي، خذي بيده. فبالحب وحده يوحّدنا الله وإيّاه، ومع الأسرة التي تقينا من تلك الصحارى النائية عن سلامه، ومن الحرية التي تذهب بالعقل، ومن الضياء المعمي للبصر.

شون: ليت العالم كان ملك يميني كي أهبك إيّاه، لا بمنازله المطمئنة فقط، بل بكل ما في الضياء والحرية من مبهر، إن كنتِ راغبة فيه.

ماري: كنتُ أمسكت بهذا العالم وحطّمته بكلتا يديّ، لأراك تبتسم، فيما هو يتناثر شظايا.

شون: عندئذ سوف أصوغ عالماً من النار والندى لا يتفوّه فيه أحد بمرير الكلام ولا أحد فيه متجهّم أو مفرط في الحكمة. وحيث لا يقوى عجوز أو دميم على إلحاق أي ضير بك. وسوف أعمر عزلة السماء النشوى بمشاعل متوهّجة في سبيل محيّاك.

ماري: لا أريد من مشاعل سوى عينيك.

شون: فيما مضى كانت رقصة ذبابة في شعاع الشمس، أو زفرة خفيفة من ريح الفجر قادرة على أن تملأ قلبك بأحلام لا يعرفها سواك. أما الآن، فقد مزج السرّ الأقدس الذي لا تنفصم عراه، ما بين قلبك المفعم برودة وزهواً، وقلبي المتأجّج. لا بد للشمس والقمر من أن يتواريا ذات يوم ولا بدّ للسماء من أن تطوى كالملف، أما روحك البريئة فسوف تظلّ متحدةّ بروحي إلى الأبد.

يُسمع صوت غناء في الغابة

مورتين: هناك صوت غناء... ولكن، ليست سوى طفلة. كانت تغني: «أما القلوب المنزوية فتذبل وتموت». إنّها لأغنية غريبة بالنسبة لطفلة. ولكن يا للصوت العذب! أصغوا! أصغوا!

يتوجّه صوب الباب

ماري: ابق بالقرب مني: فلقد تفوّهت بأشياء رهيبة جداً هذا المساء.

الصوت:

«تهبّ الريح وتندفع من أبواب النهار.
«تهبّ الريح على القلوب المنزوية.
«تذبل القلوب المنزوية وتموت.
«بينما ترقص الجنيات بعيداً.
«تجري أقدامهن البيضاء كاللبن، في حلقات الرقص.
«والريح تضحك في آذانهن وتهمس وتنشد.
«تلك بلاد فيها الشيخوخة جميلة أبداً.
«والحكمة جذلى.
«لكن قصبة من كولاني قالت لي:
«حين تضحك الريح وتهمس وتنشد
«تذبل القلوب المنزوية وتموت».

مورتين: إنّي سعيد وأتمنى أن يكون الجميع كذلك أيضاً.

يدعو الجنيّة الصغيرة للدخول

الطفلة: إني مرهقة من الريح والمياه والأضواء الشاحبة.

مورتين: ليس ذلك بغـريب. فـالغـابة باردة في الليل والمرء يضل طريقه بسرعة. لكنك هنا على الرحب والسعة.

الطفلة: أنا هنا على الرحب والسعة. أما حين أغدو مرهقة من هذا المنزل الصغير الدافئ، فأعرف واحداً من هنا سوف يتبعني، سوف يتبعني...

مورتين: أصـغـوا إلى هذا الكلام الغـريب والغـامض. ألا تشعرين بالبرد؟

الطفلة: سأبقى لا طيـة هنا بقربك. ذلك أني قطعت مسافة طويلة هذا المساء.

بريجت: ألا كم أنت رائعة.

مورتين: شعرك مبلّل تماماً.

بريجت: قدماك متجمدتان. سوف أدفئهما.

مورتين: لا بد أنك قادمة من بعيد، من بعيد جداً حقاً - فأنا لم أرَ قط وجهك الجميل من قبل. ينبغي أن تكوني متعبة وجائعة. هاك خذي شيئاً من الخبز والنبيذ.

الطفلة: النبيـذ حـامض. أليس لديك، يا جدتي، من شيء حلو تقدمينه لي؟

بريجت: لديّ عسل.

تذهب إلى الحجرة المجاورة

مورتين: إنك لساحرة. فالوالدة كانت متعكرة المزاج كثيراً قبل وصولك.

تعود بريجت ومعها العسل، وتسكب شيئاً من اللبن في قصعة

بريجت : لا بد أن تكون من أســـرة غنيّة . لاحـظـوا يديـهـــا البيضاوين وثيابها الجميلة . لقد جئتك بلبن طازج . لكن انتظري قليلاً حتى أضعه على النار . ذلك أنّ ما يكفينا، نحن الناس المسـاكين، لا يلائم طفلة عـريقــة النسب مثلك .

الطفلة : منذ ساعة قيامك بإشعال النار عند الفجر، يا جدتي، وأنت تؤذين أصابعك بالعـمل . فـبـوسع الشـبـاب أن يتأخروا في السرير ليحلموا ويأملوا أما أنـت، فعليك إيذاء أصابعك بالعمل : إنّ قلبك لمسنّ جداً .

بريجت : الشبيبة عاطلة .

الطفلة : ذكرياتكَ جعلتكَ حكيمـاً، يا جـدّي . فـالشـبـاب يلاحـقـون الأوهام وهم يتنّهـدون، أمـا أنت، فـرجل حكيم . إنّ قلبك لمسنّ جداً .

بريجت تعطيها مجدداً خبزاً وعسلاً

مورتين : هل من يعتقد أن طفلة صغيرة جداً تحبّ الناس المسنّين والحكمة!

الطفلة : حسبي، يا جدتي .

مورتين : أيّة لقـمة صـغيـرة تلك! الآن أضـحى اللبن جـاهزاً . (يقدمه لها) . أيّة جرعة صغيرة تلك!

الطفلة : أعينيني على وضع حذائي، يا جدتي. بودّي الآن أن أرقص، بعد أن أكلت. فالقصب يرقص على ضفاف بحيرة كولاني. بودّي أن أظل أرقص، إلى أن تغفو الأمواج البيضاء والقصب، وقد هدهدها رقصها.

(بريجت تضع لها حذاءها، وتهمّ الطفلة بالرقص، لكنّ بصرها يقع بغتة على الصليب فتطلق صرخة حادّة وتحجب عينيها). ما هذا الشيء المروّع فوق الصليب الأسود؟

الأب هارت : أنت لا تدين كم هو طالح ما تتلفّظين به! فذاك هو سيدنا الحبيب.

الطفلة : أخفوه!

بريجت : ها إنّ خوفي يعود إليّ!

الطفلة : أخفوه!

مورتين : سيكون ذلك الفعل شرّاً!

بريجت : سيكون تدنيساً للمقدسات!

الطفلة : صورة التعذيب تلك! أخفوها!

مورتين : إنّما المذنبون أهلها.

الأب هارت : تلك هي صورة ابن الله.

الطفلة (وهي تلاطفه) **:** أخفوه، أخفوه.

مورتين: كلا، كلا.

الأب هـارت: أنت صغيرة جداً. بل أنت أشبه بطائر يفزعه أدنى حفيف للأوراق. سوف أرفعه.

الطفلة: أخفوه حتى لا يراه أحد ولا يتفكّر فيه من بعد!

ينزع الأب هارت الصليب عن الجدار ويحمله إلي الحجرة المجاورة.

الأب هـارت: ما دمت هنا في منطقتنا فسوف أرشدك إلى إيماننا القويم. فأنت ذات فكر نشيط وسوف تتعلّمين على أحسن صورة. (يقول للآخرين) علينا أن نتعامل بنعومة مع كل ما يزال برعماً. فخالقنا لم يشأ أن تسبّب صورة الآلام أي تشوّش في نجوم الصباح وهي في مطلع إنشادها.

يضع الصليب في الحجرة المجاورة

الطفلة: الأرض هنا مستوية تماماً. سوف أرقص. (تغنّي)

«تهبّ الريح وتندفع من أبواب النهار.

«تهبّ الريح على القلوب المنزوية.

«تذبل القلوب المنزوية وتموت.

(ترقص)

ماري (تقول لشون) **:** لقد اقتربَتْ مني قبل قليل فحسبت أنّي أسمع أيضاً وقع أقدام أخرى تضرب الأرض بإيقاع. وسمعت أيضاً ما يشبه الموسيقى وسط الريح: هناك شبّابات غير مرئية تصاحب رقصها.

شون: أنا لم أسمع من شيء غير وقع أقدامها.

ماري: أمّا أنا، فأسمعها الآن تماما. إنّ أرواح الجحيم ترقص داخل المنزل.

مورتين: اقتربي، فأن تعديني بألاّ تقولي سوءاً بحقّ الأشياء المقدسة أُعطِك شيئاً ما.

الطفلة: أعطني، يا جدي.

مورتين: إنّها شرائط اشتريتها من المدنية لزوجة ابني؛ لكنها تقبل عن طيب خاطر أن أعطيك أيّاها لتعقدي بها شعرك هذا الذي بعثرته الريح.

الطفلة: هيّا، قل لي، هل تحبني؟

مورتين: أحبّك بكل تأكيد.

الطفلة: آه! غير أنّك تحب أيضاً زاوية النار هذه. هل تحبني؟

الأب هارت: حين يودع الرب، تجلّت قدرته، شيئاً كثيراً من فتوّته الأزلية في إحدى مخلوقاته، فلا يسعنا أن ننظر إليها دون حب.

الطفلة: إلا أنك تحبه، «هو»؟

بريجت: إنّها تجدّف.

الطفلة: وأنت، هل تحبيني أيضاً؟

ماري: لست أدري.

الطفلة: هذا الشاب هو الذي تحبينه. غير أنك تستطيعين معي أن تمتطي صهوة الريح وأن تجري فوق ذروة الموجة الصاخبة أو الرقص على الجبال مثل لهيب النار.

ماري: يا ملكة الملائكة والقديسين الأبرار احمينا. سوف يحصل شيء رهيب. فقبل قليل اختطفَتْ غصن المرّان البرّي.

الأب هارت: إنّما هذرها الغريب هو الذي يفزعكم. وهي لا تعرف أكثر من ذلك. فكم هو عمرك يا ابنتي؟

الطفلة: أثناء نوم الشتاء يغدو شعري أكثر صفاء وقدماي أقلّ ثباتاً. ومع البراعم الأولي، تحملني أمي في ذراعيها الذهبيتين. وعمّا قريب أغدو امرأة فأتزوج من أرواح الغابة والمياه. لكن من عساه يعرف يوم مولدي؟ لا بد أن أكون أكبر سناً من النسر الذي عيناه تومضان، تومضان فوق جبال بالي - غولي. علماً أنه الأطول عمراً بين الكائنات تحت القمر.

الأب هارت: إنّها قادمة من بلاد الجان.

الطفلة: انطلق النداء فبعثتُ برسل يأتون باللبن والنار. ثم انطلق النداء مجدداً، فجئت بنفسي.

يظل شون وماري في مكانيهما أما مورتين وبريجت فيتجمّعان وراء الكاهن ليحميهما.

شون (واقفاً): كلهم هناك خاضعون لإرادتك، أما أنا فقاومت سحرك. فلم تنتزعي مني أمنية أو هدية تضعني تحت سلطتك. سوف أطردك من المنزل.

الأب هارت: كلا، بل أنا الذي سأتصدّى لها.

الطفلة: الآن، وقد رفعتم الصليب، غدوت أنا الجبّارة. ولن يستطيع أحد منكم دون إرادتي، أن يمرّ حيث رقصت قدماي، وحيث دارت أصابعي في الهواء.

يسعى شون للاقتراب منها لكن دون جدوى

مورتين: انظروا، انظروا! لكأن شيئاً يوقفه أوأنّ يديه تصطدمان بجدار من زجاج.

الأب هارت: عليّ أنا أن أتصدّى لهذه الروح القادرة. لا تخشوا شيئاً، فالله الأب معكم والقديسون الشهداء والأبرار والمجوس العابدون وعليهم دروع من الزرد. والذي مات ثم قام في اليوم الثالث، والمراتب الملائكية التسع كلها.

(تركع الطفلة على المقعد الخشبي بجانب ماري وتطوّقها بذراعيها)

يا ابنتي استعيني بالملائكة والقديسين.

الطفلة: تعالي معي أيتها العروس الصغيرة. وسوف تلقين محفلاً بهيجاً: هناك نْوالا بذراعيها الأبيضين، وأنغوس ومعه طيوره، وفْياكرابالرغوة الوثّابة، وفينْوارا زعيم عصبتهم الخارقة. وسوف تعرفين بصحبتهم الأرض التي يتوق إليها الفؤاد. هنالك الحسن لا يذوي والموت لا يحرز النصر أبداً. هنالك الحكمة فرح. وليس الزمان سوى أنشودة أبدية. سوف أمنحك هذه القبلة، ثم انظري كيف يبدأ العالم بالتلاشي.

شون: اخرجي من هذا الحلم. أغمضي عينيك وسدّي أذنيك.

الأب هارت: كلا، بل ينبغي أن تنظر وتصغي جيداً. فلا يمكن أن ينجيها الآن إلا اختيار بكامل روحها. تعالي إليّ يا ابنتي وظلي بقربي. فكري في هذا المنزل وما عليك من واجبات حياله.

الطفلة: حسبك وتعالي معي، أيتها العروس الصغيرة. فإن أصغيت إليه كان مصيرك مصير النساء الأخريات: تحملين بأطفال، وتعدّين الطعام وينحني ظهرك وأنت

تمخضين اللبن وتجادلين بشأن أسعار الزبدة والدواجن والبيض. وأخيراً تشيخين والمرارة تملأ نفسك وتقعدين تنتظرين قدوم الموت وأنت منطوية على نفسك والرعدة تهزّ أوصالك.

الأب هارت: يا ابنتي، إنّما أدلُّك على درب السماء.

الطفلة: أما أنا، أيتها العروس الصغيرة، فسوف أقودك إلى بلاد ليس من أحد فيها عجوزاً أو ماكراً أو حكيماً، حيث لا يصير المرء عجوزاً أو تقياً أو مهيباً، وحيث لا يصير أحد عجوزاً أو مرير الكلام. بلاد ليس الكلام العذب فيها استعباداً: فنحن لا نخضع لشيء إلاّ لأفكارنا العابرة.

الأب هارت: أستحلفك باسم المصلوب، يا ماري بروين، أن تُقْبلي صوبي.

الطفلة: أما أنا، فباسم قلبك أحتفظ بك.

الأب هارت: لقد أبعدت الصليب، لذا لم يبق من شيء لديّ، لم تبق لي أيّة سلطة. سأمضي لإحضاره.

مورتين (متشبّثاً به): كلا.

بريجت: لا تتخلّ عنّا.

الأب هارت: دعوني أمضي قبل فوات الأوان. فخطيئتي وحدها تسببّت في كل شيء.

يُسْمَعُ غناء خارجاً.

الطفلة: أسمعهم وهم يغنون: «تعالي أيتها العروس الصغيرة، تعالي صوب الغابات والمياه والضياء الباهتة».

ماري: أريد أن أتبعكِ.

الأب هارت: لقد ضاعت، يا للأسف.

الطفلة (واقفة قرب الباب): وعليك أن تخلّفي الأمل الأنساني العنيد وراءك: فنحن الذين نعلو صهوات الرياح، ونعدو فوق الأمواج ونرقص فوق الجبال، أخفّ وزناً من قطرات الندى على بيارق الفجر.

ماري: آه، احمليني معك.

شون: أيتها الحبيبة، أريد أن أحتفظ بك. فلديّ ما هو أفضل من الكلام، لدي ذراعان تمسكان بك. وعبثاً تحاول عصبة الجان كلها، فلن أدعك تفلتين من بين ذراعيّ.

ماري: هذا الوجه الحبيب - هذا الصوت الحبيب.

الطفلة: تعالي، أيتها العروس الصغيرة.

ماري: أحببت بلاده على الدوام - ومع ذلك - ومع ذلك.

الطفلة: أيها الطائر الأبيض، أيها الطائر الأبيض، تعال معي، أيها الطائر الصغير.

ماري: إنها تناديني.

الطفلة: تعال معي، أيها الطائر الصغير.

تُشاهدُ في الغابة بعيداً، ظلال وهي ترقص

ماري: أسمع أغاني ورقصات.

شون: ظلّي معي.

ماري: أعتقد أنّي أودّ البقاء.. ومع ذلك... ومع ذلك...

الطفلة: تعال، أيها الطائر الصغير، ذو العرف الذهبي!

ماري (بهدوء شديد): ومع ذلك...

الطفلة: تعال، أيها الطائر الصغير ذو القدمين الفّضيّتين!

ماري بروين تموت والطفلة تمضي

شون: لقد ماتت.

بريجت: أشح بوجهك عن تلك الصورة. لقد مضت جسداً وروحاً. إنّما أنت تضمّ بين ذراعيك كومة من الأوراق الميتة أو جذع مرآنة اتخذت صورتها.

الأب هارت: وعلى هذا النحو تأتي الأرواح الشريرة لتلتقط فريستها من يد الله تقريباً. أما سلطتهم فتغدو كل يوم أكبر، والناس يتخلّون عن الدروب القديمة حينما يقبل الخيلاء ليطرق باب قلبهم بأصابعه الناحلة.

تشاهد ظلال وهي ترقص خارجاً وشيء يشبه طائراً أبيض. وتسمع أصوات وهي تنشد.

تهبُّ الريح وتندفع من أبواب النهار
تهبُّ الريح على القلوب المنزوية
والقلوب المنزوية تذبل وتموت
بينما ترقص الجنيات بعيداً
تجري أقدامهن، البيضاء كاللبن، في حلقات الرقص
والريح تضحك في آذانهن وتهمس وتنشد
تلك بلاد فيها الشيخوخة جميلة أبداً
والحكْمة جذلى
لكن قصبة من كولاني قالت لي:
حين تضحك الريح وتهمس وتنشد
تذبل القلوب المنزوية وتموت.

***

ستار

ميشيل دوغلدرود

المسرحية السابعة

اسكوريال

دراما ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Michel de Ghelderode

Escurial

الشخصيات:

الملك:

هو ملك مريض، شاحب اللون، ذو تاج متقلقل وملابس درنة. تتدلى من عنقه، وتشاهد بيديه، مجوهرات حجارتها مزيفة. إنه ملك مضطرب مهووس بالسحر الشيطاني والشعائر الدينية. وهو ذو أسنان متسوّسة. أما الرسام الأخرق الغريكو فقد رسم له صورة.

فوليال:

هو المهرّج بخلعته ذات الألوان الغامقة. يمشي بساقيه الملتويتين مشية عنكبوت مع مظهره الرياضي. أصله من منطقة الفلاندر. تضيء رأسه الأصهب الذي يشبه كرة ضخمة عينان أشبه بالعدسات.

الراهب:

أسود مصاب بالسل.

الرجل القرمزي:

ذو أصابع فائقة الحجم يعلوها الشعر.

يجـري المشـهـد الأول في إحـدى قـاعـات ذلك القـصـر بإسبـانيـا. الإضاءة سردابيـة. تتدلى في صـدر القـاعـة سـتـائر كامدة تحركـهـا هبات على نحو دائم وتـبـدو عليـهـا آثار شـعـارات ممسوحة. تقوم في وسط تلك القاعة درجات عتيقة تغطيـهـا سجاجيد ملأى بالثقوب، تؤدي - عالياً جداً - إلى عرش شكله غريب، كأنه في حالة توازن: إنه عرش مهووس مقهور راضٍ بتلك العزلة المشؤومة، وآخر سليل لعرق منحرف وجليل.

حين ترفع الستارة، يشاهد الملك مكتوماً على العرش، ويداه على أذنيه، يتأوه بشكل مقيت، بينما يسمع خارجاً نباح شديد جداً، متواصل دونما انقطاع، لرهط كبير من الكلاب. وتختلط بتلك الجلبة الكئيبة شتائم ولعلعة أسواط، فيسعى الملك إلى عدم سماعها.

الملك: اذبحوا الكلاب، بكل شراذمها! كفاية! كفاية! هذا مثير للأعصاب! هذا رهيب! أغرقوا الكلاب! اقتلوا الكلاب وحسّها المسبق! كفِـ. . . ـا. . . ـاية! . . . **(ينهض ويترنّح)**. يريدون ترويعي. يريدون أن أفقد عقلي، عقلي الملكي! فمن يتولّى المُلك؟ يجعلون الكلاب تتآمر لأن الرجال لا يجرؤون على ذلك. . .

(**تتضاعف حدة العواء**). الرحمة! يا كلاب الليل! يا كلاب الريح! يا كلاب الخوف! يا كلاب... (**يدلف بضع درجات**). يا فوليال؟ يا سيد البهائم، مُرْ بإنهاء كلّ ذلك. أمرٌ من الملك!

أصوات (خارجاً): ... من الملك! ... فوليال؟ ... بإنهاء كل ذلك...

أصوات أخرى: هيه! ... إخرس! ... وشت! ...

الكلاب تصمت

الملك: كلابي؟ لقد قتل كلابي، أرهاطي! ... كلابي الجميلة! ... يا فوليال، إن الكلاب لا تحب الموت. (**يئن**). إنما هو ظلم عظيم أن يقوى الموت على الدخول إلى قصور الملك. آه! يا لكلابي المسكينة المذبوحة! ... (**يدخل الراهب فيلمحه الملك**). كلاّ، كلاّ، كلاّ، كلاّ... ليس أنت! فلْتأتِ بالأحرى درويات الحرس، لتطلق النار على هذا الهيكل العظمي الذي يتسلّل من المداخن!

الراهب (بصوت باهت): يا صاحب الجلالة...

الملك: صمتاً!

الراهب: ...!

الملك: ماذا؟

الراهب (جاثياً على ركبتيه): يا صاحب الجلالة . . .

يتمتم

الملك (يركع أمام الراهب): أنا سأقول لك . **(يقلّد الراهب)**. ليس لجلالتكم أن ترفع الصوت بالشكوى بعد . فليس ما من شأنه أن يعجّل بالساعة التي يعرفها الله وحده، أو يؤخّرها . فلترضَ جلالتكم بالرضوخ وإحناء الرأس والإلمام بمظاهر المصيبة العتيدة . . . تابع، يا ذا العباءة!

الراهب (وحلقه جاف): تعرف جلالتكم أن الحشود والكهنة والمملكة بأسرها، راكعون مثلنا نحن . **(يرفع ذراعه بحركة موعظة)** آه! . . . **(ويرخي ذراعه)** سيكون عملاً مقدساً من أعمال الإحسان الكبرى، إذا ما سمحتم بقرع النواقيس . ورفعتم الحظر الذي فرضته جلالتكم على النواقيس . . . **(يعتدل من ركوعه)**. . . كأنّهم جناةٍ سبّبوا صدمة لصماخَيْ جلالتكم الحسّاسين، فالنواقس هي التي تحيط السماء علماً بأفراح الأرض وأتراحها . . . فهل جلالتكم؟ . . .

الملك (يعتدل وقد استشاط غضباً): كلاّ وكلاّ وكلاّ وكلاّ وكلاّ! . . . لا نواقيس! إذبحوا النواقيس! لقد قرعت طيلة ليالٍ وأيام . أخنقوا الذين يدقّون بها! . . .

(ساخطاً) وذلك المقدار كلّه من طقوس الموت الدينية؟ . . . أيها الراهب، سوف أقصم ظهور نواقيسك . لقد قرعت داخل رأسي . إن رأسي معبّأ بالكلاب والنواقيس . الحق أننا سنموت في هذا القصر بلا نواقيس . سوف نتوجه من غير نواقيس، ومن غير صلوات الرعاع، لنتعفّن بكل مهابة داخل مدافن أقبية هذا القصر، المزخرفة بالشعارات . إننا نسير هنا فوق الأموات . ورائحة الموت تملأ المكان هنا! . . . أنتم تحبون الموت ورائحته ومباذخه! . . . أيها الراهب، ألست ذلك الهيكل العظمي المتسكّع الذي يلاحقني مرتدياً ثوب راهب؟ . . . **(يزيح قلنسوة الراهب فينكشف وجهه الأبيض وعيناه المنكسرتان . فيهدأ الملك)**. هيا إلى واجبك . فليس للملك بأنغام النواقيس من رغبة . كلمتي قلتها! . . . **(يخرج الراهب متراجعاً كإنسان آلي . أما الملك فيتحرك جيئة وذهاباً وهو يتحدث مع نفسه)**. نواقيس . . . كلاب . . . الموت . . . كابوس! . . . الموت . . . نواقيس . . . كلاب! . . . رايات الكابوس لأبراج النواقيس المنكّسة . . . الكلاب تعضّ النواقيس . الموت يدنّس

قصري. . . (**بصوت متقطع**). اصنعوا تابوتاً من الأبنوس، واخترعوا شاهدات قبور باذخة. . . هنا يرقد بسلام! . . . نوحوا، صلّوا، انصبوا منصات للنعوش، البسوا ثياب الحداد، أعطوا رجال البلاط أقنعة ومناديل، وابذلوا ما وسعكم وبسرعة، لكن أخرجوني من ورطة هذا الاحتضار الهزأة! . . . وكأنّ كل ساعة تمرّ لا تشهد رجالاً ونساء يلفظون أنفاسهم فيرمى بهم في مقابر جماعية وسط الكلس من غير أن تسبقهم الأبواق، هيه! . . . (**يهدأ بغتة**) ينبغي أيضاً أن أبكي وأن أصلّي وأن يُمتقع لوني. على أحد الممثلين أن يعلّمني ذلك. أين هم الممثلون التابعون لي؟ على الملك طول عرض حياته النبيلة أن يبدو حساساً. فما عسى أن يقول فيه التاريخ الذي يمنح الملوك ألقاباً مثلما تعطى لسجناء الأشغال الشاقة؟ (**يستدير صوب الحاجز الأيسر**) تعال؟ . . . (**يدخل الراهب**) أنت الذي تقيم خلف الحواجز، اصغ لإرادة الملك. . . (**يقول بتواضع مصطنع**). أريد للنواقيس أن تدق، لكن بكل هدوء، بكل هدوء. نواقيس صغيرة، نواقيس صغيرة جداً لصماخيَّ جلالته الصغيرين. . . (**يريد الراهب أن**

يخرج فيستبقه الملك). أين هو في الحقيقة ذلك الاحتضار؟ ذلك الاحتضار الرسمي، الطويل مثل فصل من تراجيدية؟ . . .

الراهب: جلالتكم تشكّون في ذلك. . . فالعلماء يسعون لإطالة ذلك النفس، ذلك البريق الأخير للأحداق. . . العلماء يحاولون بلا طائل. . .

الملك: المشعوذون الأوفياء! نحن نسبغ عليهم ألقاباً مقابل طبابتهم! أيها الراهب، أحسّ بروحي تتجمّد. هيّا! **(يخرج الراهب. يصعد الملك ببطء درجات العرش، وهو يحكّ قدميه بالسجاجيد. يحاور نفسه)** الملك حزين. . . الملك تغمره الكآبة. . . حين سأشهدها متيبّسة وشاحبة وسط موكب الشموع والشعارات، سوف أتذكر - كثيرة هي الأزهار، كثيرة هي الأزهار! - خطيبة كانت تودّ أن ترضيني. . . - كثيرة هي الأزهار. . . وسوف أنتحب بسبب الأزهار. . . **(يخفي عينيه ويبدو منتحباً)**. . . من أجل مليكتي العزيزة الصغيرة. سوف أبكي مثلما كنت ستبكين عليّ يا مليكتي العزيزة الصغيرة، لو أنّ الموت أخطأ بين شقة وأخرى! . . . **(يضحك مقهقهاً فتطول ضحكته الآلية.**

يقعد على إحدى الدرجات) ألاكم الأمر مضحك!
وليس من شاهد على دموعي! هيه، يا فوليال؟ . . .
أيها المهرج، لِمَ لم تشهد مليكك يبكي! يا فوليال؟
أيمكن أن تكون كلابي افترستك، أيها اللحم المَضْحَكَة؟ . . .

فوليال (نابقاً من وراء العرش، في الأعلى): كلابك، يا صاحب الجلالة، كلاب ملك، وقد تعضّ جلساءك، لا خدمك.

الملك: أيها الماكر! اشتقت إليك. لزمك كل هذا الوقت لذبح كلابي؟

فوليال: ليس لها من غلطة سوى تحيتها بكل فظاظة للموت، ذلك السارق المغير . . . تلك الكلاب لا طفتها. فأنا، يا صاحب الجلالة، أجيد التحدث إلى الملوك والكلاب. بل هذه نفسها تثير فيَّ الشفقة . . . كانت الكلاب حزينة، يا صاحب الجلالة، وكانت تتألّم . . .

يقبل فيقعد قرب الملك الذي يتراجع

الملك: كانت تتألّم؟ مسكينة تلك الكلاب. وأنا أتألّم أيضاً.

فوليال: مسكين هو الملك!

الملك: آه، ليس مسكيناً ككلب! فأنا لم أتألّم وفق البروتوكول. أرأيتني وأنا أنتحب؟ كلا؟ إذاً أنت لم ترَ

شيئاً. أما إذا قدرت أن تجعلني أضحك وقت الجنازة، فسوف يتكلّم العالم أجمع عن الملك وألمه الكريم. هاتِ أضحكني؟ . . .

فوليال: هاك (**يخرج مرآة من جيب معطفه القصير فيتمرّى ويجهد في تصنّع تشنّج في وجهه. ثم تفلت المرآة من بين يديه. فيلبث المهرج ساكناً والتشنج الرائع على وجهه. فيقول بصوت منخفض:**) ألم الملك!

الملك: مدهش! . . .

تنطلق من حلقه ضحكة مسعورة. فيستدير. وينتاب فوليال القلق.

فوليال: يا صاحب الجلالة، لقد رقّيتِ التماسيح إلى أعلى المراتب في هذه الآلام الجليلة. فهل يتوفر لديك أحياناً شيء من الماء في الصدغين؟

الملك (**يظهر وجهه وقد احمرّ فرحاً**): أوّاه! يا للتضليل! كان سيرثي لحالي! فعل ذلك مثلي! فإذا ما كنتُ في مدرسة التماسيح، فأنتَ درستَ في مدرسة القرود. هات، شغّل، شغّل خطمكِ.

فوليال (**متشنّجاً**): اعذرني . . .

الملك: أريد ذلك.

فوليال (يدير ظهره بحثاً عن مكان يختبئ فيه، ثم يخفي وجهه بذراعيه) : يا صاحب الجلالة؟ . . . **(ثم ينخرط في الضحك بتشنّج).**

الملك (وهو يفحص الأرض بقدميه) : هذا مليح، هذا مليح جداً! **(يلبث متحيّراً).**

أما الآن فتوقّف! **(يضحك فوليال بقوة أكبر)** توقّف! . . . **(يباعد بين ذراعي المهرج. فيظهر وجه فوليال متشنّجاً بشكل خال من التعبير)** كنت تبكي؟ . . . أجب؟ . . .

فوليال : هذا بسبب الكلاب . . .

الملك : أتدعي أنك تحسن صنعاً أكثر من الملك؟

فوليال (متمالكاً نفسه) : كنت أقصد أن أبيّن لك كم هي سهلة تلك الأغلاط .

وضحك هذه المرة أمام ذهول الملك، ضحكاً حقيقياً وبشدة. وطفقت النواقيس تدق بعيداً. فنقز الملك.

الملك : إضحك أيضاً وأيضاً! فأنا أحب هذا الضحك الفلندري لما فيه من صريف أسنان. إضحك بصوت أعلى! أريد أن يسمعوك حتى آخر القصر. أريد الضحك البهيمي أن يهين الموت نفسه. هيّا بصوت أعلى! . . . **(يصير**

ضحك فوليال مفزعاً؛ **إنه زئير)** حسبك! . . . **(يكفّ فوليال عن الضحك. فيدلف الملك إلى أسفل الدرجات، وفوليال يتبعه خطوة فخطوة)**. أودّ أن أضحك أيضاً، وأن أسلك سلوك البهائم.

فوليال: تناسَ البروتوكول.

الملك (ملتفتاً): ماذا تقول؟ إذاً ليس هناك من أمل في سماع أية نكتة منك، يا مهرج الشؤم؟ ماذا دهاك؟ . . .

فوليال: حالة طارئة.

الملك (يتحرك ذهاباً وإياباً وفوليال يسير على أعقابه): ها قد مضت أسابيع، أسابيع مظلمة وأنت تعاني اليأس والملل، وترسم بوجهك تشنجات لحسابك الخاص! وببشاعة. في حين تقوم مهنتك على الإضحاك! أنا من جانبي أنتظر الخلاص. أنتظر الموت أن ينصرف بعيداً. وأنت لا تنطق بكلمة مضحكة، ولا تؤدي من هرجة كرمى لمليكك! أنت مترع خلاًّ! . . . **(يتوقف)** لماذا تسير خلفي؟ . . .

فوليال: أدوس على ظلّك! . . .

الملك (راضياً): وأخيراً، أعثر عليك . . . فأنت أنت مجدداً متغطرس وغادر؛ ولكنك لست ماكراً تفيض هذراً مثل

المهرجين الطليان أو الفرنسيين، وإنما صموت وحقود مثل أبناء جلدتك. إنّ بين جنبيك لشيطان! والخطايا السبع ظاهرة للعيان بأحرف كبيرة فوق جلد سحنتك العتيق. الخطايا السبع ومعها أرجاس أخرى! أحببتك لكلّ كمال الشرّ المتجسّد فيك، وكنت الرجل الوحيد الذي استطاع ملك مثلي أن يتحمّله... **(يُجْفِل)** آخٍ! لقد أدميت ظلّي! **(يصفع المهرج)** حذار أن تقترب مني وإلا أرسلتك لتنام مع الكلاب، أيها الكلب الزاحف والكلب المنافق! والحق أنّك تجسّد الدراوس[1] في طرائق سلوكك... اسعَ على أربع، يا فوليال!... **(يقع فوليال على يديه وركبتيه)** لا تعض. **(يأمره)** أرقد. حكّ جلدك. **(ينفّذ فوليال ما يؤمر به)** نَمْ. **(يتنهد فوليال ويقلّد الكلب في نومه. فترة صمت. الملك حذر)** بماذا تحلم أيها الكلب أو المهرج؟ **(يقترب فوليال من الملك ويتشمّمه)**. فوليال؟ لا تفعل هذا! هل تستشمُّ رائحة الموت أم رائحة الجثة؟ **(يستأنف دقّ النواقيس الحزين. فيمدّ فوليال عنقه ويشرع في النباح بوجه**

(١) الدراوس: كلب حراسة كبير الرأس أفطس الأنف.

الموت. مثل الكلب. فتتجاوب معه الكلاب خارجاً. ويثب الملك فوق الدرجات مذعوراً). عليكم اللعنة! إنهم يضطهدونني. حسبكم! إذبحوا الكلاب والمهرج!... **(يصعد فوليال الدرجات وراء الملك، وهو لا يزال يسعى على أربع، من غير أن يكفّ عن العواء).** أنا فريسة للكلاب! **(يوجه رفسات للمهرج).** وقوفاً!...

فوليال (ينتصب واقفاً): أنا خادمك المطيع جداً...

يقف الاثنان في أعلى الدرجات وجهاً لوجه. أما خارجاً فتسمع شتائم، ويهمد النباح ويسودالصمت.

الملك: ماذا تفعل بالقرب مني؟

فوليال: أنتظر أوامرك.

الملك: إنزل.

يهبط فوليال الدرجات بتثاقل ثم يتكوّم على نفسه

فوليال: يا صاحب الجلالة؟...

الملك (جالساً على العرش): هل بدأت أخيراً بلعبة ما؟

فوليال: رحماك؟ دعني أصعد إلى سقيفتي؟ بودّي أن أنام...

الملك: أينبغي أن يبقى الملك وحيداً؟

فوليال: لقد كرّست سني حياتي لما تستنبط. وها أنا أغدو منهكاً. ففكري انطفأ. والنوم يا صاحب الجلالة هجر هذا القصر. فتمرّ الساعات وسط هلوسة جليدية مجمّدة. رحماك، إنّ المهرج يشعر بالنعاس؟...

الملك: ليس بعد. فلا بد من الانتظار حتى ينصرف الموت.

فوليال: لا يليق بنا أن نضحك والموت منهمك في عمله...

الملك: وماذا لو راق لنا أن نضحك؟ حسبك شكوى! أريد أن أضحك وتريد أنت أن تنام؟ ينبغي أن أضحك. وما لم تقوَ على تسليتي تجد غاروت[1] الخبيثين من خدم ووزراء أو مهرجين بانتظارك، إنه الغاروت الذي يجعل مظهر رأسك شنيعاً! هل تملأ رأسك الأشباح؟ اضحك، وإلا سلّمتك لجلادي الذي سيعاملك مثل يهودي أو مزيف نقود...

فوليال: رحماك؟...

الملك (واقفاً): ماذا يبقى لي إن صار مهرّجي حزيناً واجتاحه النعاس؟ وماذا يعنيك إن ماتت الملكة وأدّى الموت

(١) الغاروت: آلة إعدام من القرون الوسطى ظلت مستخدمة في إسبانيا حتى أواخر عهد فرانكو. فيجلس المحكوم على كرسي ورأسه داخل حلقة تضغط على عنقه حتى الخنق. (المترجم).

عـمله؟ . . . ألن يعتقدوا أن امرأتك أو ابنتك قد مضت نحو مملكة الديدان؟ . . . (**غاضباً**). أريد ملهـاة، هات اخترع! . . .

فوليال: (**وهو يقوم**): إنها ملهاة عميقة وموجزة. وهي آخر ما أنا قـادر على أدائه . . . سـوف نؤديهـا نحن الاثنين، يا صاحب الجلالة . . . (**يؤدي التحيّة لجـمهـور وهمي، ويبـدأ إيمائية يقـدّم فيـها الملك ثم يقـدّم نفسـه. ثم يدور حول نفسه ويصعد الدرجات بوثبات متقطعة**). يقومون في ديرتي أيام المرفع باختـيـار شـخص سليم الطويّة. فيجهزونه بالبهارج ويضعون على رأسه تاجاً وفي يده صولجاناً. ويصنعون من ذلك الرجل ملكاً. فهـو ملك يحتفون به ويقودونه نحو عرشه الموهوم. ويقدّمون له فروض الطاعة والتكريم حسب الأصول. وتمرّ مواكب الغوغاء، فتثير الاهتمام وتراوغ وتهتف. والملك يشرب فيعبّ من الجعة ويمتلئ زهواً. وحين يغدو متنفّجاً جداً لما صار إليه . . . (**يثب نـحــو الملك**). يرمـون بتـاجـه أرضـاً . . . (**ينتـزع التـاج ويرمي به فـيـتـدحـرج فـوق الدرجات**). وينتزعون من يده الصولجان . . . (**ينتزع الصولجـان من يد الملك**). ليُعيدوه رجـلاً مثلما كـان من

قبل! . . . (**يتراجع**). هكذا على نحو ما فعلت. (**بنفاق**). هل فهمت؟ أنت لم تعد إلا رجلاً، ولكم أنت دميم! . . . (**يتخلّص بسرعة من قبعته كمهرّج وينزع صولجان التهريج من نطاقه. ويواصل وهو يَصْفر**). وأنا عثرت مثلك على ظرفي كرجل. ودمامتي مثل ما أنت عليه! . . . منذ زمن طويل وأنا أُعِدُّ هذا. فهل سيروق لك؟ سوف تضحك على طريقتك الفلامنكيّة التي تحبها! أما أنا فسوف أنظر إليك وأنت تضحك بطريقة لا يمكن وصفها مثلما يضحكون داخل أقبيتك! . . .

يداه تنفتحان وتتباعد أصابعه. الملك تصطكّ أسنانه. يبدو فوليال وقد فقد إدراكه فيداه تتحركان تلقائياً وتتقدّمان في الفراغ، جبّارتين، نحو عنق الملك، الذي تتراخى ساقاه فيتهالك فوق العرش فاغراً فاه. ويريد أن يصرخ غير أن الصرخة لا تنطق. تبدأ اليدان بالضغط على عنقه. فتنحبس أنفاسه. لكن ضحكة حادة تنطلق من فمه المفتوح. وتسوط تلك الضحكة المهرّج الذي يتراخى فيسبل يديه. فيترك الملك عرشه ليقف على بعد منه.

الملك (لاهثاً): ملهاة ناجحة، ويا لها من ملهاة! . . . دعني أضحك حتى أرتوي! . . . كم أجدتَ التمثيل، كم أجدتَ اصطناع الحقد! . . . إن دهشتي لكبيرة! فأنا لم ألحظ يديك البتّة! إنّ يديك لمدهشتان! حين تستولي الغباوة عليك استيلاء تامّاً، أُحوّلك إلى جلاد، هذا ما لم تُخْنَقْ في تلك الأثناء. . . **(يهبط بضع درجات ويبصق في الهواء)**. أيها الصديق، أنها ألعاب الفلاحين! . . . **(بقسوة)**. اقترب، يا حشرة؟ . . .

فوليال (وقد عاد إلى الواقع): يا صاحب الجلالة؟ . . . الجلاد؟ . . .

الملك: ليس بعد! **(يمسك بفوليال من كتفه)**. كم كانت ملهاتك مُلْتَبسة ولكن أحبّ الالتابس! لم أكن في غاية الارتياح غير أنك دهشتني. وأخيراً فقد ضحكت ضحكاً جاء من أعماق أحشائي، وهذا مزاجي يعود رائقاً. . .

فوليال (متلعثماً): ليست الأمكنة مُلْهِمةً على الإطلاق.

الملك: بكل تأكيد، فأنت لست في أيام سعدك! **(يضرب فوليال على بطنه)**. ولم تعرف كيف تجني الفائدة من ملهاتك، كلا . . . أو أنّه كان ينبغي أن تختفي لكنك لم تكن بالرجل الذي حسبته. **(يضحك بصوت خافت)**.

أنا أفهم، من ناحيتي، فنّ الممثلين والمهرجين. . .
فأحيطهم بعطفي كله! وتسكن روح مهرج في داخلي، لا سيما هذا المساء. ، ماذا لو قمنا بالتمثيل؟ فالأمر يسير ما دمنا غدونا رجلين اثنين. وأمّا لشيء آخر فحسبنا بعض اللوازم. نحن رجلان. هل فكّرت في ذلك؟ فها أنا من ملك وأنت من مسخ، قد صرنا رجلين. إنني لمستمتع بذلك إلى حدّ جنوني! أما أنت، أيها الميزاب، فوجهك يعكس الهمّ والغمّ واليأس - أي كل ما ينبغي أن يظهر على وجهي أنا، غير أنه لن يظهر رغم جهودي! أما دمامتك فملكية، إنها ملكية حقاً. . . وعليه فلنبدأ التمثيل! . . .

يلتقط من فوره التاج والصولجان. فيضع التاج على رأس المهرج ويسلّمه الصولجان بيده؛ ثم ينزع معطفه ليسدله على كتفي فوليال الذي لا يستوعب شيئاً ويدافع بوجل.

فوليال: خديعة! . . .

الملك: هزلية! . . . **(يتراجع فيتأمّل المهرّج بمجاملة)**. يا له من ملك! . . . يا له من ملك على المعدومين حرقاً! . . . **(بعنف)** الملهاة مستمرة! هيا تسلّق، حتى العرش، أيها الغوريلا المتوّج! . . .

بينما يصعـد فوليل درجات العرش بتثـاقل، وهو ينوء على ما يبدو تحت عبء التـاج والصولجان، يعتمر الملك قـبعة الأحمق ويقبض على صـولجان التهريج. يـتهالك فوليـال على العرش فـور وصوله إلـيه ويتـأمّل تصنّع الملك عند أسـفل الدرجـات، بذهول عميق.

فوليال: يا صاحب الجلالة؟ . . .

الملك (مؤدياً تحيّة بتقليد سـاخر): يا صـاحب الجـلالة! . . . أريد بطرائق لهـوي أن أبدّد أفكارك المكتـئبـة. الملكة مشـرفة على الموت؟ وسوف أُدخل، بـصـفتي مهـرّجاً مـخلصاً، تنويعاً عـلى هذا الموضـوع: الملكة، منكودة الحظ . . . لكنّي أهزأ من ذلك. فليس من مـهـمـتي أن أحـزن! إن مـاتـت الملكة عثـروا على واحـدة أخـرى! فـدعني أضـحـك! إنّ اسـتـمـتـاعي لهـائل. ألـم أولد مـهـرّجـاً، يا صـاحـب الجـلالـة؟ فأنا من طـبيـعة منافـقـة وغـادرة ومموّهة، وأشـابه النسـاء من تلك الـناحيـة. أما تلك المرأة، وأقصد الملكة، فقد تمكّنت في طرفة عين من أن تكشف عـجـزي لتـخـصّني بالإزدراء المطلق! لقـد أصدرت الملكة حكمها عليّ جسداً وروحاً، ورأت أنّي مهرّج رغم ثيابي الفاخرة. أما حين تصرّفت كملك فلم

تنخدع بذلك. صدقني، يا صاحب الجلالة، لقد بذلت كل ما وسعني لاستمالتها، فأدّيت أجمل الحركات المضحكة. ولم آل جهداً لكن بلا طائل... (**يبدأ بأداء رقصة قديمة**). لكن هل يسع المهرّج أن يقصّ سيرة حياته؟ إنّه يرقص!... أنا أرقص للموت! أرقص لانعتاقي! أرقص للمواكب الجنائزية، ولسقوط تلك الدمية المصنوعة من الشمع والملأى بالأفاويه، في هوّة العدم! هيا، فلينزلوها بسرعة إلى الأقبية الرمسيّة تحت زخّات من الماء المقدّس! فأنا لا أخشى شبحها. (**يستأنف الرقصة القديمة**). لا تندهش إن كنت أرقص. فأنا أرقص كأرمل، أرقص مثل تيس السبت ومثل ساتير[1] قديم... (**يقطع حديثه ويتمدّد متعباً فوق الدرجات**). هل راقت لك مناجاتي لنفسي، يا صاحب الجلالة؟...

فوليال: يا زنديق!... تلك التي تشرف على الموت حسناء طاهرة وقديسة. وهي مشرفة على الموت بسبب صمت هذا القصر وظلماته. فجدرانه لها عيون وقاعات الاحتفال فيه تعجّ بالفخاخ وأدوات التعذيب. إنّها تموت بسبب العيش وسط كائنات مشؤومة في مملكة

(١) شخص خرافي من الميثولوجيا اليونانية نصفه الأعلى بشر والأسفل ماعز.

تقطر دماً ويسودها الجواسيس ورجال التفتيش. وأقول لك إنّ الموت فاعل خير، تمنيتُ أنا قدومه مثلما تمنيته أنت. فأقبل على جناح السرعة. فهو لا يبتعد أبداً عن هذه الأمكنة التي يحوّم حولها ويتقاسمها هو والجنون.

الملك: آه، يا صاحب الجلالة! أمن الحكمة التحدّث بمثل هذه الحرية؟ وليس من يقدر على عرض كلام بهذه الصراحة سوى الملك، لئلاّ تأتي كمّامة سميكة فتكتم أنفاسه.

فوليال (الذي يسمع القول): اصمت أيها المهرج! فأنا أعرف ألاعيبك الدنيئة جداً. ما أنت إلاّ وصمة عار، مهووس بالقذارة ومحب للأقزام والمشعبذين، وأمّا ملذّاتك الآثمة فتتراوح بين رائحة الجسد المحترق وثرثرة طيور الببغاء. أما خطاياك فيشحب منها وجه اللاهوت. وإذا لم يأخذ الرب بخناقك فذلك لأنه يعد لك ميتة كميتة هيرودس، بل أسوأ...

الملك: يا صاحب الجلالة لا تثقل عليّ بتعنيفك! فمهنتي ليست نبيلة جداً، مهنتي فحواها الإساءة. فهل يسعني أن أعرف، أنا الذي أعيش بمعزل عن الإنسانية، ما حقيقة الحب لدى الآخرين، وما ألمهم؟ ما من شك في أنّي عانيت أيضاً من ذلك الإزدراء. آه من ذلك

الإزدراء . . . مــثل وخــز الإبر . . . **(بصوت خـافت)** أعرف أنك كنت الوحيد في فهمك «إياها»، تلك التي لا يمكن فهمها . أما النظرات التي كانت ترمقك بها، فليست تلك النظرات الجامدة التي تجعلني أرتعد مذلّة، بل هي نظرات عـمـيـقـة نديّة، نظرات كلبـة كلّهـا عرفان . . . **(يرتقي الدرجات)**. تلك الملكة؟ أنا أعرف أنّك قد ارتقيت فبلغت روحها، على الرغم من تآمر الأسوار والرتاجات والخدم . . . **(صوته يختنق)**. وقد امتلكت جسدها . . .

فوليال (ينتصب واقفاً فيترنّح): هذا العــرش، بعلوّه الفائق . . . يسبّب الدوار! . . .

الملك: أجل، حكاية حب غريبة! . . . ففي مساء عاصف، يعجّ بالذباب والروائح التفهة، رأيتك تزحف عبر الدهاليـز . . . ومـضـيت، أنا المهـرج، على أثرك زاحفاً . . . **(يوشك صـوته أن يتلاشى بغـتة)**. وعرفت النشوة البشعة في أن أكون شاهداً على نشوتك، فتلوّيت بصمت فوق الأرض المبلّطة . . . **(بصوت حاد)**. يا صاحب الجلالة، إنّ الملوك لا يحبون، وهذه قاعدة. فملوك هذه البلاد يحكمون وسط الإزدراء

الشامل! . . . (**يصعد بضع درجات أخرى**). واستدعت تلك السعادة كلها عقاب المهرّج. هل تصغي إلي، يا صاحب الجلالة؟ . . . (**يقول وهو ملاصق فوليال**). الملكة . . . نجمة . . . نحلة . . . موسيقى . . . ملاك . . . الملكة مشرفة على الموت حباً، من هذا الحب، كما في الروايات القديمة التي عفا عليها الزمن! إنّها مشرفة على الموت بسبب هذا الحب الفظيع والذي يعجز الفهم دونه! فهل كانت تعرف ذلك وهي تستنشق الهواء في غرفتها، وأثناء تناولها فاكهتها المفضّلة؟ . . . (**يهبط ثلاث درجات**). إنها تموت مثلما يموت العظماء في هذه البلاد . . . (**يصرخ بصوت حاد**). إنها تموت مسمومة! . . . (**ساخطاً**). لا يدخل الحب إلى هذا القصر! . . . إنّه لمحظور على المرء أن يحب في هذا القصر! . . . (**يتدحرج حتى أسفل الدرجات**) آه من الأضحوكة . . .

فوليال (يهبط كالنشوان): أيها المهرج، هل أنفجر ضاحكاً؟ أم أنت نطقت بالحقيقة؟ . . .

الملك: عليّ عذاب النار! لكن هلاّ قلت لي! من منا نحن الاثنين ذو عبقرية؟ . . .

فوليال : أنت ممثل كبير .

الملك : نحن من كبار الممثلين! حسبنا ، فالألعوبة انتهت ، ولنستعد هويتنا .

فوليال (هارباً فوق الدرجات) : إنه تاجي! . . . فأنا الملك! . . .

الملك (يلاحقه) : إنّه تاجي! . . . فأنا الملك! . . .

فوليال : إنّما أنا الملك ، ما دمت حظيتُ بحب الملكة! . . .

الملك (متشبثاً بالمهرّج) : احتفظ بالحب وأعد التاج! . . .

يتماسكان فيدور صراع صامت بينهما فوق درجات العرش . يدخل الراهب .

الراهب : فلتعلم جلالتكم . . . (ينفصل الاثنان أحدهما عن الآخر ، وهما يلهثان) أنّ الملكة . . .

يسعى لأن يخرج وقد استولى عليه الخوف . فيثب فوليال نحوه .

فوليال : ماذا؟ ما شأن الملكة؟ . . . تكلم ، فأنا الملك! . . .

الراهب : إني أعلن للملك . . . إنّ الملكة قد ماتت! . . .

(ينتزع الملك من فوليال ، وقد لبث مسمّراً في مكانه ، التاج والصولجان والحلّة) .

وينبغي أن يأتي الملك ، كائناً من كان! . . .

فوليال (يسقط على ركبتيه ويغطي وجهه) : فليتلقّها الله! . . .
الملك : فليذهب بها الشيطان! . . . **(يضع التاج ويرتدي الحلّة)**. يا أوروس؟ . . . **(يشير بصولجانه صوب الحاجز ثم يدل على المهرج. ويبصق من بعد على فوليال)**. من بعد الأضحوكة المأساة . . .
فوليال (وهو ينتحب) : إنّ الملكة قد ماتت! . . .

يدخل الرجل القرمزي، الرشيق رغم ضخامته، ورأسه مغطى بقناع. وبعد إشارة جديدة من الملك يهوي فوق فوليال فيخنقه بصمت.

الراهب : دعني أطلب له المغفرة؟ . . .
الملك : هل وُضِعَتْ أسرار الكنيسة للمهرّجين؟ . . . هلموا إلى واجبنا! **(يمشي بضع خطي نحو اليسار)**. أنت، أيها الجلاد؟ . . . **(ينتصب الرجل القرمزي فيفرك كفاً بكف)**. مهرّجي؟ . . . يا لمهرجي المسكين! . . . **(يقول للراهب)** الملكة، يا أبت، شيء يمكن العثور عليه، أما المهرّج! . . .
الراهب : أستحلفك بالسماء، أن تأتي! . . .
الملك : أجل، ينتابني الحزن العميق، يا أبت، الحزن العميق. **(يغمز بعينه للراهب غمزة دنيئة)**. إذن؟ كنت تقول إن الملكة قد ماتت؟ . . .

وينفجر ضاحكاً بغباوة ويمضي في إثر الراهب . ثم يخرج الجلاد وهو يجرّ جثّة فوليال . يسمع ضحك الملك الهيستيري وهو يتضاءل تدريجياً . تستأنف النواقيس قرعها . هناك مدفع يدوّي . تعود الكلاب للعواء خارجاً .

الستارة

خوان خوسيه أريولا

المسرحية الثامنة

ساعة هاريسون فيش الأخيرة

دراما ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Juan José Arreola
La Dernière Heure d'Harrison Fish

ولد الكاتب المكسيكي خوان خوسيه أريولا في مدينة كويدا غوسمان عام ١٩١٨ . تعرف بمدير المسرح الفرنسي لوي جوفيه أثناء جولته في أميركا اللاتينية، فجاء إلى فرنسة عام ١٩٤٥ وعمل مع كل من جان لوي بارو وبيير رونوار ولوغوف ثم رجع إلى مكسيكو. نال عام ١٩٥٣ جائزة «خاليسكو». ثم جائزة المسرح الوطني عام ١٩٥٦ وميدالية «خوسيه فيجيل» بعد ذلك بعام.

كتب أريولا الكثير من الحكايات وقصائد النثر. وكان المستشار الثقافي للجامعة الوطنية في مكسيكو. وترجم الكثير عن الفرنسية كما أسس دار نشر تخصصت في نشر إنتاج الكتّاب المكسيكيين الناشئين.

الشخصيات:

آراس، المشرف

هاريسون فيش

جو «تَبْ تَبْ» سميث

غلوريا ديكنسون

روسكوي هاميلتون

فيرونيك

المسجّل

محافظ المتحف

صوت ما يي

صوت هاريسون

تجري الأحداث في الطابق السبعين من ناطحة السحاب امبايرستيت في نيويورك صباح ٢٨ تموز ١٩٤٥ .

مكتب رجل أعمال يتجلّى فيه التزمت والبذخ. تغطي الأرض سجادة سميكة غامقة اللون. هناك كنبتان كبيرتان وأريكة من الجلد. ومكتب من خشب الجوز عليه أدوات أنيقة ومصنف جلدي لحفظ الوثائق.

تبرز على الجدار المدهون بانسجام، لوحة تمثّل حوار للفنان لوكاس كراناش البكر، وذلك بسبب لونها الأصفر الفاقع.

تظهر أبواب في الصدر وعلى اليسار. أما اليمين فيطل على خليج كبير.

يبدو في الأعلى ناحية اليمين بوق كبير من أبواق الدينونة الأخيرة وهو موجّه صوب مكتب هاريسون فيش، وسوف تأتي من هناك كافة المؤثّرات الصوتية التي ستسمع فيما بعد ومعها صوت المسجّل.

يرتفع الستار بإشارة من بوق يؤدي لحن جاز. ثم يرافق ذلك تنوّع من الأبواق والآلات الموسيقية.

يدخل آراس بهيئته المؤثرة والمسالمة معاً. فثيابه بسيطة، يضع نظارتين سوداوين على عينيه ويحمل برنامجاً بيده اليمنى. أما في اليسرى فيحمل صندوقاً صغيراً أسود. يصل فيتصرف كأنه في بيته، فيرمي بالبرنامج فوق المكتب ويفتح الصندوق الصغير فيتبيّن أنّه المسجّل فيبحث عن مأخذ كهربائي ليصله بالتيار، ثم يشغّل الآلة.

نسمع نتفاً من جمل وأنغاماً وصيحات تتوافق والمشاهد التي ستدور بعد قليل. ثم يتلو ذلك طنين. ويبدو الرضى على آراس فيطفئ المسجّل ويتقدّم صوب الجمهور كأنه مذيع.

آراس: سيداتي سادتي. ها نحن في مكتب رجل الأعمال الكبير هاريسون فيش. الذي لن يتأخر في الوصول ما دامت كدسة من الأضابير المستعجلة تنتظر فوق مكتبه. قد يرتفع سعر السكر في الأسواق هذا الصباح. وقد يعلن خمسة آلاف عامل من أوكلاهوما الإضراب عن العمل. وقد تصيب الحمّى سوق الأوراق النقدية في وول ستريت، لمجرد عزم هاريسون فيش على بيع أسهمه في الصناعات الحديدية. إنها في واقع الأمر أعمال هامة، بل ربما كانت من أهم الأعمال التي

تصدى هاريسون فيس لمعالجتها يوماً. ومع ذلك فسوف نزيح هذه الأضابير بعيداً فنستبدلها بهذا البرنامج الصغير.

فلتطمئن ربات البيوت، وليشتغل عمال أوكلاهوما بكل راحة بال، ولتحافظ سوق وول ستريت على هدوئها. فمشاغل هاريسون فيس ستكون مختلفة كل الاختلاف هذا الصباح وغير متوقعة على الإطلاق.

لا أريد الآن أن أستبق الأمور فأحدثكم عن طبع هاريسون أو فضائله الشخصية. بل يستحسن ألا تكونوا سلفاً منحازين إليه أو متحاملين عليه. ينبغي أن يكون هنا.

(يفكّر ثم ينظر في ساعته)

من المؤكّد دخوله المبنى في هذا الوقت وسوف يأخذ المصعد بين لحظة وأخرى.

(يدير المسجل فنسمع طنيناً خافتاً يدوم حتى دخول هاريسون)

تماماً! أصغوا لضجيج المصعد المتحرّك بالسرعة البطيئة. إنها أوامر الدكتور فينكل! فهاريسون يعاني من اضطرابات قلبية. وأذكّركم بأننا في الطابق السبعين من

ناطحة الامبايرستيت، ذلك الموشور الاسمنتي الهائل المهيمن على هندسة نيويورك المشوّشة. وعليه ما تزال أمامنا بضع دقائق أخرى أيضاً.

كان علينا، حسب رأيي، أن نحذف كل تمهيد لنجعل هاريسون يدخل مكتبه مباشرة. لكن فلنتابع.

جرت العادة أن يظهرهاريسون وهو في أحسن حال، وذلك في صالحه. أما اليوم فسوف يكون أقل تألقاً، لأنه بدأ يدرك ذلك. لقد بقي مساء أمس بصحبة فيرونيك حتى ساعة متأخرة جداً في «الأستوريا» وقد أفرط في الشراب. وقالت له فيرونيك هذا الصباح إنها تراه شاحباً شحوب الأموات. فلم يستسغ تلك الملاحظة على الإطلاق وتناول فطوره وهو صامت. ثم أدلى بملاحظات حول زوال الحياة وهي ملاحظات غريبة حقاً حين تصدر عن رجل مثله، وهذا ما جعل فيرونيك تستمتع كثيراً. وفيرونيك هي عشيقته في الفترة الراهنة. وهي امرأة شقراء ذات مسحة رمادية متموّجة. وسوف ترونها بعد قليل. أما البرنامج الذي وضعته على مكتب هاريسون بدلاً من الأضابير المعتادة فيدل على أرقام الفقرات لعرض صغير منظّم بكل دقة.

وأرجو أن يلقى حسن الالتفات من قبلكم وإلى أقصى حد ممكن. وسوف نستجرّ هاريسون لأن يبوح لنا ببعض الخفايا. لأتولّى أنا، إذا ما رغبتم في ذلك، جانب الإشراف والتقديم. وكنت أود أن أعرض عليكم سلسلة من اللقطات من أفلام تصوّر حياة هذا الرجل الاستثنائي. لكن الموازنة الموضوعة تحت تصرفي متواضعة جداً لسوء الحظ.

فكان عليّ أن أقنع بمسجل لا غير وببوق واحد. إنها مسألة تزيين. أليس كذلك؟ سوف يتولى هذا المسجّل سدّ كافة الثغرات في ذاكرة هاريسون. كما سيأتي بعض الأشخاص لسرد وقائع متنوعة، تعرّفوا أثناءها على هاريسون. وأخشى أن يكونوا في غالبيّتهم شهود إثبات. فهناك عجوز قصيرة القامة عمرها ثمانون عاماً... غير أني سأحتفظ لكم بعنصر المفاجأة...

(يخف الطنين: فيسمع صوت باب المصعد)

ذلكم هو هاريسون فيش وسوف نبدأ.

(صوت بوق. يدخل هاريسون من الباب في صدر القاعة. عمره ٤٨ عاماً. متين البنية، ذو مهابة، تعوّد أن يكون مطاعاً. يتوجّه إلى مكتبه، من غير إلقاء التحية على آراس، ويتفحّص البرنامج).

آراس: سيداتي، سادتي. أقدّم لكم هاريسون فيش.

هاريسون: . . . تهانيّ لك، فليس هناك أي نقص. لكن كان بوسعك أن تستغني عن بعض التفاصيل الحمقاء.

آراس: يا سيد هاريسون فيش، لا تحكم على الأمور باستخفاف. فأناكتبت هذا البرنامج بعناية، وتساهل كبير جداً.

هاريسون: أنت متمسك على أن تنطلق في مكتبي أغانٍ متبذلة وألحان رقصات لا أدري كنهها؟

آراس: ذلك ما لا يُستَغنى عنه، وسوف توافق على ذلك بنفسك بعد قليل. أما الأحداث الرومنسية. مثل حادثة مايي على سبيل المثال . . .

«يدير المسجّل فنسمع:

داخل كوخ صغير

عند شاطيء النهر

سأبقى معك يا حبيبي

حتى نهاية العمر . . .»

هاريسون: تلك الأغنية الحمقاء!

آراس: لا تقل سوءاً في مؤلّفاتك. كنتَ في العشرين لا غير، ولو أنك واظبت . . .

هاريسون: أمر مضحك! لقد توقفت عن الاهتمام بهذه الولدنات منذ زمن طويل.

آراس: أتسمح لي؟ (يفتح جرار مكتبه فيخرج منه بانجو[1] صغير). لم تكن تأنف التعامل مع الموسيقى في أوقات فراغك. وكنت بين وقت وآخر، ترافق على هذا البانجو أغنية قديمة: «داخل كوخ صغير، عند شاطئ النهر...».

هاريسون: حسبك هذا!

(ينتزع البانجو من يد آراس ويرمي به بكل عنف).

آراس: لا تغضب. ولنسمع أغاني أخرى: «سايبوني»، «أوه مامي»، «سوني بوي»، ألا تذكّرك بشيء كل هذه؟

هاريسون: أنت متمسك حقاً بكافة هذه الأشكال من الموسيقى؟

آراس: فكّر بالسيدات المسنّات جميعاً وكافة الرجال المسنّين الذين يصغون إلينا، والذين سوف يبكون لدى سماعها. وليس من يعلم عدد الفتيات، بنات الثامنة عشرة، مثل مايي، ممن استسلمن للغواية على لحن أغنية دافئة، إلا الله. وما أن أعلنتُ عن العناوين حتى سمعت همساً متوتّراً يسري بين الجمهور المحترم.

---

(١) بانجو: آلة موسيقية وترية تشبه القيثارة.

هاريسون: ضع ما تشاء من الأغاني. فأنا سوف أسدّ أذنيّ.

آراس: يا ألف نعمة. ولا تنس أن مسؤولية البرنامج تقع كلها على عاتقي. فالبرامج الإذاعية التي ساهمت بها من قبل كانت مختلفة كل الاختلاف. وأذكر منها على سبيل المثال تلك السلسلة الإذاعية المسماة: «عظماء اليوم»، أو شيئاً من هذا القبيل. كان فيها البروفسور أنيشتاين والرئيس روزفلت و... هاريسون فيش. الوجه الجرئ: «عامل التقدم وقبطان الصناعة»... وجرى تعتيم كامل على حكاية الزنجي والانفجار في مصنع غاز الخردل، حيث هلك ما يزيد على مئتين من الأشخاص.

هاريسون: إن كان المصنع انفجر فليست غلطتي. وكان العمال مؤمّنين.

آراس: بلى. فقد سلموا كل أسرة خمسة آلاف دولار وسبعين كيلوا غراماً، على شكل جثة فاقدة المعالم. يا للناس المساكين! تذكّر أنّ من رآها كان يقول إنّها عجينة هلامية!

هاريسون (وهو يتصفّح البرنامج): ذلك ممكن! غير أن مصنع غاز الخردل لم يرد في البرنامج. فلِمَ أتيت على ذكره؟

آراس : ذلك صحيح . المعذرة . هل تسمح لي؟ (يأخذ منه البرنامج) لنبدأ على نحومنظّم . . . كم ذلك غريب! إنّ حادثة الزنجي هي التالية بالضبط .
(معلناً) : حكاية جو! كان جو «تب تب» سميث زنجياً مرحاً، من مواليد ماغنولي كورنرز . إبدأ الحكاية، يا هاريسون .

هاريسون : سأقوم بادئ الأمر باتصال هاتفي . فهناك مسألة هامة!

آراس : أنت لم تحسب حساباً لموافقتي على قيامك بتصريف أعمالك كالمعتاد . وإثارة مسائل خارج نطاق البرنامج في وقت لا نتوقّعه مطلقاً! كلا، يا هاريسون . والهاتف على كل حال مقطوع . كما أعطيتُ إجازة لمستخدميك جميعاً . لكن من قِبَلِكَ أنت طبعاً . وأدخلتُ شخصياتي أنا إلى قاعة الانتظار الخاصة بك . فهناك يسعهم أن يرتدوا ملابسهم وأن يضعوا شيئاً من الماكياج إذا ما شاؤوا .

هاريسون : فهمت . وها أنا رهن إشارتك .

آراس : يا له من قول! إذن هات حكايتك . وقل لنا كم يمثّل موت زنجي من عبء على الضمير .

هاريسون: كان ذلك . . . في ماغنوليا كورنرز . . . عام ١٩٢٩ . . لم أعد أذكر في أي تاريخ . . .

المسجّل: في ٢٢ أيار ١٩٢٩ .

هاريسون: ربما . كنا قد سكرنا مساء في حانة نيكاي . (يسمع طرق كؤوس وضحكات وشتائم وموسيقى جاز) .

كان لديه قبوٌ مليءٌ بزجاجات الشراب وفي مأمن من المباغتات . وكنا خمسة .

(خمسة أصوات ينشدون الأسماء واحداً فواحداً ثم مجتمعين مثل كورس. بوزي! داني! هاري! جيمس وجوزيه! بوزي! داني! هاري! جيمس وجوزيه!)

هاريسون (حالماً) : كانت هناك أيضاً أليس ، خطيبة جيمس .

(يسمع الكورس مجدداً : أليس! أليس! ثم ضحكات امرأة)

هاريسون: كنتُ الأكبر بين الزمرة، كنت الزعيم إذاً . فقررتُ عند منتصف الليل أن نمضي لنواصل الاحتفال في بيتي في هاتيسبورغ . واصطحبنا أليس وهي فتاة منعتقة جداً وعلى استعداد لكل شيء . والواقع أنّها كانت هي وجيمس قد . . .

المسجّل: يقصد بذلك السيدة أليس بيري ، التي لم تعد تحمل اليوم أدنى ذكرى من تلك المغامرة . فقد تزوّجت من

رجل صناعة غني فأنجبت له عدة أولاد. وهي سيدة مرموقة في ساوثني، اشتهرت بفضائلها الاجتماعية السامية. كما أنها تواظب على حضور الصلوات الكنسية. ويسعدنا أن نذكرها كمثال على استعادة الاعتبار الأخلاقي.

آراس: تابع يا هاريسون. إذاً كانت أليس تبدو فتاة تنضح بالشهوة...

هاريسون: فتاة ماعادوا ينتجون من مثلها. كان الجميع في أعماقهم يحسدون جيمس عليها. ولقد ركبنا سيارة جو «تب تب» سميث، لنذهب إلى هاتيسبورغ. كان يبدو مستقيماً رغم أنه زنجي. لقد استأجرناه حتى نهاية الليلة مقابل عشرة دولارات.

(يدخل جو وهو يبتسم ويرقص، مصحوباً بمقاطع موسيقية من وضع غرشفين. وهو فتيّ ببزة خارجة عن المألوف كأنّه مغن أو راقص جاز. فسترته وبنطاله من الجوخ ذي المربعات وقبعته رمادية مع ربطة عنق حمراء وحذاء لماع وواقيتي ساق بلون الخردل. في عروة سترته زهرة كبيرة وشفتاه مصبوغتان على طريقة أل جولسون. وهو يمسك بمقود سيارة من تلك المرحلة. وسوف يؤدي جو طيلة المشهد إيمائية صامتة).

هاريسون: لست أدري كيف لم نُقتل في تلك الليلة.
(ضجّة دوران محرّك، وصرير انزلاق عجلات عند المنعطفات، صوت زمور، صراخ الركاب وشتائمهم).

كان جو سميث، الفتى الحذر، في حالة من القلق والاستنكار الحقيقي. وكنا نسعى لتهدئته بإعطائه المزيد من الشراب. فكان ينبغي أن يكون مثلنا وفي نفس الحالة من السّكر. غير أنّ أليس هي التي كانت متفوّقة على الجميع. فكان من المتع سماعها وهي تصرخ.

(تسمع صرخات أليس).

آراس: وأخيراً، يا هاريسون، بدأت تدخل في الجو. هات، أخرج زجاجة إذن ولنشرب، ذلك سوف يساعدك على الاستمرار.

(هاريسون لا يتحرك. يخرج آراس من المكتب زجاجة ويسكي وكأسين. فيسكب ويشرب).

نخب صحتك، يا هاريسون. ونخب ذكرى تلك الليلة التي لا تنسى!

تابع: كانت أليس تصرخ...

هاريسون (يشرب جرعة)**:** أوقف جيمس السيارة في ضاحية هاتيسبورغ. وكان له قصد من ذلك. كان يعرف أن

أليس تستلطفنا جميعاً، فكان يريد أن نجدّد عهد صداقتنا الأبدية بشهادة منها. فشربنا الأنخاب وتبادلنا دقّ الكؤوس. كان جيمس يقول: «واحد للجميع والجميع لواحد». ثم قال حين انتشى: «وواحدة للجميع، فماذا ترون؟».

(صوت ضحكات امرأة، ودهشة كما عند نهاية حكاية خليعة قليلاً).

آراس: وكيف قابلتم ذلك الاقتراح الكريم؟

هاريسون: لم أكن ثملاً في حياتي قط على نحو ما كنت آنذاك. لكني أعتقد أن الجميع كانوا مثلي أيضاً ولا سيما جيمس. الذي بدا مهتاجاً جداً.

آراس: ألم تقبلوا؟

هاريسون: قمنا جميعاً بمعانقة أليس حتى لا نسبّب الغمّ لجيمس. وكان جيمس يمسك برأس من لا يقبّلها جيداً، فيصرخ به قائلاً: «هيا، افعل على نحو أفضل من هذا!» وكانت أليس تغرق في الضحك. وكان جيمس يلحّ كثيراً من أجل أن ننعم بأقصى آيات الحب مع أليس وبموافقة منه. فكان يقول إنه ليس غيوراً حيال أصدقائه وإنّ تلك هي أفضل طريقة تتسم بها الصداقة.

آراس: وهل رفضت أليس؟

هاريسون: كانت ثملة بشكل تام فلم تبدِ سوى مقاومة ضعيفة. كانت النار تلتهب في رؤوسنا نحن. فنتظاهر بالنوم. لينزل كل واحد إلى الخندق بصحبتها.

آراس: وماذا كان رأي جو بذلك كله؟

هاريسون: كان قلقاً. حتى ليظنّ المرء أنه كان لديه حدس بما سوف يقع. وقد هدّدنا بإعلام الشرطة. فأعطيناه نصف زجاجة لتهدئته وعشرة دولارات أخرى. كان ينبغي أن يبقى معنا حتى النهاية.

آراس: وماذا بعد؟

هاريسون: نمنا عند حافة الطريق. ولا بدّ أن أليس شعرت بالبرد فلجأت إلى السيارة. وحوالي الساعة السابعة رغب واحد منّا في لقائها مجدداً. . .

المسجّل: «واحد منّا»؟ لِمَ لا تقول إنه أنت يا هاريسون؟

هاريسون: ليأخذني الشيطان لو أني. . . لا يهم. فقد نهض واحد منا. . .

المسجّل: استخدم صيغة المتكلّم.

هاريسون: لقد نهضت لأرى ما حلّ بأليس. إذ يمكن أن تكون توعكت أو أصابها شيء من ذلك القبيل. . .

آراس : أنت، يا هاريسون، لا تفتقر لروح النكتة. لكن لنتابع. لقد توجّهت نحو السيارة، والاهتمام يملأ جوارحك، لتستفسر عن صحة أليس.

هاريسون : أجل. فوجدتها مفعمة بالنشوة بين ذراعي الزنجي. وكان أن تولاني شعور بالقرف. فأيقظت الآخرين وكانت فضيحة مكشوفة. لكنّ أليس لم تكن على ما يرام ولم تستعد وعيها تماماً. فلم نكن في طمأنينة بشأنها. وفي تلك الساعة مرّ رجال من الشرطة. . .

آراس : ومن الطبيعي أن تلقوا على جوُ بكامل المسؤولية. . .

هاريسون : كلا، قلنا إننا لا نعرف شيئاً، وإننا نمنا. . . لو أننا شرعنا بقول كل شيء. . . كان لا بد من إنقاذ كرامة أليس. فسوف يتولى طبيب فحصها. . .

آراس : من المؤكد أنكم تصرّفتم بشهامة الفرسان!

هاريسون (وهو يرغب في الانتهاء بسرعة) **:** قام رجال الشرطة باقتيادنا جميعاً. وكانت ساعة استيقاظ الناس في هاتيسبورغ. لقد سخروا من النبأ: «فتاة فاضلة من ماغنوليا كورنرز تصرّفت بتهور حين قبلت دعوة القيام بجولة مع بعض الأصدقاء في سيارة. لكن السائق، وهو زنجي، نوّمهم حين مزج لهم مخدّراً مع الويسكي،

ليقوم باغتصاب الفتاة». ولا حاجة لسرد ما تلا ذلك. إذ لا يستطيع أحد حيال مثل تلك الفضيحة أن يحول دون ما حصل.

المسجّل: ليس سكان هاتيسبورغ موضوع الخلاف. فهم ذوو نفوس طيبة. وقد ساورتهم مخاوف شديدة بشأن أليس، التي كانت في وضع سيء جداً، بسبب الويسكي بشكل خاص. فماذا تريدون من الشريف ورجال الشرطة أن يفعلوا؟ كانوا اثني عشر وكان الناس مندفعين في غضب جامح.

(صخب وصرخات: الزنجي! الزنجي! أخرجوا الزنجي! كان جو الملتجئ في إحدى الزوايا يؤدّي مشهد التعذيب إيمائياً).

وعلينا أن نجد العذر لأليس. إذ لم يكن أمامها سوى حلّ واحد لإنقاذ سمعتها: جعل جُو يُقْتل! والواقع أنه لم يتمكن من اللهو مع أليس لأن هاريسون استيقظ مبكراً جداً.

هاريسون (نصف نائم): ما من أحد بيننا وجد لديه الجرأة على التفوّه بشيء. وماذا بعد؟ لقد كسر الناس الأبواب فأخرجوا جو.

المسجل: لم يعد جو في الساعة الحادية عشرة سوى خرقة. (يخف النور). فوضعوه فوق برميل من البنزين. من كان أول من أشعل عود ثقاب؟ ومن اقترح فيما بعد تعليق الجسد المحترق على مصباح إنارة في الشارع، وهو أشبه بشعلة تلوّت على ذاتها؟

(يسمع الصخب أثناء عملية القتل العشوائي مع صرخات مخنوقة وحركة الحشد: السافل، الأسود. ثم تخف الصرخات لتمتزج بلحن حزين من موسيقى الزنوج وإنشاء كورس بشكل عميق ومؤثر. ثم يشتد النور من جديد بتدرج فينهض جو ويخرج ببطء رافعاً ذراعيه نحو السماء).

(فترة صمت ثم يرتفع النور)

المسجل: وعلى هذا النحو مات جو «تَبْ تَبْ» سميث. وأبقي الشبان في مفوضية الشرطة حيث وجه الشريف إليهم توبيخاً قاسياً: كيف تنامون على ذلك النحو وتدعون فتاة بين ذراعي زنجي؟

آراس (بلطف)**:** هاك يا هاريسون. اشرب قليلاً. فتلك الأشياء كلها تثير في نفسي التقزّز، صدّقني. ولا شك في أنّك أمضيت فترة مقيتة. غير أن الفقرة التالية ستكون أكثر مرحاً، إن لم مخطئاً. (يتذوق الويسكي).

لكن ما دمنا بهذا الصدد، يا هاريسون، كيف تدبرتم أمركم في تلك الليلة للحصول على تلك الكمية الكبيرة من الويسكي؟ كانت الأسعار باهظة: تذكر أنها كانت مرحلة التقشف التام! ولم يكن أصدقاؤك ميسوري الحال جداً؟

المسجّل: إنّ العمل الأول الذي أداه هاريسون أداء جيداً، والذي شكل مفتاح ثروته نفسها، هو تهريب الكحول. فبوسعنا القول إنه بدأ حياته المهنية بعمل إحسان حين قدم الشراب لأولئك الذين كانوا يشعرون بالعطش...

آراس: قضية الكحول هذه ليست مدرجة في البرنامج. أستميحك عذراً يا هاريسون فهناك كثير من الأشياء...

(يسمع طرق على الباب)

من يمكن أن يأتي في هذه الساعة؟

هاريسون: يستحيل أن نعرف ذلك بعد أن صرفتَ سكريتيراتي. قد يكون أحد الأشخاص الذين قمتَ باستدعائهم؟

آراس: لا بالتأكيد. لقد تلقوا التعليمات بالانتظار حتى أقوم باستدعائهم للدخول. سوف أرى. هل تأذن لي؟

(يخرج ليعود مندهشاً).

إحزر من جاء، يا هاريسون. إنّهم مستخدمو المتحف، ليس إلا. جاؤوا ليأخذوا لوحة. هناك محافظ متحف الميتروبوليتان ومعه موظفان اثنان.

هاريسون: ادعهم للدول فوراً.

آراس: دعني أوضح للجمهور حقيقة المسألة. سيداتي، سادتي. أستميحكم عذراً لأننا سننتزع من المشهد أمامكم أجمل زينة فيه. فهاريسون فيش، الذي سبق وقدم هدايا كثيرة لمدينة نيويورك، تخلّى لتوّه عن رائعة الفنان لوكاس كراناش البكر لمتحف الميتروبوليتان، حيث يسعكم التمتع بمشاهدتها قدر ما تشاؤون، بدءاً من يوم غد. فإزاحة هذه اللوحة تعتبر فقرة غير مدرجة في البرنامج مطلقاً، وخالية من كل فائدة. (يفتح الباب).

(يدخل محافظ المتحف والمستخدمان بلباسهما الرسمي)

المحافظ: أنت السيد هاريسون فيش؟

هاريسون: بعينه.

المحافظ: جئنا ننقل اللوحة التي قدمتها للمتحف. فهذه أوراقي الرسمية والإيصال الموقع من السيد المدير.

هاريسون (وهو يتفحّص الأوراق) **:** كل شيء نظامي على أكمل وجه. بوسعكم أن تأخذوا اللوحة.

المحافظ : شكراً جزيلاً يا سيد فيش. هل يسعني أن أطلب أيضاً تسليمي الوثائق الأصلية الخاصة بهذه اللوحة؟

هاريسون : بالتأكيد. (يخرج إضبارة من جرار ويسلّمها للمحافظ) ها هي.

المحافظ : شكراً جزيلاً. سوف يعلمك السيد المدير غداً بموعد حفل استلام اللوحة الرسمي. شكراً مجدداً وإلى لقاء قريب يا سيد فيش.

هاريسون : إلى اللقاء.

(يخرج المحافظ والمستخدمان حاملين اللوحة).

آراس (وهو يفرك كفّيه فرحاً) **:** أحسنت. وأنا أهنئك، يا هاريسون، لأنك محظوظ. ربما كان المشهد ضعيفاً بعض الشيء، لكن أثره على الجمهور كان ممتازاً. وأنا أعرف قيمة تلك اللوحة. فأنت رجل ذو قلب كبير. (هاريسون مستغرق في أفكاره، فلا يرد). آه. يبدو العرض التالي مخصصاً لك أيضاً.

(يتصرف آراس مثل مذيع يعلن عن مشاركة في مسابقة، فيدخل غلوريا ديكنسون، وهي فتاة إنيقة، وغبية جداً).

آراس: ويسرني غاية السرور أن أقدم لكم (هنا يضخّم صوته) الآنسة غلوريا ديكنسون. (يقول لها). طاب صباحك، يا آنسة ديكنسون.

غلوريا: طاب صباحك، يا سيد. . .

آراس: قولي لي يا آراس بكل بساطة.

غلوريا: طاب صباحك، يا آراس.

آراس: أحسنتِ! رائع جداً، يا غلوريا. - أتسمحين لي بأن أدعوك باسمك مع رفع الكلفة؟ - رائع جداً، وهذا ما يروق لي. أما الآن، فسوف تجيبين بثقة تامة، أقول بثقة تامة، على أسئلتي. أليس كذلك؟

غلوريا: نعم، يا سيد آراس.

آراس (يقول للجمهور)**:** تعمل الآنسة ديكنسون كضاربة على الآلة الكاتبة في مؤسسة هاريسون. وهي في الوقت الراهن مفتونة برب عملها. (يقول لها). هل ترغبين في أن تقولي لنا ما السبب، يا آنسة؟

غلوريا: السيد هاريسون لطيف جداً. لقد قدم لي هدية. وأنا أشكره عليها من كل قلبي.

آراس: حسن جداً. نحن نرى أنك صادقة. (يغيّر من نبرة صوته على نحو مباغت). وما رأيك برب عملك من بعد هذه الهدية؟

غلوريا : أعتقد أنه طيّب جداً وكريم .

آراس (يقول لهاريسون القابع وراء مكتبه) **:** أحسنت ، يا هاريسون ، فقد عثرت في شخص هذه الفتاة الجميلة على محام رائع للدفاع عنك . (لم تكن غلوريا بسبب ارتباكها قد لاحظت بعد وجودها هاريسون ؛ لكنّها أضحت عصبية جداً بعد أن وقع نظرها عليه) .

آراس : جئتِ علي ذكر هدية ، يا غلوريا . فهل يسعك أن تخبرينا ما هي بالضبط؟

غلوريا : الواقع . . . أنا سوف أتزوّج من رالف ، وهو واحد من سكرتيري السيد فيش ، فقدم لنا . . . الواقع ، لقد قدم لي هدية رائعة . . . هدية زواج . . .

آراس : ماذا قدم لك إذن؟

غلوريا : سيارة فاخرة ، على نحو ما تتمناه نساء كثيرات .

آراس : هذا رائع يا غلوريا ! فتهانيّ لك من أجل السيارة ومن أجل زواجك أيضاً .

غلوريا : إنها جميلة جداً ، لونها بلون الكرز . وهي لي وحدي .

آراس : وكيف ذلك؟

غلوريا : رالف لديه سيارة صغيرة لتنقلاته الخاصة . أما السيارة «لنكولن» فهي لي أنا .

آراس (بنفاد صبر): هيا، يا غلوريا، نحن نشك في أن يقدّم المرء مثل هذه الهدية المكلفة، دون مقابل. فقولي لنا بوضوح ما جرى بينكما. فأنت فتيّة جداً وجميلة جداً وبوسعنا نحن أن نغفر لك إن كنت ارتكبت بعض أعمال الطيش البسيطة...

غلوريا: لكن بماذا تهرف؟

آراس: لا أقول إنّه وقع شيء خطير، بل أقصد أنّ من الممكن أن يكون السيد فيش قد أبدى حيالك ملاطفة... خاصة، كلا؟

غلوريا: آه، بلى. عانقني لكي يهنّئني.

آراس: ولا شيء أكثر من ذلك؟

غلوريا: لا شيء أكثر.

آراس (يتنهّد ثم يلفت صوب هاريسون): وأنت، يا هاريسون، ألا تتذكّر تفصيلاً إضافياً يزيد من متعة احتوائك غلوريا بين ذراعيك؟

(هاريسون لا يقول شيئاً. ينظر آراس، مثبّط الهمة، صوب مكبر الصوت).

المسجّل: أثناء القبلة التي طالت، قام هاريسون فيش بملاطفة غلوريا وكفّاه تتحركان فوق جسدها ببطء، وبعدئذ...

(يحمرّ وجه غلوريا وينكّس هاريسون رأسه مغتاظاً)

آراس (وهو يفرك كفّيه بفرح ووقاحة): طيب، إذن ما كان بوسعكما أن تقولا ذلك بكل طمأنينة، أنت أو هي، وأنت، يا آنسة غلوريا.

- «يا آنسة»! على كل حال - ألم تقومي بحركة مقاومة أو تنطقي بكلمة احتجاج؟

غلوريا: جرى ذلك بسرعة كبيرة... وبشكل مباغت جداً... لم أستطع أن أدرك، لم أستطع أن أقول شيئاً...

آراس: انتبهي، يا غلوريا. فهكذا ينتهي بالمرء المطاف على الدروب السيّئة، من غير أن يدرك. وهذا ما جرى لفتيات صغيرات كُثُر من أمثالك. ورالف، هل فكرت به؟ أهكذا تستعدين للزواج من شاب مؤهل وكريم؟

غلوريا (باكية): أتوسّل إليك... ينبغي أن لا يعرف شيئاً... لن أفعل ذلك أبداً...

آراس: حتى لو قدّموا لك سيارة؟ هيا، كفّي عن البكاء. ما حصل قد حصل. كوني حذرة للمستقبل. - والآن، هيا، ماذا ستغنّين لنا؟

غلوريا: الأغنية التي يردّدها كافة مستخدمين السيد فيش.

آراس : نحو مصغون إليك .

(يشغّل المسجل . يسمع لحن شارلستون)

غلوريا : «يا مستر هاريسون ، هاريسون هاريسون ، أنت بلا قلب ، بلا قلب ، بلا قلب . . . » .

(يسمع صوت الجرس)

آراس : معذرة ، يا غلوريا . لكنّهم خدعوكِ . فأنت مضطربة وغناؤك مغلوط . والسيد هاريسون يغتاظ . . . فقلبه . . . بالمناسبة ، يا غلوريا ، لماذا لم تقولي «السيّد» هاريسون على نحو ما نقول جميعاً؟

غلوريا (مشوّشة) **:** ذلك أن . . . أنا لست غلوريا ديكنسون . ولا علاقة لي بكل هذا . أنا لوسيل غونزالس وأعمل ضاربة آلة كاتبة عند أميركيين . والمستر سميث ، أدعوه دوماً بالمستر .

آراس : شيء مؤكّد . ومن الطبيعي أن تكوني أخطأت . اعذريني على هذا السؤال ، لكن لا يسعني ألاّ أطرحه عليك . وقد يكون في الأمر مصادفة . ألا يمكن أن يكون السيد سميث قد قدّم لك سيارة؟

غلوريا : ليس السيد سميث غنياً بما يكفي لذلك . ولا يستطيع أحد القيام بذلك سوى السيد هاريسون . . .

آراس : لكن يا غلوريا ، أقصد يا آنسة غونزالس ، ماذا قلت لنا الآن؟

غلوريا : إنّ السيد سميث لم يقدم لي سيارة قط .

آراس : لن ننتهي من ذلك إلى حل . ويمكنك أن تنصرفي . وشكراً على مساهمتك . (تمضي) . لحظة! نسيت شيئاً . لقد خدعوك ، لكنني سأقدم لك هدية على سبيل الذكرى . ولن تكون إلا مصادفة أخرى . إذ يسرني أن أقدم لك سيارة . أجل سيارة . (يخرج من جيبه لعبة طفل) . لا تخافي . لا خطر مطلقاً . لا يسعك الذهاب للتجوّل فيها ، لكنها ستجد مكاناً لها على منضدة هندامك . انظري أنها تنفتح من هنا لتوضع فيها أقلام أحمر الشفاه ومرآة صغيرة وعلبة للمساحيق والزينة . . .

غلوريا : شكراً جزيلاً يا مستر آراس .

آراس : «يا سيد» ، من فضلك . طاب مساؤك . . . وبالانتظار ، يا غلوريا . أقصد يا آنسة غونزالس ، حذار من الدروب السيئة .

(تخرج غلوريا على مهل) .

هاريسون (وهو يكظم غيظه) **:** أنت تسيء استخدام سلطتك . فلم وقع اختيارك على غلوريا تحديداً؟

آراس : لقد استمتع الجمهور كثيراً. وقد يجد بعضهم أني كنت متطرّفاً بعض الشيء حيالها، لكن ذلك سينفعها. فأمر مستقبلها يهمّني كثيراً، وزواجها من رالف مسألة باطلة. لأن رالف واحد من حملان الله أما غلوريا فهي كرة تائهة.

هاريسون : لماذا لم تستدع هنري أو جون سيمونز أو باتسي؟

آراس : لا تثق بهم كثيراً.

هاريسون : ليسوا بقادرين على قول أي شيء ضدي.

آراس : قد لا يستطيعون. لكن هناك المسجّل. فلننتقل الآن إلى فقرة أكثر فظاظة. فقرة شعوذة تقريباً وسحر إضافي. فقرة طفولة. اعذرني لحظة. (يخرج آراس. يمر هاريسون بيده على جبينه كمن يرغب في الاستيقاظ من حلم مزعج. يرجع آراس فيغلق الباب بهدوء).

آراس (يقول للجمهور) **:** الفقرة التالية تدعى: «المغيَّب في الهدسون» ولقد كثَّفناها حتى الحدّ الأقصى. فانتبهوا من فضلكم.

(ينضم آراس إلى هاريسون من الناحية المواجهة للباب ويدخنان. النور يغدو شديداً يرافقه دقّ خفيف على طبل. ينفتح الباب بصرير ليدخل منه دينيس أوهارا بلباس شرطي. عيناه مغضمتان وليس فيه ما يوحي بأنّه شبح سوى شحوبه الشديد جداً. إنه في الخامسة والعشرين. يتقدّم بتمهّل ويتكلّم بصوت فيه عذوبة).

دينيس أوهارا: أنا الشرطي الذي لعب لعبة الغمّيضة. ما جئت لأخيف أحداً فحساباتي صُفّت من زمن بعيد. رغبت في العودة فقط ليعرفوا سرّ موتي ويتبرّع شخص محسن بأبلاغه لوالدتي. فالمسكينة جلست تنتظرني على العشاء ذات ليلة. لقد بلغت الآن الخامسة والثمانين وهي ما تزال تنتظر رجوعي... أنا اختفيت من هذا العالم. ففي حدود عام ١٩١٠، انتشرت عصابة من الفتيان الفاسدين والمنحرفين، بين الشوارع ١٤ و٢٢ القريبة من البحر، وهي معروفة تماماً في حوليات الشرطة في نيويورك. ورغبة مني في الانتهاء من شرورهم، سعيت لعقد صداقة معهم. تلك كانت فكرتي. وعرض عليّ زعيمهم أن يدخلني في العصابة بشرط أن أخضع لبعض طقوس الانتساب، ومنها أن

أشارك في لعبة الغميّضة. فحوادث السرقة تناقصت، وتناقصت معها حالات كسر الألواح الزجاجية ومصابيح الشوارع. وكنت سعيداً لظنّي أني قد أعدتهم إلى جادة الصّواب. لكنّهم خدعوني خدعة كبرى في يوم انتسابي. وأعترف هنا أني تصرّفت بكثير من سلامة الطويّة. لقد اصطحبوني إلى مكان معزول، عند حلول الظلام، فعصبوا عينيّ. وقاموا برفع واحدة من تلك الدوائر الحديدية الكبرى التي تغلق فتحات تصريف المياه فأسقطوني فيها. وتواريت مثل من يقع في فتحة باب أرضي قلاّب.

(يتوارى فيعود النور طبيعياً)

آراس: وعلى ذلك النحو سقط دينيس أوهارا في الفخّ الذي نصبه له الأولاد.

المسجّل: لقد جرى اختيار الموقع بعناية فائقة. لأنه يشكل إحدى نقاط التجمع الرئيسة لمصارف مياه نيويورك. وحمل سيل من المياه السوداء جثة أوهارا حتى الهدسون. فمكثت في أعماق النهر إلى الأبد، أسيرة، وسط ركام قناة قديمة مهجورة. أما زعيم تلك العصابة من الأولاد، وواضع مخطط تلك الجريمة المتقنعة، فليس سوى هاريسون فيش الحاضر هنا.

آراس: ورغبت في أن يكون هو نفسه الذي يتولّى إعلام السيدة أوهارا بمصير ابنها.

(يتوجّه صوب الباب فيقف جامداً وقد بدا عليه التأثّر)

سيداتي، سادتي. هناك نبأ سيء. لقد ارتكبنا إهمالاً قاضياً. فحين دخل شبح دينيس أوهارا، نسينا أن نغلق الباب وراءه. وكان من شأن ذلك أن قرّبت أمّه مقعدها المتحرّك كثيراً، فسمعت، بل ربما أيضاً رأت كل شيء. فقضت السيدة أوهارا نحبها داخل الكواليس، وليس على خشبة المسرح على نحو ما توقعت أنا. تلك كانت الفقرة التالية من برنامجنا، فلنعتبرها في حكم المنتهية. والحال أفضل هكذا، لأنّنا تفادينا المبالغة في العرض التراجيدي. فعلينا أن نضع ذلك في الحسبان. نظراً لأهميته، فنتناسى إغلاق الباب في العروض المقبلة، فنستغني عن مشهد مضن لامرأة عجوز في مقعدها المتحرّك، تأتي لتسأل وتبكي وتموت. بالإضافة إلى أننا سنحقّق كسباً في الوقت. فلنتابع.

(يرن الهاتف)

هاريسون: هاك، حسبت أن الهاتف مقطوع؟

آراس: هذا في الواقع. لكن لا بد أن يكون الأمر هاماً. قُم بالرّد.

هاريسون (يرفع السماعة ونفسه مليئة بأمل غامض) **:** ألو. نعم. نعم، تكلموا... كيف؟... ماذا؟... اللوحة؟... لكنّهم جاؤوا... منذ عشرين دقيقة... أجل، معهم أوراق نظاميّة وإيصال موقّع... سارقون؟... أجل، سأستدعي الشرطة... محققي المتحف... أجل، على الفور.

(يضع السماعة)

يا إلهي! سرقوا لي لوحة كراناش! هل تسمع؟ الذين جاؤوا كانوا لصوصاً...

آراس (بهدوء شديد) **:** أرجوك. اطمئن. فعمل فني لا يضيع على هذا النحو. تذكر الجوكوندا. حسبوها فقدت وانتهى بهم الأمر إلى العثور عليها.

هاريسون (يحاول الاتصال) **:** ألو!... ألو!... ألو!...

(يتهالك على الكنبة منهاراً)

آراس : هاريسون! كيف لرجل مثلك أن يصرخ ويتخاذل من أجل لوحة بل هي لم تعد ملكاً لك.

هايسون : كيف لم تعد ملكاً لي؟ اشتريتها بمئة وخمسين ألف دولار!

آراس (بعذوبة) **:** لكنّك وهبتها للمتحف.

هاريسون: لكنّها تبقى لي في كافة الأحوال. ففي متحف الميتروبوليتان يضعون رقاقة معدنية صغيرة تحت اللوحات...

آراس (هازئاً): آه، بلى. الرقاقة الصغيرة... لا تشغل بالك. سأحرص على أن توضع الرقاقة الصغيرة وعليها اسمك مع كل...

هاريسون (بشكل مباغت): إذن أنت الذي دبّرت السرقة! فأنت لصّ بالإضافة إلي كل شيء!

آراس: غير أنك لا تظن أني أعددت هذا المشهد فقط لأحوّل انتباهك وأخرج لوحة لوكاس كراناش من مكتبك في ذات الوقت؟

هاريسون: إذن قل لي ماذا فعلت بلوحتي؟

آراس: إنها في كان مضمون. فأنا كما ترى أحب الأعمال الفنية كثيراً. ولوحتك الآن موضوعة في قبو مطعم ومشرب، والمكان ليس بذي شهرة تذكر. فإذا ما عثر عليه المحققون كان ذلك إنجازاً عظيماً.

هاريسون: سوف يعثرون عليه، ثق بذلك.

آراس: سيعثرون عليه إذا ما جعلتهم يمكسون بطرف الخيط في الوقت المناسب. أما الرقاقة فسوف توضع... سوف توضع...

هاريسون: هذا وعد؟

آراس: إنه وعد. . . رغم أني. . . كنت أفضل تنظيم عملية بيع خيرية أو بيع بالمزاد، أجل. . . (بإلهام مباغت) ولم لا يكون ذلك الآن؟

هاريسون: ماذا تقول؟

آراس: المناسبة مدهشة. فالصالة فيها جمهور برهن لنا على أنه يجيد تقدير الأعمال الفنية. . . سيداتي، سادتي، في متناول يدكم الآن فرصة يستحسن ألا تفوتكم. والفرصة تتمثل في أن تحملوا إلى بيتكم تلك اللوحة الرائعة للفنان لوكاس كراناش البكر، والتي كانت على ذلك الجدار قبل قليل، من بعد أن انتزعناها من أيدي متحف الميتروبوليتان.

هاريسون: تمهّل، تمهّل. . . لم تعد تلك اللوحة لي ولا لك. . . لم يعد ممكناً أن تصير ملكاً لأحد. . .

آراس (يمسك بزجاجة الويسكي من عنقها ويضرب بها ثلاث ضربات على المكتب) للبيع بالمزاد العلني! لوحة للوكاس كراناش البكر، مرسومة على أرضية من خشب لا يتغيّر، محقون بخلاّت السلولوز، بارتفاع مترٍ وستين وعرض سبعين، وتمثّل أمّنا حوّاء من قبل

طردها من الفردوس. وسوف نسلّم المشتري المحظوظ الوثائق التي تثبت أصالة اللوحة. افتتاح البيع: عشرون ألف دولار. (دقّات طبول متسارعة وصنجات). أجل، أيها السادة، ها أنتم سمعتم بوضوح: إنها أحد أعظم الأعمال الفنية في العالم مقابل مبلغ هزلي يعادل عشرين ألف دولار.

هاريسون (أمام صمت الجمهور): أعتقد أني سأظل مالك اللوحة.

آراس: لا تحسبني ساذجاً. يمكن بالتأكيد أن تظل في النهاية محتفظاً بلوحة لوكاس كراناش، لكن لا بد من إعطاء دفعة للمزايدة بروح متحررة وحماس. ذلك أن لدي فريقاً من المزايدين، بالإضافة إلى الجمهور المحترم. (يدير زراً فتسمع همهمة الجمهور وأصوات رجال ونساء يقومون بالمزايدة). عشرون ألفاً وخمس مئة دولار... واحد وعشرون ألف دولار... اثنان وعشرون ألفاً وخمس مئة... ستة وعشرون ألفاً... سبعة وعشرون ألفاً... ثمانية وعشرون ألفاً وثمان مئة... تسع مئة... تسعة وعشرون ألفاً... ثلاثون ألف دولار.

آراس (للجمهور): هل هناك من يزيد؟ . . . لا أحد؟ ذلك غير ممكن؟ لا أحد؟ أهكذا يقدّرون اليوم الأعمال الفنية الخالدة؟ وأنت، يا هاريسون، هل تدع تلك اللوحة تفلت منك نهائياً؟

هاريسون (المنساق ضمن اللعبة، بشكل لا يمكن تفسيره، هاريسون الذي اختلط صوته بصوت المزايدين الأوائل يتمتم متلعثماً): واحد وثلاثون ألف دولار.

هاوية التحف (وهي تنهض من مقعد أمامي): اثنان وثلاثون ألف دولار.

هاوية التحف (غير بعيد عنها): ثلاثة وثلاثون ألف دولار.

هي: أربعة وثلاثون ألفاً.

هو: خمسة وثلاثون ألفاً.

هي: ستة وثلاثون ألفاً.

هو: سبعة وثلاثون ألفاً. (آراس يصفق كفاً بكف. هاريسون ينتظر اللحظة ليقول الكلمة الأخيرة).

هي: سأضع على الدوام ألف دولار زيادة عليك.

هو: ثمانية وثلاثون.

هي: ألف زيادة. . . إن حوّاء جزء من ثلاثية. . .

هو: أما أنا فآدم. . . تسعة وثلاثون ألفاً. . .

هي: وأنا الحية . . . أربعونَ ألفاً . . . سأدفع على الدوام أكثر منك حتى لو اضطررت لأن أبيع نفسي للشيطان . . . أنا أقوم بتجميع الثلاثيات .

هو: أما تلك الثلاثية فلن تكمليها أبداً . . . اثنان وأربعون ألفاً . . . لدي غير ذلك لوحتان من ثلاثية أخرى لبوتيتشلي، الأسرة المقدسة . . . ينقصني الطفل فقط . . . خمسة وأربعون ألفاً .

هي: ها أنت أخيراً! فلوحة الطفل لديّ أنا . . . ستة وأربعون ألفاً . . .

آراس: أطلب من المزايدين بإلحاح الكفّ عن الكلام في شؤون شخصية وإعطاء رقم الزيادة فقط . هيا! وقفنا عند ستة وأربعين ألف دولار . وما يزال أمامنا درب نسير عليه .

هو (من بعد حساب داخلي): خمسون ألف دولار .

هي (تذهب بغنج نحو هاوي التحف): لنشتر اللوحة لنا معاً .

هو (هو بشهامة وشيء من المكر): ونكمل الثلاثية .

هي (بحشمة): إذا شئتَ أنتَ .

هو: وتمنحيني طفل بوتيتشلي؟

هي: . . . أجل . يا سيدي . . .

هو: اسمي إميت سمبلتون، وعلى استعداد لأداء أية خدمة تريدينها . . .

هي: سعدت بالتعرف عليك. اسمي بربارا ويدعونني بابي. (تقول لآراس) أنا والسيد سمبلتون سوف نشتري اللوحة... معاً.

آراس: طيب (للجمهور) هل من مزيد؟ خمسون ألف دولار؟ هل من مزيد؟ أقضي بالتمليك. (يوجه الضربة الأخيرة على المكتب بزجاجة الويسكي). (يقول للاثنين). هل يمكن أن تتفضلا بالصعود إلى خشبة المسرح لإتمام الإجراءات؟ (يصعدان).

هي (تفتح محفظتها): آه! يا إلهي! نسيت دفتر الشيكات! ألا يسعك أن تقرضني خمسة وعشرين ألف دولار حتى صباح الغد؟ كما يسعنا، أن كنت تفضّل ذلك، أن نتعشى معاً في بيتي هذا المساء، ونحن خارجان من المسرح.

هو: بكل سرور يا سيدتي، وأنا سعيد جداً بالتأكيد، فشكراً جزيلاً. (يوقّع شيكاً ويقدمه إلى آراس).

هاريسون (يقول للهاويين): ألم يخطر في بالكما أنّ اللوحة يمكن أن تكون مزوّرة؟

هي: شكراً على هذه الملاحظة الودية، غير أني في مأمن من حادث من هذا النوع. فلدي تأمين بقيمة نصف مليون

دولار، وكلما اشتريت نسخة بدلاً من الأصل تقوم شركة التأمين بدفع القيمة.

آراس: تهانينا. فالمرء لا يأخذ حيطة كبيرة قط حيال اللوحات القديمة. فهل تذكر يا هاريسون تلك المرة التي خدعوك فيها بشأن لوحة المادونا لليوناردو؟ (يحني هاريسون رأسه ويضع يده على قلبه، حوار صامت بين الهاويين طول فترة حديث آراس). سيداتي، سادتي. سأستخدم مال المزايدة لإخراج فيلم عن حياة هاريسون فيش المثالية. فهل تتخيلوا مدى الفائدة التي يمكن تحقيقها من قصة حياته بواسطة السينما؟ أما إذا جمعتُ العناصر الكافية فأعدكم بأن أصوّره بالألوان (الهاوية تشير إليه بالاقتراب وتهمس في أذنه بشيء. يشرق وجه آراس بصورة مبالغ بها). تخيّلوا ما حصل هنا للتوّ! لقد قرّرا أن يتزوّجا ويسرّهما أن يحيطاكم علماً بخطوبتهما... أجل أيها السادة، وفي عشر دقائق ليس إلاّ، انتقل السيد والسيدة سملبتون - اسمحوا لي بأن أكون أول من يدعوهما بهذا الاسم - من الخصومة الفنية إلى مباهج الحب... نحن نهنئكم من أعماق قلوبنا أيها الأصدقاء الأعزاء، وكنّا نود مواصلة

التحدث معكم لولا أن علينا متابعة البرنامج بسرعة.
هل يكن أن تتكرّما . . . (يتوجه الهاويان نحو الصالة).
كلا، ماذا تفعلان؟ بل تعالا من هنا . . . (يقودهما نحو
باب في الصدر). من هناك. الباب الثاني على
اليمين. . . إنها قاعة صغيرة وجميلة، وذات جو دافئ
وحميم، مجهزة خصّيصاً من قبل هاريسون فيش . . .
بوسعكما بدء شهر العسل فوراً . . .

(يخرج الهاويان مبتسمين على أنغام موسيقى تعزف لحن مشية العروسين).

آراس (وهو ينظر في ساعته): يا إلهي! لم يعد لدينا سوى الوقت الكافي للانتقال إلى قصة مايي. استعدوا من فضلكم، فهي الواقعة الأكثر أهمية في هذه السهرة.

هاريسون (متعباً): مايي؟ . . . سوف تأتي مايي إلى هنا؟ . . . وكيف؟ . . . فتيَّة أم عجوزاً؟

آراس (بقسوة): لا فتيَّة ولا عجوزاً. مايي لن تأتي.

هاريسون (بأمل): هل تحذف الفقرة.

آراس: على الإطلاق. سوف ترى زوجها.

هاريسون (بذهول): وما علاقتي به؟

آراس: سوف تتفاهما على أحسن وجه. فهو يحمل أوراقاً نظامية، تؤهله القيام بكافة الأعمال باسمها . . . إذ يتوجب عليك أن تدفع له تعويضاً صغيراً. لأن مايي تتلقى العلاج في أحد المصحّات.

هاريسون: تلك المغامرة مقيتة جداً بالنسبة لي. سوف أدفع التعويض عن طيب خاطر. قل لي كم ينبغي، لكن احذف الفقرة . . . أرجوك أن تفعل ذلك من أجلي.

آراس (بروح موظف نظامي جداً)**:** علي أن أفعل شيئاً من أجل زوج مايي، لا من أجلك أنت. وهو ينتظر. لقد جاء من مسافة بعيدة جداً. وقد علّق عليك كافة الأوهام. إنه مفلس تماماً ومصيره الآن معلق على حكاية حب قديمة. سوف أجعله يدخل من بعد استئذانك.

(يفتح الباب)

أدخل.

(يقول للجمهور) إنّه السيد روسكوي هاميلتون.

(يظل روسكوي هاميلتون التائه، واقفاً عند العتبة. وهو في الخمسين مظهره عادي جداً. أنفه محمرّ وعيناه معكّرتان. يترنّح كمن يمشي وهو نائم وعليه مرح سكّير. وكل ما فيه دبق: روحه وجسده وحركاته وصوته. يمسح وجهه المتعرّق

بمنديل كبير. له شاربان مهملان وملابسه مدعكة ومجعّدة. يسمع صوت أغان قديمة يرافقها عزف على آلة البانجو).

روسكوي (كأنّه في حلم): حلمت على الدوام بأن أستقرّ في نيويورك... طاب يومك يا سيد هاريسون.

هاريسون (بجفاء): طاب يومك.

روسكوي: أعذرني، فلست على أحسن ما يرام. أنا حلمت دوماً بأن أستقرّ في نيويورك... لكني أشعر أني لست على ما يرام... إنّما السبب ذلك المصعد الملعون.

هاريسون (لمجرد الإجابة فقط): جئت إذن من غير امرأتك؟

روسكوي: أعذرها، فهي لم تقوَ على المجيء. يا للمسكينة! إنّها في أحد المصحّات. فرأسها ليس على ما يرام! لكن كن مطمئناً، فالدار حالها حسنة.

هاريسون: ولا بدّ أن يكلّف ذلك مالاً كثيراً، أليس كذلك؟

روسكوي: بلى، إنه مكلف! لكن ما كان بوسعي أن أدع مايي تحتجز في مصحّ، كيفما اتفق، ويسعدني أن تصدّق كلامي.

هاريسون (عازماً على الانتهاء منه بسرعة): وكم يكلّفكم ذلك؟ أنت تعرف أني على استعداد لتقديم العون إلى مايي.

روسكوي: كم هو مدهش أن تتذكّر بعد كل هذه السنين، ونحن نشكرك على كل حال. وكما يقول المثل فضلٌ متأخر خير من العدم.

هاريسون: كم يكلف ذلك المصحّ؟

(آراس يراقبهما وهو جالس في كنبة).

روسكوي: دعني أهنئك أولاً على إقامتك الممتازة. فأنا رجل أعمال أيضاً. وقد حلمت على الدوام بأن أستقرّ في نيويورك. هلا قلت لي، إن كانت إيجارات الأمباير غالية جداً؟

آراس (بدافع المساعدة): يستطيعون في إدارة المبني أن يقدّموا لك كافة المعلومات. وسوف يكون طابق بحاله فارغاً عما قريب.

روسكوي: حلمت على الدوام بأن أستقر في نيويورك، وأعتقد أن ذلك ما افتقرت إليه لتحقيق ازدهار كبير. . .

آراس: طابق فارغ في الامباير يمكن أن يكون ملائماً لك.

روسكوي: غير أني أجّلت ذلك على الدوام، من عام لآخر، حتى لم يعد لدي الآن النشاط الكافي لأشقّ درباً لي في برج بابل المخيف هذا.

آراس: مافات قط أوان البدء.

روسكوي : اعلم يا فيش، وأنت تراني في هذه الحال، مستعداً لقبول عون كريم، أنّ السبب لا يعود إلى نقص مواردي.

هاريسون (بنفاد صبر) **:** أحذّرك من أن معونتي موجّهة إلى مايي، حصراً. واسمح لي بقول ذلك، فليس لي من علاقة بك مطلقاً.

روسكوي : كم الأمر عجيب! هذا فيما أعتقد أنّ عليك حساباً تصفّيه معي أنا. وأحمل في جيبي، على كل حال، بعض الأوراق التي تخولّني أن أتسلّم أموالاً تخصّ مايي وأديرها باسمها. أتريد أن تراها؟ منذ البداية حسبت أنّ مساعدتك ستقوم على... (يؤدي حركة تعني المال) أنت ترى ماذا أقصد؟

هاريسون : هيا إذن إلى الهدف مباشرة. ولست أرى أن الحيرة تستبدّ بك كثيراً. فكم تريد؟

روسكوي : أستحلفك بالله يا هاريسون! من تظنّني؟ أتحسبني مبتزاً؟ لا ينبغي أن نتسرّع كثيراً.

هاريسون : ليس لدينا من شيء آخر نتبادل الحديث بشأنه.

روسكوي : وهذا ما يوقعك في الخطأ. إذ لا يسعك أن تعرف كم شقّ على قرار المجيء إلى هنا. وقد جهد محاميك

كثيراً لإقناعي. أما بعد، فكل شيء نجم عن خطئك أنت. وليس ما يمنع أن أحقّق أنا شيئاً من المنفعة.

هاريسون: لست مسؤولاً عن زواجك من مايي.

روسكوي: لست مسؤولاً عن الزواج. كلا. لكنك مسؤول أمام سعادتنا. فكيف للمرء أن يكون سعيداً مع امرأة تعرّضت لمثل ذلك التلف؟

هاريسون: كم يلزم لعلاج مايي؟ كم تبلغ كلفة ذلك المصحّ حسب رأيك؟

روسكوي (يرى علبة لنوع من السيجار فوق المكتب): اللعنة، أنا أغبطك. إذ لا أستطيع أن أسمح لنفسي بشيء من هذا القبيل حتى في يوم عيدي. (يأخذ سيجاراً) هل تسمح؟

هاريسون (مغتاظاً): أتريد أن تقول لي للمرة الأخيرة كم يكلّف ذلك المصحّ؟

روسكوي: أنت تظن أنّ كل شيء قابل للتسوية بالمال. الأمور تسير غالباً على هذا النحو، طبعاً. لكن من عساه يقوى على إصلاح حياتي، حياتي المحطمة؟ لست أنت على ما أفترض. إنّ مريضة مثل مايي تُفتدى بالعينين. ولقد آلت أعمالي إلى الإنهيار بسببها.

هاريسون: قلت لك إنّي مستعد لمساعدتكم.

روسكوي: ومن بعد؟ ما نفع الزواج ما لم ترزق بولدين أو ثلاثة يجعلون حياتك أكثر عذوبة؟ إني تصرفت على نحو سيء لأني لا أجد أحداً أمامي لأضرب له المثل الصالح. لو أنّ لي إبناً، ما احتجت لأن أمدّ اليد هنا... ولقد حلمت على الدوام بأن أستقرّ في نيويورك.

هاريسون: لكنّ هذا ما لا علاقة لي به مطلقاً!

روسكوي: أنت المسؤول عن كل شيء، وهذا ما دعاني لأن أقرّر المجيء إلى هنا، لأطلب منك تعويض عطل وضرر. لقد بقيت مابي عاجزة تماماً بعد الحادث الأول الذي أصابها.

هاريسون: وكيف ذلك؟

روسكوي: لا ألومك على الأمر لوماً شديداً، إذ لم يكن لديك على الأرجح كفاية من المال آنذاك. أما المسكينة مابي، فإنّ صديقها الطالب قد قتلها تقريباً.

هاريسون: ماذا تقص عليّ؟

روسكوي: لا تتصنْع الغباء. صديقها الطالب في كلية الطب، والذي ساعدها على الخروج من مأزقها. قام بتسوية

الأمور مقابل مبلغ ضئيل. غير أنّه تركها عاجزة إلى الأبد. لقد رغبت على الدوام في أن ترزق بطفل، لا سيّما من زوجها الشرعي؟

هاريسون: عليك أن تدرك أنّ الحوادث تقع في كل مكان. ويمكن لأفضل طبيب أن يقع في الخطأ . . .

روسكوي: لا شك في أنّ الحوادث تقع في كل ساعة. لكن هناك على الدوام واحد يدفع عن الآخرين. وأنا قد دفعت عنك.

هاريسون: أنت ترى أنّي على استعداد لمساعدة مابي.

روسكوي: أجل، بحفنة من الدولارات. ألا قل لي، ما هي المئة دولار شهرياً بالنسبة لرجل مثلك؟ إنها شعرة واحدة تنتزع من فروة قط. أقول شعرة واحدة! إنها ذرة غبار تزاح عن شعرة واحدة من فروة قط، ذلك ما تمثله بالنسبة لك يا سيد هاريسون فيش . . .

هاريسون (بلا مبالاة)**:** وماذا يسعني أن أفعل غير ذلك؟

روسكوي:. ألا تساوي شيئاً حياة إنسان بالنسبة لك؟ حياة رجل يحتاج لأن يشرب كأساً بين وقت وآخر، من أجل أن يغمض عينيه ويواصل الحياة . . .

هاريسون: أنت ثمل، ولا تدري ما تقول.

روسكوي (على وشك البكاء): كانت حياتي كئيبة جداً! فليس من أحد لأبوح له بمتاعبي. إنّي وحيد. وليس هناك سوى بوب. فهل تعرفه؟ بوب كولينز، صاحب الحانة الصغيرة بجوار بيتي...

هاريسون: ألا يسعك أن تصمت قليلاً؟ تحدث فقط على المسألة التي جاءت بك إلى هنا.

روسكوي: لن تقوم بطردي لأنّي راغب في أن أقصّ عليك متاعبي؟

هاريسون: متاعبك لا تعنيني.

روسكوي: لكنّها جاءتني بسببك! لا تحسب أنّي لا أحسن فهم الأشياء. لقد ارتكبت خطيئة في شبابك. لكنك دمّرت أيضاً روح مايي، وهذا ما لا تُسدِّد قيمته بالدولارات.

هاريسون: لا تقبلها إذن.

روسكوي: وهذا ما يلائمك، أليس كذلك؟ ماذا تعطي لو جئتك متذرِّعاً بكرامة مهرج، فرميت مالك في وجهك؟ لكن لي كرامة، حتى لو خامرك الشك بشأنها، وسوف تدفع من أجل كرامتي.

هاريسون: كل امرئ يحيا الحياة التي يستحقّها.

روسكوي: في هذه الحال أنت تستحق أن تلتقط أعقاب السجائر من أرض الشارع.

هاريسون: إخرس وإلا أخرجتك من هنا!

روسكوي: طيب، طيب. . . أنت تحسب أنّ قيمتك أكبر من قيمتي، غير أنّك مخطئ. فأنا، على نحو ما تراني، ثملاً، أطلب الصدقة، أفضل منك. وهذه اليد التي سوف تتلقّى مالك، مددتها للمرأة التي رميت بها في الوحل، ذلك أنّي، إذا كان علينا أن ندعو الأشياء بأسمائها، قد انتشلت مايي من الوحل. وليست غلطتي أنا، إن كانت قد واصلت السير على الدروب التي رسمتها أنت لها، حتى عندما توفّر لها ما يكفي لتأمين طعامها ومأواها.

آراس: من فضلكم! أوقفوا الجدال وأصغوا. سوف نسمع حواراً ممتعاً لنا جميعاً. لحظة. . .

(تسمع موسيقى ثم أصوات مايي وهاريسون في سن الشباب).

مايي: هاريسون، هاريسون، ما بك؟

هاريسون: أنا حزين، يا مايي، حزين جداً.

مايي: ألا تحبني؟

هاريسون: أنا أعبدك، يا مايي، أنا أعبدك، لكنّي حزين.

مايي: ولماذا يا هاريسون؟

هاريسون : لأنّي لا أستطيع الزواج منك بالسرعة التي أرغب فيها .

(يسمع هاريسون وهو يغنّي «في كوخ صغير»)

مايي : يا لها من أغنية جميلة! (تغني بدورها)

في كوخ صغير
عند شاطئ النهر
سأبقى معك يا حبيبي
حتى نهاية العمر . . .

سوف أنتظر حتى تصبح قادراً على أن تتزوجني، يا هاريسون .

هاريسون : أتزوّجك . . . هذه أغلى أمنية على قلبي . . . إنّي أتألّم كثيراً لأنك لست ملكاً لي منذ الآن . . .

مايي : وأنا، أتعتقد إذن إنّي لا أتألّم؟ إنّي أحلم بذلك . . .

هاريسون : أصغي، يا مايي . الإنتظار، بالنسبة للرجل، صعب جداً . وأنا أودّ أن أظلّ طاهراً . أن أحفظ نفسي لك . (روسكوي هاميلتون يلقى العناء حتى لا يضحك) . لكني أخشى أن أفعل مثل الآخرين، وأن أعاشر فتيات سمعتهن سيئة . عندئذ سأصبح ضائعاً، ملطخاً بالعار . ولن أغدو جديراً بك .

مايي: لِمَ تتكلم على هذا النحو؟ سوف أعتني بك وسأفعل الكثير حتى تنسى الأخريات جميعاً، كي لا تبقى إلاّ لي...

هاريسون: أنت لا تحبّيني على نحو ما أحبك. وإلا ما كنت تركتني أعاني كل هذا العذاب من أجلك...

مايي: أنا لا أريدك أن تعاني من أجلي، يا هاريسون. هيا عانقني...

المسجّل: فكروا، سيداتي، سادتي، في أنّ هذا الحوار كان دائراً بين شابين فتيّين جداً وعمرهما على التوالي سبعة عشر عاماً واثنان وعشرون. وكان ذلك في ضحى يوم ربيعي، داخل زورقهما المنزلق بليونة فوق مياه النهر الساكنة، فهل هناك ما يدهش في أن تسلّم مايي نفسها لهاريسون بعد فترة قصيرة عند المساء وفي الزورق ذاته؟

روسكوي: مادام ذلك عند مساء جميل وفي زورق ينساب فوق النهر... ذلك مدهش حقاً! (يقول لهاريسون) كنت تبغي أن تظل طاهر الذيل! وأن لا تبدّد شبابك مع فتيات يعشن حياة ماجنة! أيّة رومنسية تلك! كنت راغباً في البقاء طاهراً بين ذراعي صديقتك مايي، كلا! أمّا من

بعـد، فليـأخـذها الشـيطـان. أو أن يأتي أحـمق مـثلي فـيتـزوّجـهـا! لكـني فكرت: ربما هـناك أخـريات لا قين نفس المصير؟ فهل فكرت بـهن قليلاً، يا هاريسون؟ أم أن مـايي تمثّلهن جـمـيـعـاً؟ فـيكون ذلك بمثـابة حلّ اقتصادي. . .

هاريسون: هلاّ لزمت الصمت أيّها الغبي!

روسكـوي: أنا أقل ذكـاء منك بكثيـر يا هاريسـون. وأعتـرف بذلك. إني أغـبطك، فأنت تتـمتع بما ندعـوه بالتـقنية. أحسنت! وفيـمـا كنا نحن نقـصد فتيات من فئة النصف دولار، كنت أنـت تبـحث عن صـغـيـرات بريئـات مـثل مايي. وتقص ّعليهن جميعاً ذات الحكاية:

«في كوخ صغير

عند شاطئ النهر. . .»

هاك الحقيقـة، أنت تثير قـرفي. لكنهـا الحيـاة. ومـا أنا سوى أحـمق. وأنا لم أعرف في حياتي ما معني البكر. فحين تزوّجت، كانت مايي من نصيبي. . .

هاريسـون (يهـجم على روسكوي فـيـمـسك به من قـبة سـتـرته ويهزّه): ألن تخرس؟

آراس (يفرّق بينهما) **:** إهدأ، يا هاريسون. فمن واجبي السهر على سلامة السيد هاميلتون.

هاريسون: إذن فليخرس وإلا . . .

آراس (بهدوء) **:** وإلا ماذا، يا هاريسون؟ لا تجعلني أقسو. بقي أمامك وقت قصير فلا تبدّده بقول الحماقات . . .

هاريسون (مرهقاً) **:** أَخْرِس هذا الغبي . . .

آراس: لم يبق لديه، حسب ظني، من شيء يقوله.

روسكوي (متحيراً) **:** أمر عجيب على كل حال . . . خدعتني مع امرأتي من قبل أن أتزوجها، وتشعر بالإهانة لأنّي أتيت أذكّرك بذلك الآن . . . يا للمسكينة مايي! لم تكن الغلطة غلطتها . . . كانت راغبة في أن ترزق بطفل مقابل أي ثمن، وعليه فقد بحثت خارج بيتنا عمن يمكن أن يكون أباً . . . لقد لطختني بالعار تماماً . . . حتى قيل إنها بصبحة بوب كولينز . . . غير أنّ هذا ما لا أصدقه . . . فهو صديقي المفضل . . . وأنا أعذرهم جميعاً إلا ذاك . . . (يجهش باكياً).

هاريسون (قائلاً لآراس) **:** سوف تخبرني متى نستطيع الخروج من هنا.

آراس (ينظر إلى ساعته ثم يقول بلهجة تسوية) **:** طيّب، يا هاميلتون، سوف تنسى كل ذلك وسوف تحصل على منحة مئة دولار في الشهر، ما رأيك؟ سيعود ذلك عليك بكثير من النفع. (يربّت قليلاً على كتفه).

هاريسون: سوف يبدّدها على الويسكي.

روسكوي: أنا أتصرّف بمالي كما أشاء.

آراس (راغباً في الانتهاء) **:** إنصرف الآن، أرجوك. وسوف تتلقى مئة دولار في الشهر، ما دامت مايي على قيد الحياة. ويمكنك أن تتق بذلك، فالأمر جاد. هيا انصرف.

روسكوي: أودّ فقط من السيد هاريسون أن يعطيني المئة دولار الأولى بنفسه. فقد جئت إلي نيويورك ومعي مبلغ ضئيل من المال. وأكاد لا أملك شيئاً للعودة. سيكون تلطفاً منك، يا سيد فيش . . .

هاريسون (يخرج من محفظته ورقة نقدية فيضعها فوق المكتب) **:** هاك.

روسكوي (يأخذ الورقة) **:** شكراً جزيلاً فاعذرني. لكنّ قلبي كان مثقلاً بالغمّ. أما بوب . . . فأنت تعرف . . . ما عدت أبالي به . . . طيب، إلى اللقاء يا سيد فيش.

سأبعث إليك بأخبار عن مايي. إنّ المسكينة الصغيرة تتذكّرك وتتذكّر الطفل الذي فقدناه معاً... وداعاً يا سيد فيش.

(هاريسون لا يجيب بشيء)

آراس: إلى اللقاء قريباً وشكراً جزيلاً يا سيد هاميلتون.

(يدفع به نحو الباب).

روسكوي (يتوقّف عند العتبة وقد أوشك سيجاره أن ينتهي): هاريسون، ألا يسعك أن تقدّم لي سيجاراً آخر من فضلك؟

(هاريسون لا يرد).

آراس (يشير إلى المكتب): خذ العلبة كلها.

روسكوي (يأخذ العلبة مغتبطاً فيضعها تحت ذراعه): شكراً، شكراً. وداعاً، أيها السادة. شكراً جزيلاً. (ينظر مرة أخيرة ناحية المكتب قبل أن ينصرف). لقد حلمت على الدوام بأن أستقرّ في نيويورك...

(هاريسون منهار تماماً).

آراس: تشجّع يا هاريسون، تشجّعْ! لم يبق سوى الفقرة النهائية، لكن علينا أن نشحذ الهمّة لتأديتها على الوجه الأكمل (ينظر إلى البرنامج ويقول فرحاً): ... الفقرة تدعى: الرقصة الختامية. ما رأيك؟

هاريسون (كأنّه في حلم) **:** الرقصةالختامية؟ ماذا تقصد؟

آراس : ينتهي المشهد كأنّه احتفال، بلون من المنوعات، وبرقصة مرحة . . .

هاريسون (بقلق) **:** ولكن من سيرقص؟

آراس : أنت، يا هاريسون، أنت! إنّك لراقص ممتاز.

هاريسون (منهمكاً) **:** أنا؟ أرجوك، إفعل بي ما تشاء، لكن لا تطلب إليّ أن أرقص . . .

آراس : اطمئن. سوف ترقص مع فيرونيك. وأنت لن تزدريها على ما أظن؟

هاريسون : فيرونيك؟

آراس : أجل، فيرونيك. فقد ارتدت ملابس لهذه المناسبة. سأقوم باستدعائها.

هاريسون (يمسك به) **:** فيرونيك هنا؟

آراس : أجل. بل هي مضطربة على نحو ظاهر. (يفتح الباب فتدخل فيونيك).

(فيرونيك امرأة جميلة فتيّة، ونجمة مسرح المنوعات. ترتدي طقماً فضياً. لكنها أشبه بمومياء فبشرتها جافة متقرّنة. وتعلو ثوبها بقع من الرطوبة والطحالب البيضاء. شعرها الأشقر الرمادي قاس ويسقط بشكل مبعثر على كتفيها. جانب من وجهها مغطى بكامله بنبتة طفيلية وتخرج من وسطها زهرة

أوركيديا خبيثة على سوية أذنها اليمنى، أما جذور النبتة فتزل على عنقـهـا وتـدخل تحت نـحـرها. ثوبهـا ممزق من جـانب فيكشف عن جزء من ساقها الشبيه بقطعة من البرونز الصدئ. تضع عقداً من حجارة اليشب السوداء والذهبية والخضراء. رأسها الشاحب يبدو مخلوعاً من مكانه. وعيناها تلتمعان. وهي توحي بمجموعها بطعام فاخر في حالة من التفسّخ).

هاريسون (وهو يحاول أن يستيقظ من كابوس): هذه أنت؟ ماحقيقة هذه المهزأة؟

فيرونيك (مندهشة): مابك؟ أنت تبدو مضطرباً؟ (آراس يشغّل الموسيقى: لحن فوكس - تروت حاد). خذني بين ذراعيك، يا هاريسون، ولنرقص.

آراس: طيّب، ارقص، ما بك؟ (هاريسون، كالمصعوق، لا يتحرك. آراس يدفع به نحو فيرونيك). قلت لك ارقص! (آراس يضبط الإيقاع وهو يصفّق كالعفريت. يخطو الثنائي بضع خطى). أحسنتم! أحسنتم! بسرعة أكبر! بسرعة أكبر! (تغدو الموسيقى سريعة تسبب الدوار، فتجعل فيرونيك هاريسون يدور حول نفسه بسرعة).

هاريسون (يبذل جهداً كبيراً، ليدفع بفيرونيك بعيداً عنه، فتسقط فوق كنبة).

- لم أعد أقدر! لم أعد أقدر! (ينظر بتقزّز إلى ثوبها الغامق وعليه بقع مائلة للبياض. يضع يده على قلبه الذي أخذ يخفق بإيقاع متسارع. يسمع صوت طرقات القلب مضخّماً لحين مرور الطائرة).

آراس (يقول لفيرونيك): إذهبي واستدعي طبيباً. فالهاتف هنا لا يعمل. استدعي الدكتور فينكل إذا كان ذلك ممكناً. فالسيد فيش أصيب بأزمة قلبية. (تخرج فيرونيك). شيئاً من الهمّة، يا هاريسون! لم يبق إلا بضع ثوان! (ينظر في ساعته. يسمع صوت أزيز طائرة). بماذا تشعر؟ أجبني! (يهزه).

هاريسون (مترنحاً): بنوع من الدوار...

آراس: لا أريد تلك الكلمة. ابحث عن شيء آخر.

هاريسون: بشيء من الرهبة. بشيء من الرعب...

آراس: كلا، كلا، فكّر. بسرعة. لم يبق سوى بضع ثوان. بماذا تشعر؟

هاريسون: بالقرف.

آراس: أحسنت! قل ذلك بصوت أقوى! بصراخ! فالطائرة سوف ترتطم.

هاريسون (مذعوراً): بالقرف! أحس بالقرف! بالقرف! القرف من كل شيء!

(ضجيج الطائرة يفوق الاحتمال. ينظر آراس إلى ساعتة فيتنفس الصعداء ويؤدي إشارة بيده. ارتطام هائل. ينطفئ النور. يسدل الستار. صوت زجاج يتحطم وجدران تتهاوى. تنفجر محركات الطائرة الساقطة. تعمل أجراس الإنذار في المبنى وتختلط بصراخ المستأجرين. الذعر مسموع. بوق سيارة إطفاء بعيد يغدو قريباً ثم يطغى عل كل أشكال الضجيج. صمت مباغت).

(يسمع بوق البداية مصحوباً بأصوات آلات موسيقية. يخرج آراس من وراء الستار مبتسماً وورقة في يده).

آراس: «في ٢٨ تموز ١٩٤٥ صباحاً، صدمت طائرة تابعة لسلاح الجو ناطحة السحاب الامبايرستيت على سوية الطابق السبعين، فنجم عن الحادث ثلاثة قتلى وعشرون جريحاً».
وما دمنا بهذا الصدد، فهل شعرتم يوماً بالقرف؟ تذكروني. اسمي آراس وأنا اختصاصي بالمفاجأت...
مع خالص التقدير (ينحني ويختفي).

(يختتم المشهد على أنغام مجموعة من الأبواق تعزف لحن جاز سريعاً ومرحاً).

موريس ميترلنك

المسرحية التاسعة

العميـــان

مسرحية ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Maurice Maeterlinck

Les Aveugles

إلى شارل فان لربرغ

الشخصيات :

الكاهن

ثلاثة كُمْهْ[1]

الأعمى الاكبر سنا

الأعمى الخامس

الأعمى السادس

ثلاث عمياوات عجائز يصلّين

العمياء الأكبر سنا

عمياء فتيّة

عمياء معتوهة

١- الأكمه: الأعمى بالولادة.

المكان غابة شمالية قديمة جداً ذات مظهر دهري تحت سماء خافتة النجوم. يشاهد كاهن مسنّ جداً، جالساً في الوسط صوب العتمة، متلفّعاً بمعطف أسود فضفاض. يستند جذعه ورأسه المرتدان قليلاً، والساكنان سكون، الموت الى جذع سنديانة ضخمة جوفاء. وجهه في امتقاعه جامد كالشمع، تنفرج فيه شفتان بنفسجيتان. عيناه الخرساوان المستقرتان كفّتا عن النظر شطر الأبدية المرئيّ، وتبدوان داميتين رازحتين تحت عبء ثقيل من الآلام السحيقة والدموع. أمّا شعره ببياضه الوقور، فتسقط خصله الضئيلة المتيبّسة فوق وجه أكثر إضاءة واكثر نصباً من كلّ ما يحيط به في الصمت المتيقّظ للغابة الكئيبة. يداه المعروقتان مضمومتان بتصلّب فوق الفخدين- يجلس ناحية اليمين ستة عميان مسنّون فوق حجارة وأرومات وأوراق جافة -وتجلس ناحية اليسار ست نساء، عمياوات أيضا، قبالة الرجال المسنّين، وتفصلهنّ عنهم شجرة مقلوعة وبضع قطع من الصخر. ثلاث من النساء يصلّين وينتحبن بصوت خافت دونما انقطاع. الرابعة مسنّة جداً. أمّا الخامسة فتقعد بهيئة جنون صامت، وفوق ركبتيها طفل نائم.

وتبدو السادسة في سنّ الشباب المتألّق، وشعرها ينسدل ليغمرها كلياً. ترتدي النساء، مثل الرجال، ثياباً فضفاضة

قائمة ولباساً موحداً. العميان جالسون بأكثريتهم في وضعية ترقّب معتمدين بمرافقهم على ركبهم، ووجوههم بين أيديهم. ويبدو على الجميع أنّهم فقدوا عادة القيام بحركات لا طائل وراءها. كما أنّهم لا يلتفتون لدى سماع الهمهمات الخافتة المقلقة الصادرة عن الجزيرة. وتغمرهم أشجار جنائزية ضخمة، من الطقسوس، والصفصاف الحزين والسرو، بظلالها الحانية. وتعلو في بقعة قريبة جداً مجموعة من الزنبقيات الطويلة الهزيلة المزهرة، غير بعيد عن موقع الكاهن في عتمة الليل. والجوّ حالك الظلمة رغم ضياء القمر الذي يسعى جاهداً ليخترق لبرهة وجيزة، في هذا المكان أو ذاك، كثافة الأوراق.

الأكمه الأول - ألم يعد بعد؟

الأكمه الثاني - لقد أيقظتني.

الأكمه الثالث - أنا أيضا كنت نائماً.

الأكمه الأول - ألم يعد بعد؟

الأكمه الثاني - لا أسمع شيئاً مقبلاً

الأكمه الثالث - آن أوان عودتنا الى الدار.

الأكمه الأول - ينبغي أن نعرف أين نحن.

الأكمه الثاني - الطقس بارد من ساعة انصرافه.

الأعمى الأكبر سنّا - هل يعرف أحد أين نحن؟

العمياء الأكبر سنّا - لقد سرنا سيراً طويلاً. لابّد أن نكون بعيدين جداً عن الدار.

الأكمه الأول - آه. إنّ النساء قبالتنا؟

العمياء الأكبر سنّا - نحن جالسات قبالتكم.

الأكمه الأول- انتظرن. سأقترب منكنّ. (ينهض ويتلمّس طريقه) أين أنتنّ؟ تكلّمن لأسمع أين أنتنّ!

العمياء الأكبر سنّا - هنا. نحن جالسات على حجارة.

الأكمه الأول - (يتقدّم ويتعثّر بجزع الشجرة وقطع الصخر)
يوجد عائق ما، بيننا . . .

الأكمه الثاني - يفضل ان يلازم المرء مكانه .

الأكمه الثالث - أين أنتن جالسات؟ هل ترغبن في الاقتراب منا؟

العمياء الأكبر سنّا - لا نجرؤ على النهوض!

الأعمى الأكبر سنّا - لماذا باعد ما بيننا؟

الأكمه الأول - أسمعُ صلاة من صوب النساء .

الأكمه الثاني - أجل . إنّهنّ العجائز الثلاث يصلّين .

الأكمه الأول - ما هذا بوقت الصلاة .

الأكمه الثاني - بوسعكنّ الصلاة بعد قليل في المهجع .

العجائز الثلاث يوالين صلواتهنّ .

الأكمه الثالث - بودّي لو أعرف الى جانب من أنا جالس؟

الأكمه الثاني - أعتقد أنّي قريب منك .

يتلمّسون ما حولهم

الأكمه الثالث – ليس بوسعنا أن نلمس بعضنا بعضاً .

الأكمه الأول – بيد أنّ الواحد منّا ليس بعيداً عن الآخر .

(يتلمس ما حوله فيصيب بعصاه الأعمى الخامس الذي يئنّ بصوت خافت) إن المصاب بوقر في أذنيه قاعد بالقرب منّا .

الأكمه الثاني – أنا لا أسمع الجميع . فقبل قليل كنّا ستّة .

الأكمه الأول – بدأت أدرك حقيقة الوضع . ولنسأل النساء أيضاً . إذ ينبغي أن نعرف إلامَ نستند . إنيّ أسمع صلاة العجائز الثلاث على الدوام . فهل هنّ معاً؟

العمياء الأكبر سنّا – إنّهن جالسات الى جانبي فوق صخرة .

الأكمه الأول – أنا جالس فوق أوراق جافة .

الأكمه الثالث – والعمياء الحسناء، أين هي؟

الأكمه الثاني – وأين المعتوهة وابنها؟

العمياء الشابة – إنّه نائم فلا توقظوه!

الأكمه الأول– آه كم أنت بعيدة عنّا! كنت أحسب أنّك قبالتي .

الأكمه الثالث - بتنا نعرف على وجه التقريب كلّ ما تلزمنا معرفته. فلنتحدث قليلاً في انتظار رجوع الكاهن.

العمياء الأكبر سنّا - قال لنا أن ننتظره في صمت.

الأكمه الثالث - بيد أننا لسنا في كنيسة.

العمياء الأكبر سنّا - إنّك لا تعرف أين نحن.

الأكمه الثالث - يتملّكني الخوف حين لا أتكلم.

الأكمه الثاني - أتعرف الى أين ذهب الكاهن؟

الأكمه الثالث - يبدو لي أنّه تركنا لفترة تفوق كلّ جد.

الأكمه الأول - لقد بات مسنّا جداً. ويبدو أنّ بصره، هو أيضاً، قد صار شحيحاً منذ بعض الوقت. لكنّه لا يرغب في أن يصرّح بذلك، مخافة أن يأتي آخر ليحتلّ مكانه بيننا. كما يخامرني الشكّ في أنّه بات عاجزاً عن الرؤية تقريبا. سوف يلزمنا دليل آخر. إنّه لم يعد يصغي إلينا، وعددنا صار زائداً. وليس في الدار من مبصر إلاّ هو والراهبات الثلاث. وهم جميعاً

أكبر منّا سنّا. إنّي واثق من أنّه قد ضلّ بنا الطريق ويقوم بالبحث عنه. الى أين ذهب؟ ليس له أن يتركنا...

الأعمى الأكبر سنّا - لقد مضى بعيداً جداً. أعتقد أنّه تحدّث الى النساء بكل جدّ.

الأكمه الأول - ألم يعد يكلّم غير النساء؟ ألم يبقَ لنا من وجود؟ لا مناص أخيراً من رفع عقيرتنا بالشكوى.

الأعمى الأكبر سنّا - ولمن تتشكّى.

الأكمه الأول - لا أعرف بعد. سوف نرى. لكن الى أين ذهب؟ أوجّه سؤالي للنساء.

العمياء الأكبر سنّا - كان متعبا على أثر المشي الطويل. أعتقد أنه جلس لبعض الوقت فيما بيننا. منذ أيّام وهو حزين جداً وواهن القوى. لقد استولى الخوف عليه منذ وفاة الطبيب. إنّه وحيد. وكفّ عن الكلام تقريبا. إنيّ لا أعرف ما قد حصل. كان اليوم مصراً على الخروج بأيّ ثمن. قال إنّه يريد أن يرى الجزيرة مرة أخيرة تحت أشعّة الشمس، قبل

حلول الشتاء . يبدو أن الشتاء سيكون طويلاً ، وشديد الوطأة . وأنّ الجليد أقبل من الشمال . لقد استبدّ به القلق . قيل إنّ العواصف الكبرى في الأيّام الأخيرة المنصرمة قد رفعت منسوب النهر وإنّ كلّ السدود تصدّعت . قال أيضاً إنّ البحر يفزعه . يبدو أنه يضطرب بلا سبب وأنّ شواطىء الجزيرة الصخرية لم تعد مرتفعة بما فيه الكفاية . كان راغباً في أن يرى . لكنّه لم يقل لنا ماذا رأى . أعتقد الآن أنّه قد توجّه ليجلب شيئا من الخبز والماء للمعتوهة . قال إنّ عليه أن يتوجه بعيداً جداً . . . . لابدّ من الانتظار .

العمياء الشابة – لقد أمسك يديّ وهو يهمّ بالانصراف . كانت يداه ترتعشان كما لو انّه خائف .

ثم قبّلني . . .

الأكمه الأول – آه! آه!

العمياء الشابة – سألته ماذا حصل . قال لي إنّه لا يعرف . وقال لي إنّ عهد المسنّين يوشك أن يولّي . . .

الأكمه الأول - إلامَ كان يرمي بقوله ذاك؟

العمياء الشابة - لم أفهم قصده. وقال لي إنّه ذاهب شطر المنارة.

الأكمه الأول - وهل هناك منارة؟

العمياء الشابة - أجل، في شمال الجزيرة. أعتقد أنّنا لم نبتعد عنها كثيراً. كان يقول إنّه يشاهد ضياء المصباح واصلاً الى هنا فوق الأوراق. ولم يبد لي قط على مثل الحزن الذي كان اليوم يتملّكه. بل أعتقد أنّه منذ أيام وهو يبكي. ولست أدري لم كنت بدوري أبكي من غير أن أراه. لم أسمعه يمضي. ولم أعد اسأله عن شيء. كنت أسمعه يبتسم بكثير من الوقار وأسمعه يغمض عينيه ويريد أن يلوذ بالصمت...

الكمه الأول - لم يقل لنا شيئاً على كل ذلك!

العمياء الشابة - أنتم لا تصغون إليه حين يتكلّم!

الأكمه الثاني - قال لنا فقط وهو ينصرف «طابت ليلتكم».

الأكمه الثالث - لاريب في أنّ الوقت بات متأخراً.

الأكمه الأول - قال «طابت ليلتكم» مرّتين أو ثلاثاً، كما لو انّه متوجّه لينام. سمعته وهو ينظر إليّ قائلاً «طابت ليلتكم، طابت ليلتكم» - فالصوت يتغيّر حين ينعم أحدهم فيك النظر.

الأعمى الخامس - إرحموا الذين فقدوا نعمة البصر!

الأكمه الأول - من الذي تكلّم على هذا النحو دونما سبب؟

الأكمه الثاني - اعتقد أنّه الأصمّ.

الأكمه الأول - إخرس - ليس هذا وقت التسوّل.

الأكمه الثالث - والى أين توجّه طلباً للماء والخبز؟

العمياء الأكبر سناً - توجّه صوب البحر.

الأكمه الثالث - ليس من يقصد البحر هكذا وهو في مثل سنّه.

الأكمه الثاني - وهل نحن على مقربة من البحر؟

العمياء الأكبر سنّا - أجل. اصمتوا برهة تسمعوه.

يُسمع همس بحر قريب هادىء جداً عند الشاطىء الصخري.

الأكمه الثاني - لا أسمع إلاّ العجائز الثلاث يصلّين.

العمياء الأكبر سنّا - اصغِ جيّدا تسمعه عبر صلواتهنّ.

الأكمه الثاني - أجل. إنيّ أسمع شيئاً غير بعيد عنّا.

الأعمى الأكبر سنّا - كان غافياً. يبدو كأنّه يستيقظ من رقاده.

الأكمه الأوّل - لقد اخطأ باقتيادنا الى هنا. أنا لا أهوى سماع هذا الضجيج.

الأعمى الأكبر سنّا - أنت تعرف حقّ المعرفة أنّ الجزيرة ليست كبيرة، وأنّنا نسمعه حين نصبح خارج أسوار الدار.

الأكمه الثاني - أنا لم أسمعه من قبل البتة.

الأكمه الثالث - اليوم يبدو لي أنّه بجوارنا، ولا أهوى سماعه عن قرب.

الأكبر الثاني - وأنا ايضاً. نحن على كل حال لا نرغب في مغادرة الدار.

الأكمه الثالث - لم يسبق أن أتينا الى هنا من قبل. ولا جدوى وراء اقتيادنا الى مثل هذا المكان النائي.

العمياء الأكبر سنّا - كان الطقس جميلاً جداً صباح اليوم.
فرغب في أن نستمتع بآخر الأيام المشمسة
قبل أن ننحبس في الدار طول فصل الشتاء.

الأكمه الأول - إلاّ أني أفضل البقاء في الدار.

العمياء الأكبر سنا - قال أيضاً إنّ علينا أن نتعرّف بعض
الشيء على الجزيرة الصغيرة حيث نقيم. ولم
يتح له، هو نفسه، أن يجوب أرجاءها كلّها.
فهناك جبل لم يتسلّقه أحد من قبل، ووديان
لا يرغب أحد في نزولها، ومغاور لم تلجها
قدم حتى اليوم. وقال أخيراً إنّ من غير
الملائم دوماً أن ننتظر الشمس ونحن تحت
قباب المهجع. كان راغباً في أن يقودنا حتى
شاطىء البحر. ولقد قصده بمفرده.

الأعمى الأكبر سنّا - إنّه على حق. ولا مناص من التفكير
في الحياة وشكلها.

الأكمه الأول - لكن ليس من شيء يُشاهَد خارجاً.

الأكمه الثاني - هل نحن في الشمس الآن؟

الأعمى السادس - لا أظنّ. يبدو لي أنّ الوقت متأخر جداً.

الأكمه الثاني – كم الساعة الآن؟

العميان الآخرون – لا أدري – ما من أحد يعرف.

الأكمه الثاني – أما تزال هناك بقيّة من ضياء؟ (يخاطب الأعمى السادس) – أين أنت؟ هيّا، أنت يا من ترى بعض الشيء، هيّا قل.

الأعمى السادس – أعتقد أنّ الجوّ معتم جداً. حين تسطع الشمس، أتبيّن خطاً أزرق تحت أجفاني. شاهدت واحداً منذ وقت طويل. أمّا الآن فلا ألمح شيئاً.

الأكمه الأول – حين أحسّ بالجوع، أعرف أنّ الوقت قد تأخّر. وها أنا أحسّ بالجوع.

الأكمه الثالث – لكن انظروا الى السماء، فقد ترون فيها شيئا. يرفع الجميع رؤوسهم نحو السماء، باستثناء الكُمْه الثلاثة الذين يديمون النظر الى الأرض.

الأعمى السادس – لست أدري ما إذا كنّا تحت السماء.

الأكمه الأوّل – الصوت يتجاوب كما لو أننّا داخل مغارة.

الأعمى الأكبر سنّا - بل أعتقد أنّه يتجاوب على هذا النحو لأنّ الوقت مساء .

العمياء الشابة - يتراءى لي أنّي أحسّ بضوء القمر فوق يدي .

العمياء الأكبر سنّا - أعتقد أنّ هناك نجوماً . وإنّي لأسمعها .

العمياء الشابة - وأنا أيضاً .

الأكمه الأوّل - لا أسمع أيّ صوت .

الأكمه الثاني - لا أسمع إلاّ صوت أنفاسنا .

الأعمى الأكبر سنّا - أعتقد أنّ النساء على حقّ .

الأكمه الأول - أنا ما سمعت النجوم قط .

الأكمهان الآخران - ونحن أيضً .

يُسمع صوت طيران طيور ليليّة وهي تهوي فجأة بين الأوراق .

الأكمه الثاني - أصغوا! أصغوا! ماذا فوقنا؟ هل سمعتم؟

الأعمى الأكبر سناً - عَبَرَ شيء ما بين السماء وبيننا .

الأكمه الأول - لا أعرف طبيعة هذا الصوت - أودّ أن أعود الى الدار .

الأكمه الثاني - ينبغي أن نعرف أين نحن .

الأعمى السادس - حاولت أن أنهض . ليس من حولي إلاّ الأشواك . لم أعد اجرؤ على أن أبسط يديّ .

الأكمه الثالث -ينبغي أن نعرف أين نحن !

الأعمى الأكبر سنّا - لا يسعنا أن نعرف ذلك .

الأعمى السادس - لابدّ أننا بعيدون جداً عن الدار . اذ لا يسعني ان أفهم أيّ صوت .

الأكمه الثالث - منذ وقت طويل وأنا أشتَمُّ رائحة الأوراق الذابلة .

الأعمى السادس - هل من أحد شاهد الجزيرة من قبل ، ليقول لنا أين نحن؟

العمياء الأكبر سنّا - كنّا جميعاً لدى وصولنا الى هنا عميانا .

الأكمه الأول - نحن لم نعرف الرؤية قط .

الأكمه الثاني – لا ينبغي أن نقلق بلا طائل سيرجع قريباً. لننتظر أيضاً. ولن نخرج بصحبته لاحقاً.

الأعمى الأكبر سنّا – نحن لا يسعنا الخروج وحدنا.

الأكمه الأول – لن نخرج أبداً. أفضّل عدم الخروج.

الأكمه الثاني – لم نكن راغبين في الخروج. ما من أحد طلب ذلك.

العمياء الأكبر سنّاً – إنّه يوم عيد في الجزيرة. ونحن نخرج دائماً أيام الأعياد الكبرى.

الأكمه الثالث – لقد أقبل يربّت على كتفي، وأنا لا أزال نائماً، ويقول لي: إنهض، إنهض، حان الوقت وارتفعت الشمس عالياً جداً– هل ذاك صحيح؟ لم ألحظْ. انا لم أرَ الشمس في حياتي البتّة.

الأعمى الأكبر سنّا – أنا رأيت الشمس حين كنت صغيراً جداً.

العمياء الأكبر سنّا – وأنا أيضاً. كان ذلك من سنين، وأنا طفلة. حتى لا أكاد أتذكر شيئاً.

الأكمه الثالث – لماذا يريدنا ان نخرج كلما ظهرت الشمس؟ ما الذي يُشَاهَد منها؟ إنّي لا أميّز ما اذا كنت أتجوّل ظهراً أو في منتصف الليل.

الأعمى السادس – أنا أفضّل الخروج ظهراً. اذ تتراءى لي إضاءات كبرى. وتبذل عيناي جهوداً قويّة لتتفتّحا.

الأكمه الثالث – انا أفضل البقاء في قاعة الطعام على مقربة من نار فحم متأجّجة. كانت النار عظيمة جداً هذا الصباح...

الأكمه الثاني – كان بوسعه أن يقودنا إلى الشمس في الباحة. وعندها نكون في حماية الأسوار. نحن لا يسعنا أن نخرج، وليس هناك ما يخشى جانبه حين يكون الباب مغلقاً. أنا أغلقه على الدوام –لماذا لمستَ مرفقي الأيسر؟

الأكمه الأول – أنا لم ألمسك. كما لا يسعني الوصول إليك.

الأكمه الثاني – قلت لك إنّ أحداً ما قد لمس مرفقي.

الأكمه الأوّل – ليس ذاك بواحد منّا.

العمياء الأكبر سنّا - يا إلهي ! يا إلهي ! قولوا لنا أين نحن!

الأكمه الأوّل - لا يسعنا ان ننتظر أبديّا.

تُسمع ساعة بعيدة جداً تدقّ دقّاتها الاثنتي عشرة، ببطء شديد.

العمياء الأكبر سنّا - آه كم نحن بعيدون عن الدار!

الأعمى الأكبر سنّا - إنّها الثانية عشرة ليلاً.

الأكمه الثاني - إنها الثانية عشرة ظهراً ! هل من يعرف ذلك؟ قولوا!

الأعمى السادس - لا أعرف. لكنّي أعتقد أننّا في الظلّ.

الأكمه الأوّل - فقدت كلّ قدرة على التمييز. لقد نمنا نوماً طويلاً!

الأكمه الثاني - أنا جائع.

العميان الآخرون - نحن نحسّ بالجوع والعطش.

الأكمه الثاني - هل مرّ وقت طويل على وجودنا هنا؟

العمياء الأكبر سناً - يخيّل إليّ أنّي هنا منذ دهور!

الأعمى السادس - بدأت أدرك أين نحن. . .

الأكمه الثالث - ينبغي أن نتوجّه صوب مصدر دقّات منتصف الليل . . .

تُسمع كلُّ الطيور الليليّة وهي تصيح فجأة وسط الظلمات .

الأكمه الأول - هل سمعتم ؟ هل سمعتم؟

الأكمه الثاني - لسنا وحدنا هنا؟

الأكمه الثالث - منذ وقت طويل والشكُ يخامرني بحصول شيء ما؛ هناك من يتنصّت علينا . هل عاد؟

الأكمه الأول - لا أعرف ما هذا . إنّه شيء ما فوقنا .

الأكمه الثاني - والآخرون، ألم يسمعوا شيئاً ؟ أنتم صامتون على الدوام!

الأعمى الأكبر سنّاً - إننا نصغي أيضاً .

العمياء الشابة - أسمع أجنحة من حولي .

العمياء الأكبر سنّا - يا ألهي! ولكن قولوا لنا أين نحن!

الأعمى السادس - بدأت أدرك أين نحن . . . الدار قائمة على الجانب الآخر من النهر الكبير . ونحن عبرنا الجسر العتيق . لقد اقتادنا الى شمال الجزيرة . لسنا بعيدين عن النهر . قد يكون في

وسعنا سماعه إذا ما أنصتنا هنيهة . . . .
علينا التوجّه الى حافة الماء إذا لم يرجع . . .
فالمراكب الكبرى لا تتوقف حركتها نهاراً
وليلاً وسوف يلمحنا النوتيّة ونحن على
الضفّة . وليس مستبعداً أن نكون داخل الغابة
التي تحيط بالمنارة. لكنّي لا أعرف
المخرج . . . فهل من يرغب في أن يتبعني؟

الأكمه الأوّل - لنبقَ جالسين! لنتظر، لنتظر- ليس من يعرف اتجاه النهر الكبير. المستنقعات تحيط بالدار. لننتظر، لننتظر . . . سوف يرجع، لابدّ من أن يرجع.

الأعمى السادس - هل يعرف أحد من أين أتينا؟ لقد أوضح لنا ذلك أثناء المسير.

الأكمه الأول - لم أنتبه لذلك.

الأعمى السادس - هل من أحد أصغى إليه؟

الأكمه الثالث - ينبغي الإصغاء إليه مستقبلاً.

الأعمى السادس - هل بيننا من هو مولود في الجزيرة؟

الأعمى الأكبر سناً - انت تعلم حق العلم أننا قادمون من خارجها.

العمياء الأكبر سنّاً - أتينا من الناحية الأخرى للبحر.

الأكمه الأول - حسبت أنّي سأموت أثناء السفر.

الأكمه الثاني - وأنا أيضاً -فلقد جئنا معاً.

الأكمه الثالث - نحن الثلاثة من الأبرشية[1] ذاتها.

الأكمه الأول - يقال إنها تشاهد من هنا في الجوّ الصافي- ليس لها ناحية الشمال قُبّة ناقوس.

الأكمه الثالث - لقد رسونا بمحض الصدفة.

العمياء الأكبر سنّا - أنا قدمت من جهة أخرى. . .

الأكمه الثاني - من أين أتيتِ؟

العمياء الأكبر سنّا - لم أعد أجرؤ على التفكير في ذلك. . . ولا أكاد أتذكر الأمر حين أتحدّث عنه. . .

(انقضى زمن طويل جداً . . . وكان الطقس هناك اكثر برودة من هنا. . .

---

(١) دائرة كهنوتية تقع مع كنيستها ضمن نطاق السلطة الروحية لكاهن واحد. (المترجم)

العمياء الشابة - أمّا أنا فأتيت من بعيد جداً. . .

الأكمه الأول - من أين جيئت إذاً؟

العمياء الشابة - لا أقوى على قول ذلك. كيف تريدني أن أوضح لك حقيقة الأمر؟ المدى موغل في البعد من هنا. إنه فيما وراء البحار. أتيت من بلد كبير. . . ولا أقوى على تبيانه إلاّ بالإشارات. . . لكنّنا لم نعد نرى شيئاً. . . بقيت تائهة لوقت طويل جداً. . . لكنّي شاهدت الشمس والنار وجبالاً ووجوهاً وأزهاراً غريبة. . . وليس في هذه الجزيرة ما يماثلها، فهنا الظلمة شديدة والبرد قارس. . . ولم أعد بقادرة على تمييز أريجها مذ أن فقدت البصر. . . لكنّي شاهدت والديّ وشقيقاتي. . . كنت وقتها أصغر من أن أتعرّف على مكاني. . . كنت لا أزال ألعب على شاطيء البحر. . . أما وأنّي أتذكّر بأنّي قد أبصرت. . . كنت أشاهد الثلج ذات يوم من فوق أحد الجبال. . . وبدأت بتمييز الذين سيصبحون تعساء. . .

الأكمه الأول – ماذا تقصدين أن تقولي؟

العمياء الشابة – بل لازال أميّزهم من أصواتهم أحيانا . . . ولديّ ذكريات أكثر وضوحاً حين لا أفكّر في ذلك . . .

الأكمه الأول – أمّا أنا فليس لي من ذكريات . . .

يسمع طيران طيور كبيرة مهاجرة وهي تمرّ بصخب فوق الأشجار.

الأعمى الأكبر سنّا – هناك أيضاً شيء ما يمرّ تحت السماء!

الأكمه الثاني – ولماذا جئت الى هنا؟

الأعمى الأكبر سنّا – لمن تتوجّه بسؤالك؟

الأكمه الثاني – إلى شقيقتنا الفتيّة .

العمياء الشابة – قيل لي إنّ بوسعه أن يشفيني ، وقد قال لي إنّي سأبصر ذات يوم . وعندها يمكنني أن أغادر الجزيرة . . .

الأكمه الأول – بودّنا كلّنا لو نغادر الجزيرة!

الأكمه الثاني – سنظل ها هنا أبداً .

الأكمه الثالث - إنّه مسنّ جداً . ولن يتوفر لديه الوقت لشفائنا .

العمياء الشابة - أجفاني مطبقة . لكني أحسّ أنّ عينيّ ماتزالان تنبضان بالحياة . . .

الأكمه الأوّل - عيناي أنا مفتوحتان .

الأكمه الثاني - أنا أنام وعيناي مفتوحتان .

الأكمه الثالث - حسبنا كلاماً على عيوننا !

الأكمه الثاني - يبدو أنه لم يمض وقت طويل على وجودك هنا؟

الأعمى الأكبر سنّا - سمعت مساء يوم أثناء الصلاة ، صوتاً لم أكن أعرفه من قبل ، صادراً من ناحية النساء . وأدركت من صوتكِ أنّكِ فتيّة جداً . . . تمنيت لو أنّي أراكِ . . . ومن صوتكِ . . . .

الأكمه الأول - أنا لم ألحظ ذلك .

الأكمه الثاني - إنّه لا يحيطنا علماً من قبل أبداً البتّة .

الأعمى السادس – يقال إنّكِ جميلة مثل امرأة قادمة من بعيد جداً؟

العمياء الشابة – أنا لم أرَ نفسي البتة.

الأعمى الأكبر سنّاً – نحن كلّنا لم نرَ بعضنا بعضاً. إنّنا نتبادل الأسئلة والأجوبة ونعيش معاً، وحياتنا كلّها مشتركة، لكنّنا لا نعرف حقيقة ما نحن عليه!... وعبثاً نتلامس بالأيدي؛ فما تراه العيون لا تستطيه الأيدي...

الأعمى السادس – أرى أحيانا ظلا لكم وأنتم في الشمس.

الأعمى الأكبر سنّاً – نحن لم نشاهد قط الدار التي نعيش فيها. ومهما تلمّسنا الجدران والنوافذ نظلّ نجهل المكان الذي نقيم فيه!...

العمياء الأكبر سنّاً – يقال إنّه حِصْنٌ قديم، معتم وبائس جداً. ولا يشاهد فيه من نور إلاّ في البرج حيث تقع غرفة الكاهن.

الأكمه الأوّل – ليس النّور بضروري للذين لا يبصرون.

الأعمى السادس – حين أتولّى حراسة القطيع في جوار الدار، أجد الأغنام تروح من تلقاء نفسها،

حين تلمح عند المساء ذلك النور الصادر من البرج . . . وهي لم تخدعني البتّة .

الأعمى الأكبر سنّا – ها قد انقضت سنون وسنون ونحن معاً ، والبعض منّا لم يرَ البعض الآخر قط ! إنّنا نحيا كأنّنا في عزلة دائمة ! . . . على المرء أن يبصر من أجل أن يُحبّ . . .

العمياء الأكبر سنّا – أحلم أحيانا أنّي أبصر . . .

الأعمى الأكبر سنّا – أنا لا أبصر إلاّ حين أحلم . . .

الأكمه الأول – أنا في العادة لا أحلم إلاّ عند منتصف الليل .

تهتز الغابة لصوت زخّة مطر وتسقط الأوراق كتلاً معتمة .

الأعمى الخامس – من الذي لمس يديّ؟

الأكمه الأول – لقد سقط شيء ما بيننا .

الأعمى الأكبر سنّا – جاء ذلك من فوق ولست أدري ما هو . .

الأعمى الخامس – من الذي لمس يديّ؟ كنت غافيا دعوني أنام .

الأعمى الأكبر سنّا – ما من أحد لمس يديك .

الأعمى الخامس - من الذي أمسك يدي؟ أجيبوا بصوت عالٍ، إن سمعي ثقيل . . .

الأعمى الأكبر سنّا - نحن أنفسنا لا نعرف ذلك .

الأعمى الخامس - هل قدم أحد لاخطارنا؟

الأكمه الأول - لا جدوى من الإجابة فهو لا يسمع شيئاً .

الأكمه الثالث - لا ريب في أن الصم تعساء جداً .

الأعمى الأكبر سنّا - أحسّ بالإرهاق من بقائي قاعداً .

الأعمى السادس - أحسّ بالإرهاق من بقائي هنا .

الأكمه الثاني - يخيّل إليّ أنّنا بعيدون جداً بعضنا عن البعض الآخر . . . فلنحاول أن نكون أكثر قرباً- والطقس بدأ يتبرّد .

الأكمه الثالث - لا أجرؤ على النهوض- فالبقاء في المكان أفضل .

الأعمى الأكبر سنّا - ذلك أننّا لا نعرف ما الذي يمكن أن يكون قائماً بيننا .

الأعمى السادس - أعتقد أنّ يديّ داميتان ، ولقد سعيت لأن أنهض .

الأكمه الثالث - أسمع أنك تنحني صوبي.

العمياء المعتوهة تفرك عينيها بعنف وهي تتأوّه مستديرة بعناد صوب الكاهن الساكن.

الأكمه الأوّل - أسمع ايضاً صوتاً آخر . . .

العمياء الأكبر سنّا - أعتقد أنّها شقيقتنا المسكينة، وهي تفرك عينيها.

الأكمه الثاني - إنّها لا تفعل غير ذلك أبداً. وأنا كلّ ليلة أسمعها.

الأكمه الثالث - إنّها معتوهة ولا تتفوّه بشيء مطلقاً.

العمياء الأكبر سنّا - لقد كفّت عن الكلام منذ أن وضعت وليدها . . . وتبدو خائفة على الدوام . . .

الأعمى الأكبر سنّا - وأنتم، ألستم هنا خائفين؟

الأكمه الأول - من تقصد؟

الأعمى الأكبر سنّا - أنتم جميعاً!

العمياء الأكبر سنّا - أجل، أجل نحن خائفون.

العمياء الشابة - نحن خائفون منذ وقت طويل.

الأكمه الأول - لمَ تسألنا عن ذلك؟

الأعمى الأكبر سنّا - لا أدري لماذا أسأل! . . . يتراءى لي أنّي سمعت فجأة صوت نحيب بيننا! . . .

الأكمه الأوّل - لا ينبغي أن يتملّكنا الخوف. أظن أنّها المعتوهة . . .

الأعمى الأكبر سنّا - هناك شيء آخر . . . إنّي واثق من أنّ هناك شيئاً آخر أيضاً. . . فأنا لست خائفاً من ذلك بمفرده فقط . . .

العمياء الأكبر سنّا - إنّها تبكي دوماً وهي تهمّ بإرضاع وليدها.

الأكمه الأول - ليس من يبكي على هذا النحو سواها.

العمياء الأكبر سناً - يقال إنها ما زالت تبصر أحياناً. . .

الأكمه الأوّل - والمرء لا يسمع بكاء الآخرين. . . .

الأعمى الأكبر سنّا - عليه أن يبصر من أجل أن يبكي. . .

العمياء الشابة - أتنسّم أريج أزهار من حولنا. . .

الأكمه الأوّل - أنا لا أشتمّ غير رائحة التراب!

العمياء الشابة - هناك أزهار، هناك أزهار من حولنا.

الأكمه الثاني - أنا لا أشتمّ غير رائحة التراب!

العمياء الأكبر سنّا - استنشقت عبير الأزهار في قلب الريح . . .

الأكمه الثالث - أنا لا أشتمّ غير رائحة التراب!

الأعمى الأكبر سنّا - أعتقد أنّهن على حق.

الأعمى السادس - أين هي؟ سأذهب لقطفها.

العمياء الشابة - إنّها الى يمينك، إنهض.

ينهض الأعمى السادس ببطء ويتقدّم متحسّساً طريقه، فيتعثر بالسياج والأزهار حتى الزنبقيات فيقلبها ويطؤها لدى مروره.

العمياء الشابة - أسمع أنّك تحطّم نبتات غضّة! توقّف! توقّف!

الأكمه الأول - لاتهتم بالأزهار، لكن فكّر بالرجوع!

الأعمى السادس - لم أعد أجرؤ على العودة من حيث أتيت.

العمياء الشابة - لا ينبغي أن تعود. انتظر (تنهض) -آه كم الأرض باردة! سيحدث انجماد. (تتقدّم دونما تردّد باتجاه الزنبقيات الغريبة الشاحبة).

لكنها تتوقّف بسبب الشجرة المقلوبة وقطع الصخر القريبة من الأزهار) إنّها هنا. لا يسعني بلوغها إنّها حيالك.

الأعمى السادس - أعتقد أنني أقطفها.

يتلمّس الأزهار المتبقية فيقطفها ويقدّمها لها. الطيور الليلية تطير.

العمياء الشابة - يتراءى لي أنّي شاهدت هذه الأزهار من قبل... لم أعد أتذكّر اسمها... ألا كم هي رخوة الساق هزيلة! لا أكاد أتعرّف عليها... أعتقد أنها زهرة الأموات... (ثم تعقد الأزهار في شعرها).

الأعمى الأكبر سنّا - أسمع حفيف شعرك.

العمياء الشابة - إنّها الأزهار...

الأعمى الأكبر سنّا - نحن لن نراك...

العمياء الشابة – وأنا أيضاً لن أرى نفسي . . . إنّي أحس بالبرد .

في هذه اللحظة تعصف الريح في الغابة ويهدر البحر فجأة بشكل عنيف فوق صخور الشاطىء المجاورة .

الأكمه الأول – إنّها ترعد .

الأكمه الثاني – أعتقد أنّ هذه عاصفة قد هبّت .

العمياء الأكبر سنّا – أعتقد أنّه البحر .

الأكمه الثالث – البحر ؟ هل هذا هو البحر ؟ لكنّه على بعد خطوتين منّا . إنّه حيالنا . أسمعه يحيط بي من كلّ جانب . لابدّ من أن يكون هذا شيئاً آخر .

العمياء الشابة – أسمع تكسّر الأمواج قرب قدميّ .

الأكمه الأول – أعتقد أن هذا من فعل الريح في الأوراق الجافّة .

الأعمى الأكبر سنّا – أعتقد أن النساء على حق .

الأكمه الثالث – سوف يمتدّ حتى هنا .

الأكمه الأوّل – من أين تأتي الريح؟

الأكمه الثاني - أنّها تهبّ من ناحية البحر.

الأعمى الأكبر سنّا - إنّها تهبّ دوما من ناحية البحر، وهو يحيط بنا من كل جانب. ولايمكن أن تهب من ناحية أخرى.

الأكمه الأول - لنكفّ عن التفكير بالبحر.

الأكمه الثاني - لكنّ التفكير به لازم، لاسيّما وأنّه سيطالنا.

الأكمه الأول - إنّك لا تعرف ما إذا كان هو...

الأكمه الثاني - أسمع أمواجه كما لو انيّ أهمّ بغمر يديّ فيها. فلا يسعنا البقاء هنا، لأنّها قد تكون محيطة بنا.

الأعمى الأكبر سنّا - إلى أين تنوي الذهاب؟

الأكمه الثاني - إلى أيّ مكان! إلى أي مكان. لقد عافت نفسي سماع صخب مياهه. هلموا نمضِ! هيّا نمضِ!

الأكمه الثالث - يبدو لي أنّي أسمع شيئا آخر أيضاً. أنصتوا! يُسمع وقع خطى متلاحقة وبعيدة فوق الأوراق الجافة.

الأكمه الأول - هناك شيء ما يقترب.

الأكمه الثاني - لقد أقبل! لقد أقبل! لقد أقبل!

الأكمه الثالث - إنه مقبل بخطى وئيدة مثل ولد صغير...

الأكمه الثاني - فلنتحاشَ توجيه الملامة إليه هذا اليوم!

العمياء الأكبر سنّا - أعتقد أنّها ليست بخطى إنسان!

يدخل الغابة كلب ضخم الجثة ويمرّ أمام العميان - ويسود الصمت.

الأكمه الأوّل - من هناك؟ من أنت؟ ارأف بحالنا، فنحن ننتظر منذ وقت طويل!.... (يتوقّف الكلب ثم يأتي فيضع قائمتيه الأماميتين على ركبتي الأكمه) -آه، آه! ماذا وضعت فوق ركبتيّ؟ ما هذا؟... أهذا حيوان؟ -أعتقد أنّه كلب؟... آه! آه! إنّه الكلب! هذا كلب الدار! تعال هنا! تعال هنا! لقد جاء لإنقاذنا! تعال هنا! تعال هنا!

العميان الآخرون - تعال هنا! تعال هنا!

الأكمه الأوّل - لقد جاء لإنقاذنا! تتبّع آثارنا حتى هنا. إنّه يلعق يدي كما لو كان عثر عليّ بعد دهور!

العميان الآخرون - تعال هنا! تعال هنا!

الأعمى الأكبر سنّا - ألا يحتمل أن يكون متقدّما على أحد؟ . . .

الأكمه الأوّل - كلّا، كلّا، انه وحده- أنا لا أسمع أحداً مقبلاً. ولا يلزمنا دليل آخر، إذ ليس هناك من هو أفضل منه. سيقودنا الى حيث نريد أن نذهب، وسوف يطيعنا . . .

العميان الأكبر سنّا - أنا لا أجرؤ على أن أتبعه.

العمياء الشابة - وأنا أيضا.

الأكمه الأول - ولم لا ! إنّ يرى الطريق أفضل منّا.

الأكمه الثاني - علينا ألاّ نصغي للنساء.

الأكمه الثالث - لقد تغير شيء ما في الجو. فأنا اتنفس بيسر، والهواء نقيّ الآن . . .

العمياء الأكبر سنّا - هذه ريح البحر تمرّ من حولنا.

الأعمى السادس - يتراءى لي أنّ الجو سيزاد ضياء. أعتقد أنّ الشمس تشرق . . .

الأكمه الأوّل – سوف نعثر على دربنا. إنه يجرّني!... إنه يجرّني! إنّه مُنتشٍ فرحاً! لم يعد بوسعي إيقافه؟... اتبعوني! اتبعوني! سنعود الى الدار!...

ثم ينهض والكلب يجرّه ويقوده نحو الكاهن الجامد. ثم يتوقّف.

العميان الآخرون – أين أنت؟ أين أنت؟ -إلى أين توجّهت؟ احترس!

الأكمه الأول – انتظرو! انتظرو! لا تتبعوني بعد، سأرجع... انه يتوقف... ماذا هناك؟آه، آه! لمست شيئاً بارداً جداً.

الأكمه الثاني – ماذا تقول؟ لا نكاد نسمع صوتك!

الأكمه الأوّل – لقد لمست!... أعتقد أنّي ألمس وجهاً!

الأكمه الثالث – ماذا تقول؟ لم يعد بوسعنا أن نفهمك تقريباً! ماذا بك؟ أين أنت؟هل أصبحت بعيداً جداً عنّا؟

الأكمه الأول – آه، آه، آه، – لا أعرف حقيقة الأمر بعد... يبدو أنّ واحداً منّا قد مات.

العميان الآخرون - ميت بيننا؟ - أين أنت؟ أين أنت؟

الأكمه الأوّل - قلت لكم إنّ ميتاً بيننا! آه! آه! لقد لمست وجه ميت! أنتم جالسون إلى جوار ميت! لابدّ أن واحداً منّا قد توفّي فجأة! هيّا تكلّموا حتى أعرف الذين على قيد الحياة! أين أنتم؟ أجيبوا! أجيبوا كلّكم.

يجيب العميان بشكل متوالٍ باستثناء العمياء المعتوهة والأعمى الأصم، أما العجائز الثلاث فقد قطعن صلواتهنّ.

الأكمه الأوّل - لم أعد أميّز أصواتكم! . . . تكلمتم جميعاً على نحو متماثل! . . . وكل الأصوات كانت ترتعش.

الأكمه الثالث - هناك اثنان لم يجيبا . . . أين هما؟

يلمس الأعمى الخامس بعصاه.

الأعمى الخامس - آه! آه! كنت غافيا، دعوني أنام.

الأعمى السادس - إنّه ليس هو - أتكون المعتوهة؟

العمياء الأكبر سنّا - إنّها جالسة بجواري، وأسمع أنّها على قيد الحياة.

الأكمه الأوّل - أعتقد . . . أعتقد أنّه الكاهن! إنّه واقف! تّعالوا! تعالوا! تعالوا!

الأكمه الثاني - إنه واقف؟

الأكمه الثالث - إذن إنّه ليس بميت!

الأعمى الأكبر سنّا - أين هو؟

الأعمى السادس - هيا نرى! . . .

ينهضون جميعاً باستثناء المعتوهة والأعمى الخامس ويتقدمون متلمّسين دربهم نحو الميت.

الأكمه الثاني - أهو هنا؟ أحقا هو؟

الأكمه الثالث - أجل، أجل !لقد عرفته!

الأكمه الأوّل - يا إلهي! يا إلهي! ماذا سيحلّ بنا!

العمياء الأكبر سنّا - أبتاه! أبتاه! - أهذا أنت؟ أبتاه، ماذا جرى؟ - ماذا أصابك؟- أجبنا. نحن كلّنا متجمّعون حولك . . .

الأعمى الأكبر سنّا - أحضروا ماء؛ ربمّا لايزال على قيد الحياة . . .

الأكمه الثاني - فلنحاول . . . عسى أن يتمكّن من اقتيادنا ثانية إلى الدار .

الأكمه الثالث - ليس من فائدة ترتجى . إنّي لا أسمع دقّات قلبه- إنّه بارد . . .

الأكمه الأول - مات دون أن يقول شيئاً .

الأكمه الثالث - كان عليه أن ينذرنا .

الأكمه الثاني - ألا كم كان مسنّا ! . . . إنّها المرّة الأولى التي ألمس فيها وجهه .

الأكمه الثالث - وهو يتلمّس الجثمان -لقد كان أطول منّا ! . . .

الأكمه الثاني - عيناه مفتوحتان تماماً . لقد مات ويداه مضمومتان . . .

الأكمه الأول - مات هكذا دونما سبب . . .

الأكمه الثاني - ليس واقفا . إنّه جالس على حجر . . .

العمياء الأكبر سنّاً - ياإلهي! ماكنت على دراية بكلّ ذلك! . . . كلّ ذلك! . . . كان مريضاً منذ زمن طويل . . . لابد أنّه تألم اليوم ! . . . لم يكن يتشكّى . . . لم يكن يتشكى إلا وهو يشدّ على أيدينا . . . لكنّ المرء لايفهم دائماً . . . لايفهم أبداً! . . . هلمّوا نصلّي من حوله؛ اركعوا جميعاً . . . تركع النساء وهنّ ينتحبن .

الأكمه الثاني - ذلك أن المرء لايعرف فوق أيّ شيء يركع . . .

الأكمه الثالث - أكان مريضاً؟ . . . إنّه لم يقل لنا ذلك . . .

الأكمه الثاني - سمعت أنّه كان يتكلّم بصوت خافت وهو ماضٍ . . . أعتقد أنّه كان يتحدث الى شقيقتنا الفتيّة . فما الذي قاله؟

الأكمه الأول - إنّها غير راغبة في الإجابة .

الأكمه الثاني - هلا رددتِ علينا؟ - ولكن أين أنتِ؟ تكلّمي .

العمياء الشابة - لقد سبّبتم له أشدّ العذاب . أنتم تسبّبتم في موته . . . لم يعد في نيّتكم أن تتقدموا .

وصرتم راغبين في الجلوس على حجارة الطريق كي تأكلوا. ظللتم تدمدمون طول النهار.... كنت أسمعه وهو يتنهّد... وكان أن خانته الشجاعة...

الأكمه الأول - هل كان مريضاً؟ وهل كنتِ على علم بالأمر؟

الأعمى الأكبر سنّا - ما كنّا على علم بشيء... نحن لم نره قط... وأنّى لنا ان نحيط علماً بما هو واقع تحت عيوننا المسكينة المنطفئة؟... إنّه لم يكم يتشكّى... لقد فات الأوان الآن... شهدت وفاة ثلاثة.... لكن ليس على هذا النحو البتّة... أما الآن فقد جاء دورنا...

الأكمه الأول - أنا لم أتسبّب له بأيّ ألم. ولم أقل شيئاً...

الأكمه الثاني - وأنا أيضاً. نحن تبعناه من غير أن نتفوّه بكلمة...

الأكمه الثالث - لقد توفي وهو ذاهب ليجلب ماءً للمتوهة...

الأكمه الأول - ما الذي سنفعله؟ والى أين نتوجّه؟

الأكمه الثالث - أين الكلب؟

الاكمه الأول - إنه هنا، ولا يريد الابتعاد عن الميت.

الأكمه الثالث - جُرّهُ، أبعده. نَحِّهِ عنه.

الأكمه الأول - لكنّه لا يريد مفارقة الميت.

الأكمه الثاني - نحن لا يسعنا الانتظار بجانب رجل ميت! . . . ولا يسعنا ان نموت هنا وسط الظلمات!

الأكمه الثالث - فلنبقَ معاً. لاينبغي ان يتنحىّ بعضنا عن البعض الآخر. فلنتماسك بالأيدي، ولنجلس جميعاً فوق هذه الصخرة. . . أين الآخرون. . . . تعالوا هنا! تعالوا! تعالوا!

الأعمى الأكبر سنّاً - أين أنت؟

الأكمه الثالث - هنا، إنّي هنا. هل نحن كلنا متجمّعون؟ تعالوا الى قربي. أين أيديكم؟ الطقس بارد جداً.

العمياء الشابة - آه كم يداك باردتان!

الأكمه الثالث - ماذا تفعلين؟

العمياء الشابة - وضعت يديّ على عيني اعتقاداً مني أني سأبصر فجأة . . .

الأكمه الأول - من الذي ينوح على هذا النحو؟

العمياء الأكبر سنّا - هذا نشيج المعتوهة .

الأكمه الأول - ألا تعرف الحقيقة؟

الاعمى الأكبر سنّا - أعتقد أننا سنموت هنا . . .

العمياء الأكبر سنّا - قد يأتي أحد ما . . .

الأكمه الأول - أظن أنّ الراهبات سيخرجن من الدار . . .

العمياء الأكبر سنا - إنّهن لا يخرجن ليلاً .

العمياء الشابة - إنهّن لايخرجن أبداً .

الأكمه الثاني - أظن أنّ حراس المنارة الكبرى سيلمحوننا .

الأعمى الأكبر سنّا - إنهم لا ينزلون من برجهم .

الأكمه الثالث - قد يشاهدوننا . . .

العمياء الأكبر سنّا - إنّهم ينظرون دوماً صوب البحر .

الأكمه الثالث - الطقس بارد!

الأعمى الأكبر سنّا - إسمعوا الأوراق الجافة . سيصير الجماد على ما اعتقد .

العمياء الشابة – آه كم التربة صلبة!

الأكمه الثالث – أسمع عن يساري صوتاً لا أدري ما كُنْهُهُ. . .

الأعمى الأكبر سنّا – هذا عويل البحر فوق الصخور.

الأكمه الثالث – حسبت أنّه عويل النساء.

العمياء الأكبر سنّا – أسمعُ قطع الجليد تتكسّر بفعل الأمواج. . .

الأكمه الأول – من الذي يرتعد على هذا النحو؟ إنّه يسبب الرجفة لنا جميعاً فوق الحجر!

الأكمه الثاني – لم أعد أقوى على فتح يديّ.

الأعمى الأكبر سنّا – أسمع أيضاً صوتاً الا أدري ما كنهه. . .

الأكمه الأوّل – من الذي يرتعد على هذا النحو؟ إنّه يجعل الحجر يهتزّ!

الأعمى الأكبر سنّا – أظن أنّها امرأة.

العمياء الأكبر سنّا – أعتقد أن المعتوهة هي الأشد ارتعاداً.

الأكمه الثالث - لم نسمع صوت ابنها.

العمياء الأكبر سنّا - أعتقد أنّه لايزال يرضع.

الأعمى الأكبر سنّا - إنّه الوحيد الذي بوسعه أن يرى أين نحن!

الأكمه الأوّل - أسمع هبوب الشمول.

الأعمى السادس - أعتقد أنّ النجوم اختفت. سوف تثلج.

الأكمه الثالث - اذا ما أغفى أحدنا فالواجب أن نوقظه.

الأعمى الأكبر سنّا - أنا مع ذلك أشعر بالنعاس.

تعصف زوبعة بالأوراق الجافة.

العمياء الشابة - أو تسمعون الأوراق الجافّة. أعتقد أنّ احداً ما قادم إلينا.

الأكمه الثاني - إنّه صوت الريح. أصيخوا السمع!

الأكمه الثالث - لن يأتي أحد من بعد!

الأعمى الأكبر سنّا - موجات الصقيع الكبرى هي المقبلة...

العمياء الشابة - أسمع صوت مشي في البعد.

الأكمه الأول - انا لا أسمع غير صوت الأوراق الجافة.

العمياء الشابة - أسمع وقع خطى بعيداً جداً من هنا.

الأكمه الثاني - أنا لا أسمع غير هبوب الشمول.

العمياء الشابة - قلت لكم إنّ أحداً ما مقبل علينا.

العمياء الأكبر سنّا - أسمع وقع خطى بطيئة جداً...

الأعمى الأكبر سنّا - آعتقد أنّ النساء على حق!

يتساقط الثلج بكثافة.

الأكمه الأول - آه، آه! ما هذا الشيء البارد الذي سقط على يديّ؟

الأعمى السادس - إنّ الثلج يتساقط!

الأكمه الأول - فلنقترب بعضُنا من البعض الآخر.

العمياء الشابة - أنصتوا لوقع الخطى!

العمياء الأكبر سنا - اسكتوا لحظة واحدة، كرمى للّه!

العمياء الشابة - إنّها تقترب! إنّها تقترب! أنصتوا!

يرتفع هنا صوت بكاء صغير المعتوهة بشكل مباغت في الظلمات.

العمياء الأكبر سنّا - الطفل يبكي؟

العمياء الشابة - أنّه يرى! إنّه يرى! لا ريب في أنه قد أبصر شيئاً حتى أخذ يبكي. (تحمل الطفل بين ذراعيها وتتقدّم به نحو الجهة التي بدا وقع الأقدام صادراً عنها. والنساء الأخريات يتبعنها بقلق ويحطن بها) سأذهب لملاقاته!

العمياء الأكبر سنّا - احترسي!

العمياء الشابة - آه، كم يبكي! - ماذا هناك؟ - لاتبكِ - لا تخف، ليس ما يخشى منه فنحن هنا. نَحن من حولك - ماذا ترى؟ لا تخشَ - لاتبكِ هكذا - ماذا ترى؟ - قل، ماذا ترى؟

العمياء الأكبر سنّا - وقع الخطى يقترب من هنا، إذن أصغوا:

الأعمى الأكبر سنّا - أسمع حفيف ثوب فوق الأوراق الجافة.

الأعمى السادس - أهي امرأة؟

الأعمى الأكبر سنّا - هذا وقع خطى؟

الأكمه الأول - قد يكون صوت البحر وهو يغمر الأوراق الجافة.

العمياء الشابة - كلا، كلا، إنّها خطى! إنّها خطى !إنّها خطى!

العمياء الأكبر سنّا - سوف نعرف ذلك. أصغوا إذن للأوراق الجافّة!

العمياء الشابة - إنّي أسمعها، أسمعها حيالنا تقريباً! أصغوا! - ماذا ترى؟

العمياء الأكبر سنّا - بأيّ اتّجاه ينظر؟

العمياء الشابة - إنّه يلاحق دوماً وقع الخطى! لاحظوا: كلما أدرته تلفّت كي يرى... إنّه يرى! إنّه يرى! إنّه يرى! - لابّد أن يكون قد أبصر شيئاً غريباً!...

العمياء الأكبر سنّا تتقدم - إرفعيه إلى أعلى منّا حتى يستطيع أن يرى.

العمياء الشابة -تباعدوا! (تقوم برفع الطفل الى ما فوق مجموعة العميان) -توقّفت الخطى فيما بيننا! . . .

العمياء الأكبر سنّا - إنّها هنا، إنّها في وسطنا! . . . .

العمياء الشابة - من أنت؟

يستود الصمت .

العمياء الأكبر سنّا - ارأف بحالنا!

الصمت يسود - الطفل يبكي بتفجّع كبير .

ستار

برتولد بريشت

المسرحية العاشرة

الواشـــي

مسرحية من فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية :

BERTOLT BRECHT
Le Mouchard
Bertold Brecht

أنا ، برتولد بريشت ، جئت من الغابات السوداء .
ذهبت أمي ، يوم كنت أقطن جسدها ،
إلى الحواضر : بردُ الغابات السوداء ،
سوف يلبث فيَّ حتى يوم مماتي .

كل شيء مِلكٌ للذي يجعله أفضل

برتولد بريشت

- برتولد بريشت (١٨٩٨ - ١٩٥٦).

- كاتب ألماني. ولد في أوغسبورغ. درس الطب في ميونيخ. عمل ممرّضاً أيام الحرب العالمية الأولى، وألّف أولى أغانيه للجنود.

- كتب مسرحيته الأولى: «بال» وعمره ٢١ سنة. أما مسرحيته الثالثة: «طبول في الليل» فقد حازت على جائزة كلايست.

- عمل في برلين بالتعاون مع راينهارت وبسكاتور وأخرج عدّة مسرّحيات.

- أما بعد هروبه من ألمانيا الهتلرية فقد توجّه بريشت إلى الدانمارك فالسويد فانكلترا. ولجأ أخيراً إلي أميركا حيث مكث سبع سنين. وقدّم هناك العديد من مسرحياته على المسارح الجامعية.

- حين عاد إلى برلين، أسّس بالتعاون مع هيلين فايغل «الفرقة البرلينية». وهي مجموعة من الفنانين والتقنيين ومهندسي الديكور والموسيقيين.

- ونشر بريشت أيضاً مؤلفات نظرية («الأرغن الصغير») و («فنّ الممثل الكوميدي الصيني»). حيث شرح مفهومه للمسرح الملحمي ومسألة «التشامخ» في أداء الممثل.

الواشي

هاكم ياسادتي الاساتذة. لقد شدّهم من أذُنهم
ذلك المسخ ليعلّمهم كيف يقوّسوا صدورهم.
كل تلميذ واش. أما معرفة
أمور الأرض والسماء، فلا سبيل إليها. لكن بالمقابل
من يستطيع أن يقول شيئاً ما عن أحد ما؟

هاكم إذن الأولاد الأعزّاء الذين سيبحثون
عن الجلادين، فيقودونهم إلي البيت،
ويشيرون إلى والدهم ناعتينه بالخائن.
فيوخذ مقيّد الرجلين واليدين.

الشخصيات :

الوصيفة :	La bonne
الأب :	Le Pére
الأم :	La mére
الصبي :	Le garçon

«الواشي» واحد من أربعة وعشرين مشهداً ظهرت في المجلّد الثاني من الأعمال المسرحيّة الكاملة لبرتولد بريشت تحت عنوان : «الرايخ الثالث ومظاهر الهلع والبؤس» .

من منشورات «آرش» .

كولونيا عام ١٩٣٥ . بعد ظهر يوم أحد ممطر . يخرج الأب والأم والصبي من غرفة الطعام . تدخل الوصيفة .

الوصيفة – إنّ السيّد كليمتش وقرينته يسألان إن كان سيّدي وسيّدتي موجودين في المنزل .

الأب، مغمغماً – كلا .

(الوصيفة تخرج)

الأم – كان عليكَ أن تردّ بنفسك على الهاتف . فهما يعرفان حق المعرفة أنّه لايسعنا أن نكون قد خرجنا بعد .

الأب – ولمَ لايسعنا أن نكون قد خرجنا؟

الأم – لأنّها تمطر .

الأب – ماهذا بعائق .

الأم – إلى أين يمكن أن نكون قد توجّهنا؟ هذا ماسوف يتساءلان بشأنه على الفور .

الأب – هنالك أمكنة عديدة .

الأم – ماذا يمنعنا إذن من الخروج؟

الأب – وإلى إين نذهب؟

الأم – ليتها، في نهاية الأمر، لم تكن تمطر .

الأب – إلى أين كنّا سنذهب، لو لم تكن تمطر؟

الأم – كان بوسعنا فيما مضى أن نذهب لزيارة هذا أو ذاك على الأقل. (تسكت هنيهة) لقد اخطأت حين لم تردّ على الهاتف. فهما يعرفان الآن أننا لانرغب في أن نستقبلهما في بيتنا.

الأب – وماذا لو عرفا؟

الأم – ليس من الكياسة في شيء أن نقطع علاقتنا بهما في هذا الوقت، وعلى النحو الذي يسلكه الجميع حيالهما.

الأب – نحن لم نقطع علاقتنا بهما.

الأم – لِمَ لانستقبلهما إذن؟

الأب – ذلك أنّ كليمتش هذا يسبّب لي ضيقاً شديداً.

الأم – أمّا فيما مضى، فلم يكن يسبّب لك من ضيق.

الأب – فيما مضى! لاتغيظيني بكلمتك الأزليّة هذه «فيما مضى»!

الأم – أمّا أن تقطع علاقتك به في الوقت الذي يقوم فيه التفتيش المدرسيّ بإجراء تحقيق معه، فهذا ما لم تكن لتفعله فيما مضى، على كل حال.

الأب – أنتِ تقصدين إذن أنّي جبان؟ (يسكت هنيهة) قومي أطلبيهم، وقولي لهم إنا عدنا في هذه اللحظة بسبب المطر.

الأم، تلبث جالسة – هل نطلب إلى آل ليمكي أن يأتوا؟

الأب – من أجل أن يبرهنوا لنا مجدداً على قلّة حماسنا حيال الدّفاع السلبي.

الأم، تقول للصبي – لاتمسّ جهاز الراديو، ياهنري!

(يرتد الصبي إلى الجرائد)

الأب – إنّ هطول المطر اليوم لكارثة. أما حين يغدو هطول المطر في بلد ما كارثة، فإنّ الحياة لاتعود ممكنة.

الأم – وهل تحسب من الحكمة في شيء أن تتناول مثل هذه الأفكار بصوت عال؟

الأب – مادمتُ بين جدران بيتي الأربعة، فأنا أناقش الأفكار التي تروق لي. ولن أقبل بأن يُفرض الصمت عليّ وأنا في داري الخاصة...

(يسكت بغتة: فالوصيفة تدخل حاملة فناجين القهوة. ويستمر الصمت طول فترة مكوثها في الحجرة).

الأب – هل علينا حقاً أن نبقي على وصيفة يعمل أبوها حارساً لأحد الأبنية؟

الأم – يتراءى لي أنّنا بحثنا القضيّة بما فيه الكفاية. وقلتَ في نهاية الأمر إنّ المسألة ذاتُ منافع.

الأب – أعيدي ذكر كلمة واحدة من كل ماقلتهُ، حتى على مسامع أمّك. وانظري من بعد إلى المتاعب التي سوف نتعرّض لها.

الأم – إنّ ماأستطيع أن اتحدّث به إلى . . .

(تدخل الوصيفة وهي تحمل القهوة)

الأم – دعي عنكِ، ياإرنا، بوسعك أن تذهبي، فأنا سأتولّى هذا بنفسي.

الوصيفة – شكراً جزيلاً، ياسيدتي.

(تخرج)

الصبي، مشيراً إلى مقالة في إحدى الجرائد ـ هل يقوم رجال الكنيسة كلّهم بمثل هذه الأفعال، ياأبي؟

الأب – ماذا؟

الصبي – ماهو مذكور هنا.

الأب – ولكن ما هذا الذي تقرأه؟

(ينتزع الجريدة من بين يديه)

الصبي – لكنّ رئيس مجموعتنا قال إنّ بوسعنا جميعاً قراءة تلك الجريدة.

الأب – ليس عليّ أن أقيم وزناً لما يقوله رئيس مجموعتك. فأنا الذي أقرّر ماذا يسعك أن تقرأ وما لاينبغي أن تقرأه.

الأم – خذ هذه العشرة بفنكات[1]، ياهنري. وامضِ إلى الجهة المقابلة لشراء شيء لنفسك.

الصبي – لكنّكِ ترين بوضوح أنّها تمطر.

(يستند إلى الزجاج متردّداً)

الأب – إن لم تتوقّف هذه المقالات المتعلّقة بقضية الكهنة، فسوف ألغي اشتراكي.

الأم – وبأيّ جريدة سوف تشترك؟ فكلّ الجرائد تتناولها بالحديث.

الأب – إذا كانت الجرائد كلّها تنشر مثل تلك الدناءات، فلا بأس. لن أقرأ واحدة منها بعد اليوم. ولن تنقص معرفتي بكلّ مايدور في العالم.

الأم – لكنّ عمليّة التطهير تلك ليست بالأمر السيّء على كل حال.

الأب – تطهير؟ إنّما القضيّة سياسيّة كلّها.

الأم – لكنّ هذا لايعنينا، على كلّ حال. فنحن أولاً وأخيراً إنجيليّون[2].

---

(١) بفينك: واحد من مئة من المارك.

(٢) من اتباع الكنيسة البروتستانتية. أما القضيّة المشار إليها فتتعلق بكهنة الكنيسة الكاثوليكية.

(المترجم)

الأب – أمّا بالنسبة للشعب فليست المسألة عديمة الأهميّة . ولن يفكرّ المرء بالخدمات المَنَسيّة بعد اليوم، من غير أن تخطر بباله تلك الفظائع .

الأم – وماالذي بوسعهم أن يفعلوه مادامت تحصل مثل هذه الأشياء!

الأب – ماذا يسعهم أن يفعلوا؟ قد يكنسون قليلاً أمام بابهم . فالوضع أيضاً داخل منزلهم البنّي ليس نظيفاً جداً على حسب مايقال .

الأم – لكن لديك في هذا الصدد، ياشارل، برهان على أنّ الإجراءات الصحيّة التي تتّخذ، تعود بالنفع على شعبنا!

الأب – صحيّة! يالها من صحيّة! إن كانت الصّحة هكذا فأنا أفضّل المرض .

الأم – أنت اليوم عصبيّ المزاج . هل حصل شيء ما في المدرسة؟

الأب – ماذا يمكن أن يحصل؟ لكن أرجوك لاتقولي باستمرار إنّي عصبيّ المزاج . فذلك لايقدّم من فائدة غير جعلي عصبيّاً بصورة فعليّة .

الأم – ليس لنا أن نتنازع طول الوقت، ياشارل . ففيما مضى . . .

الأب – كنت أتوقّع ذلك. فيما مضى إلاّ أنني لست راغباً في أن يسمّموا عقل ابني، لا الآن ولا فيما مضى.

الأم – ولكن أين هو؟

الأب – وأنّى لي أن أعلم؟

الأم – هل شاهدتَه وهو يخرج؟

الأب – كلا.

الأم – لاأرى أين يمكن أن يذهب. (تنادي): ياهنري! (تخرج راكضة. يُسْمَع صوتها وهي تنادي. ثم تعود). لقد خرج حقّاً!

الأب – ولم لايكون قد خرج؟

الأم – لكنّ المطر ينهمر بغزارة!

الأب – ولمَ تثور أعصابك هكذا إذا كان الصغير قد خرج؟

الأم – وهذا الذي قلناه؟

الأب – وما العلاقة؟

الأم – قلّما رأيتك في الفترة الأخيرة هذه مسيطراً على نفسك.

الأب – إنّي مسيطر تمام السيطرة على نفسي في هذه الفترات الأخيرة، لكن حتى لو لم أكن مسيطراً على نفسي، ما علاقة هذا بواقعة خروج الصغير؟

الأم – ولكنّك تعرف حقّ المعرفة، أنّ همّ الأطفال الدائم، الاصغاء لما يُقال.

الأب – وبعدئذ؟

الأم – وبعدئذ! ماذا لو شرع يسرد ذلك على من حوله؟ فأنت تعرف دون شك ما يهذرون به دون كلل على مسامع الشبيبة الهتلرية. إنّهم يدفعون بهم دفعاً لكي يخبروهم بكلّ شيء. وإنّه لغريب أن يخرج خفية على هذا النحو.

الأب – ترّهات.

الأم – ألم ترَ في أيّة لحظة خرج؟

الأب – لبث فترة لابأس بها وأنفه لاصق بالزّجاج.

الأم – بودّي أن أعرف ما الذي سمعه من حديثنا.

الأب – إلاّ أنّه يعرف ما يحصل على أثر الوشاية بالناس.

الأم – وهل ننسى واقعة الصغير الذي حدّثنا عنه آل شمولكه؟ من المؤكّد أنّ أباه مايزال في معسكر الاعتقال. لو أننا نعلم فقط في أيّة لحظة غادر الحجرة.

الأب – كلّ هذا عبث في عبث.

(يدور مسرعاً على الحجرات الأخرى منادياً الصبي).

الأم – لا أستطيع أن أصدّق أن يخرج هنري إلى أي مكان من غير أن يقول كلمة واحدة. فهذا ليس من عاداته.

الأب – قد يكون قصد واحداً من أترابه في المدرسة؟

الأم – في هذه الحال، لابدّ أن يكون عند ال مومرمان. سأهتف لهم.

(تدير قرص الهاتف)

الأب – ليس كلّ ذلك، حسب رأيي، بأكثر من إنذار كاذب.

الأم – تقول على الهاتف ـ أنا مدام فوركه، زوجة الأستاذ فوركه. طاب يومك، يامدام مومرمان، هل هنري عندكم؟ ـ كلا؟ ـ لم أعد أدري، في هذه الحال، أين أجده. ـ لكن هل تعرفين، يامدام مومرمان، إن كان مقرّ الشبيبة الهتلريّة يفتح أبوابه يوم الأحد بعد الظهر؟ ـ نعم؟ شكراً جزيلاً. سوف أستفسر.

(تضع السمّاعة. يجلسان معاً ويلوذان بالصمت)

الأب – ماذا يمكن أن يكون قد سمع؟

الأم – تكلهمتَ على الجريدة. أمّا ما قلتَه على المنزل البنّي، فما كان ينبغي أن تسمح لنفسك بقوله. فمشاعره وطنيّة جداً.

الأب – وما الذي قلته أنا على المنزل البنّي؟

الأم – لكن تذكّر! قلت: ليس كلّ ما بداخله نظيفاً.

الأب – ليس ممكنا على كلّ حال تفسير ذلك على أنّه هجوم. فالقول إنّ كلّ شيء ليس نظيفاً، أو بالأحرى على نحو ماقلت أنا بصيغة مخففة: ليس كلّ شيء نظيفاً بصورة تامة. فهذه الصيغة تتضمّن فارقاً، بل إنّ الفارق كبير جداً، فالقول هذا لايتعدّى حدود إبداء ملاحظة على شكل مُلْحَةٍ شعبيّة، وبلهجة الكلام الشائع إلى حدٍّ ما، أي أنّ المعنى لايمكن أن يتعدّى قولنا: وحتى هناك، يُحتَمل أن تكونَ بعض الأمور، غيرَ متوائمةٍ دوماً، وفي كافة الظروف، مع النهج الذي يريده الفوهرر. ناهيك بأنّني قد عبّرت عمداً عن فكرة الاحتمال البحت هذه حين قلت، وأذكر ذلك بكل وضوح: هنالك أيضاً لاينبغي أن يكون كلّ شيء نظيفاً على نحو تام - على نحو تام أي بمعنى التخفيف - قلت لاينبغي أن يكون! ولم أقل: ليس. إذ لايسعني القول إنّ شيئاً ما هنالك ليس نظيفاً. فأنا لا أملك أيّ برهان على ذلك. لكن حيثما يوجد ناس توجد نواقص. وأنا لم أرم إلى أكثر مما قلته، بل قلتُ ذلك أيضاً بطريقة ملطّفة جداً. ناهيك بأنّ الفوهرر نفسه، قد عبّر عن انتقادات مماثلة في بعض الأحيان، لكن بطريقة أشدّ عنفاً بما لا يُقاس.

الأم – لم أعد أفهم. فأنت لست بحاجة لأن تتحدّث إليّ على هذا النحو.

الأب – بودّي ألاّ أكون بحاجة لذلك! لكنّي لست مطمئناً، ويحتمل أن تنساقي في معرض الحديث فتسردي على مسامع القاصي والداني، كلّ ما نقوله هنا بين جدران بيتنا في أحاديثنا الخاصة. أرجو أن تفهميني جيداً فأنا لا أتّهمك بأنّك تشيعين سهواً شائعات تنال من زوجك. حاشى ذلك. وأنا لا أظن أيضاً أن يقوم الصغير بأيّ تصرّف من شأنه أن يمسّ أباه. لكن يبقى هنا مع الأسف فارق كبير بين إلحاق الأذى وبين معرفتنا بالحاق الأذى.

الأم – حسبك هذا الآن! وخير ماتفعله أن تحفظ لسانك. ولقد تعبتُ وأنا أُعْمِلُ فكري لأتذكّر إن كنتَ، قبل ذكر المنزل البنّي أو بعده، قلتَ إنّ المرء لم يعد يقوى على العيش في ألمانيا هتلر.

الأب – أنا لم أقل هذا على الاطلاق.

الأم – أنت تتصرّف تماماً وكأنّني جهاز الشرطة! لكن إذا كنتُ أمعن التفكير، فلكي أعرفَ ما استطاع الصغير سماعه.

الأب – إنّ عبارة «ألمانيا هتلر» لاترد على لساني.

الأم – وما قلتَه على حارس البناء والجرائد الملأى بالأكاذيب، والدفاع السلبي في نهاية المطاف. إذ ليس في كلّ ما استطاع الصغير أن يسمعه هنا، من شيء إيجابي! وليس فيه من شيء صحّي لنفسيّة الطفل التي سينالها التشتّت. هذا فيما الفوهر لايّني يذكّر على الدوام بأنّ شبيبة ألمانيا هم مستقبل ألمانيا. والحقَّ أقولُ إنّ الصغير ليس على ذلك النحو قط، ولن يشي بأحد. وأنا متألّمة لحالته أشدّ الألم.

الأب – إنّه حقود.

الأم – وممّ يمكن له أن يثأر؟

الأب – لايعرف ذلك غير إبليس. فهناك سبب على الدوام. ربما لأنّني انتزعت منه ضفدعته الخضراء.

الأم – لكن انقضى اسبوع على ذلك.

الأب – إنّه لاينسى مثل تلك الأمور.

الأم – ولكن لِمَ انتزعتها منه؟

الأب – لأنّه لم يعد يأتيها بذباب. وبدأ يهملُها لتموتَ جوعاً.

الأم – إلاّ أنّه مثقل بالعمل.

الأب – لكنّ الضفدعة لم تأتِ من ذَنْب .

الأم – بيد إنّه لم يشر إلى الموضوع من بعد . وها قد أعطيتُه عشرة بفنكات . فلديه كلّ ما يريده .

الأب – أجل ، لقد رشوناه .

الأم – وماذا تقصد؟

الأب – سيقولون فوراً إننّا حاولنا إفساده برشرته كي يحفظ لسانه .

الأم – وماذا سيفعلون بك حسب رأيك؟

الأب – كل شيء! فلم يعد هناك من حدود! ياإلهي ، وعليّ أيضاً أن اكون أستاذا! وأن أقوم بتربية الناشئة! لكنّ هذه الناشئة تملأ نفسي خوفاً!

الأم – ولكن ليس لديهم من مُستمسَكٍ ضدك؟

الأب – لديهم شيء ضدّ الجميع . فجميع الناس مشبوهون . ومادامت الشبهة موجودة أضحى كلّ امريءٍ مشبوهاً .

الأم – لكنّ الولد ليس شاهداً موثوقاً . فالولد لايدرك حقيقة مايقوله كلّه .

الأب – ماهذا بكلام . ومتى كانوا بحاجة لشهود؟

الأم – أليس بوسعنا أن نتّفق حول ما كنتَ ترمي إليه حين أبديتَ ملاحظاتك؟ أقصد أنّه حينئذ أساءَ فهمك .

الأب – مـاذا أمكن لي أن أقـول؟ لم أعـد قـادراً حـتى عـلى التذكّر. إنّما هـذا المطر اللعين قد تسبّب في كل شيء. فـهـو يجـعل المرء مـعكّر المزاج. لكنّني في نهـاية المطاف سأكـون آخر من يفكّر في توجـيه نقـد لتلك الانطلاقة الروحية التي تهتزّ لها اليوم مشاعر الشعب الالماني. بل أنا توقّعتها منذ أواخر عام ١٩٣٢.

الأم – لا وقت لدينا للحديث في هذا، ياشارل. فعلينا بشكل خاص أن نكون على اتفاق تام، وبشكل فوري. فليس لدينا دقيقة واحدة نضيّعها.

الأب – لا أقدر على أن اتخيّل صدور ذلك عن هنري.

الأم – المنزل البنّي أولاً والدناءات.

الأب – لم أتحدث عن الدناءات البتّة.

الأم – قلت إنّ الجـريدة طافـحة بالدناءات وإنّك سـوف تلغي اشتراكك بها.

الأب – الجريدة، أجل! لكن ليس المنزل البنّي!

الأم – ألا يمكنك على سبيل المثال أن تكون قلت إنّك تشجب تلك الدناءات في الملحقات الكنسيّة؟ وإنّه من الممكن جـداً، حـسب رأيك، أن يكـون أولئك الناس، الـذين يَمثُلون اليوم أمـام العدالة، قـد أشاعـوا بأنفسهـم من قبل

تلك التخرّصات البشعة حول المنزل البنّي، مُدَّعين أنّ كلّ ما فيه ليس نظيفاً تماماً؟ وأنّهم لو قاموا بالكنس أمام أبوابهم لكان ذلك أجدى لهم؟ وأنّ الشيء المؤكّد هو قولك للصغير أن يدع العبث بالراديو وأن يتحوّل بالأحرى لقراءة الجريدة، لأن على الرايخ الثالث حسب رأيك أن يفتح عينيه على ما يدور من حوله.

الأب – كلّ ذلك من غير جدوى.

الأم – إيّاك أن تسقط وتنهار، ياشارل! كن قوياً، مثلما يقول الفوهرر في كلّ. . .

الأب – ولكن لايسعني، رغم كل شيء، أن أمثل أمام المحكمة، لكي أرى مَنْ هو مِن لحمي ودمي واقفاً يشهد ضدي.

الأم – لاتنظر إلى الأمور على هذا النحو.

الأب – ألا إنّ مخالطتنا لآل كليمتش لهفوة كبرى.

الأم – إلاّ أنّ كليمتش لمّا يتعرّض لأيّ أذى.

الأب – هذا صحيح. ولكنّه قيد التحقيق.

الأم – وماذا لو استسلم لليأس كلّ الذين خضعوا للتحقيق في وقت من الأوقات!

الأب – هل تظنّين أنّ حارس البناء يُضْمِرُ لنا شيئاً؟

الأم – تقصد في حالة استجوابه؟ لقد حصل أولاً على واحدة من علب السيجار بمناسبة عيد ميلاده. أما بمناسبة العام الجديد فقد نال هدايا تليق بالملوك.

الأب – إنّ آل غوف المقيمين بجوارنا قد أعطوه خمسة عشر ماركاً.

الأم – لكن لاتنسَ أنّهم في عام ٣٢ كانوا مايزالون يقرؤون الـ «فوفيست» وأنّهم في شهر أيار (مايو) ٣٣ كانوا مايزالون يرفعون للزينة أعلاماً ألوانها الأسود والأبيض والأحمر!

(جرس الهاتف يرن)

الأب – الهاتف!

الأم – هل أقوم بالرد؟

الأب – لا أدري.

الأم – من يمكن أن يكون هذا؟

الأب – انتظري هنيهة. وإذا مارنّ الجرس مجدّداً، تقومين بالرد.

(ينتظران. لم يعد الهاتف يرن)

الأب – هذه الحياة ليست بحياة!

الأم - شارل!

الأب - إنّ هذا الذي ولَدْته هو يهوذا! فهو يجلس هنا إلى المائدة ويصغي لكلّ شيء وهو يتناول الحساء الذي نقدّمه له، أمّا ما نتفوّه به نحن والديْه فيقوم بتدوينه، ذلك الواشي!

الأم - إنّي أمنعك من التحدّث على هذا النحو! (هنيهة) هل تظنّ أنّ علينا أن نتخذ بعض أشكال الحيطة، وأن نُعِدَّ شيئا ما؟

الأب - وهل تعتقدين أنّهم سيرجعون على الفور بصحبته؟

الأم - إنّ هذا لممكن، رغم كل شيء.

الأب - قد يكون عليّ أن أعلّق الصليب الحديدي؟

الأم - ذلك ضروري، ياشارل!

(يمضي فيحضره ويثبته على صدره بيدين مرتعشتين).

أما في المدرسة، فليس لديهم، رغم ذلك، من مأخذ عليك؟

الأب - وأنّى لي أن أعرف ذلك؟ إنّي على استعداد لأن أعلّم كل ما يريدونه، ولكن ما الذي يريدونه؟ ياليتني كنت أعرف ذلك! وماذا أعرف عن الطريقة التي يريدون أن نعرِضَ بها بسمارك؟ ماداموا يستغرقون كلّ هذا الوقت في إصدار الكتب المدرسية! ألا يسعكِ أن تعطي

الوصيفة عشرة ماركات إضافيّة؟ إنّها تُمْضي الوقت في الإصغاء إلينا.

الأم، تومىء برأسها موافقة - وصورة هتلر. حبّذا لو علّقناها فوق مكتبك؟ فذلك سيعطي انطباعاً أفضل.

الأب - أجل، إفعلي (تذهب الأم لتعلقها) ولكن ماذا لو قال الصغير إننا غيّرنا موقعها عن عمد، فسوف يخلصون إلى انطباع عن سوء نيّتنا.

(الأم تعيد الصورة إلى موقعها السابق)

الأب - ألم يفتح أحد الباب؟

الأم - لم أسمع شيئاً.

الأب - بلى!

الأم - شارل!

(تضمّه بذراعيها)

الأب - أعِدّي لي صرّةً صغيرة من الملابس الداخلية.

(يسمع صوت فتح الباب. الأب والأم يقفان ذاهلين، يلتصق أحدهما بالآخر في زاوية من الحجرة. ينفتح الباب. يدخل الصبي حاملاً بيده كيساً صغيراً من الورق. تنقضي هنيهة).

الصبي - مابكما؟

الأم - أين كنت؟

(يريها الصبيّ كيس الشوكولاتة الصغيرة).

الأم - اشتريتَ شوكولاتة، هذا كلّ ما فعلتَه؟

الصبي - وماذا سأفعل؟ نعم هذا كل شيء.

(يقطع الغرفة وهو يأكل. يلاحقه والداه بنظرة متفحّصة).

الأب - هل تظنّين أنّه يقول الحقيقة؟

(تنهز الأم بكتفيها).

ستار.

أنطون تشيخوف

المسرحية الحادية عشرة

أليوبيل

ملهاة ذات من فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Anton Tchekhov

Le Jubilé
Farce

يُتْرِعُ المسرحيون أعمالهم بالملائكة والأوغاد والمهرّجين فقط... ورغبت أنا في أن أكون أصيلاً، فليس لديّ من لصّ ولا حتى من ملاك (رغم أني لم أقوَ على الاستغناء عن المهرّجين)، وما اتّهمت أحداً ولا برّأت من أحد.

تشيخوف

الشخصيات:

أندريه اندرييتش شيبوتشين، رئيس مجلس إدارة شركة «التسليف التضامني». وهو رجل متوسط العمر، يضع نظارة أحادية.

تاتيانا اليكسييفنا، زوجته، في الخامسة والعشرين.

ميرشوتكينا ناستازيا فيدروفنا، امرأة مسنّة ترتدي معطفاً.

أعضاء مجلس الإدارة، موظفو المصرف.

يجري المشهد في مصرف «التسليف التضامني».

مكتب رئيس الإدارة. إلى اليسار، باب يؤدي إلى المصرف. طاولتا مكتب. أثاث مُتكلّف، مقاعد بطائنها من القطيفة، باقات من الزهر، تماثيل، سجّاد، جهاز هاتف. الثانية عشرة ظهراً.

على خشبة المسرح، كيرين وحده ينتعل جزمة من اللبْد.

كيرين (وهو يقف على عتبة الباب، صارخاً نحو الخارج): أرسلوا أحداً إلى الصيدلية ليشتري فاليريان بخمسة عشر كوبيَاً، وهاتوا شيئاً من الماء البارد إلى مكتب المدير! أم ينبغي تكرار الطلب على مسامعكم مئة مرة! (يذهب إلى طاولته). إنّي مرهق. ها أنذا منذ أسبوع أكتب ليلاً ونهاراً، من غير أن يغمض لي جفن. أكتب هنا منِ الصباح حتى المساء، ومن المساء حتى الصباح أكتب في البيت. (يسعل). وانتابتني من جرّاء ذلك أوجاع تكسّر في كافة أنحاء جسدي. هذا مع نوبات رجفة، وحمّى قوية، وسعال وطفح في الساقين واحتقان شديد... في العينين. (يجلس). أمّا رئيس مجلس إدارتنا، ذلك القرد النذل، فعليه أن يقرأ اليوم أمام الجمعية العامة تقريره، بعنوان: «مصرفنا حاضراً

ومستقبلاً». لكن هاكم مثيل لغامبيتا[1]. (يكتب) اثنان... واحد... واحد... ستة... صفر... سبعة... ثم ستة... صفر... واح... ستة. إنّه عازم على ذرّ الرماد في العيون، أمّا أنا، فعليّ أن أبقى مسمّراً على كنبتي أعمل من أجله، وأن أبذل جهداً مضنياً. ولا يعمد السيّد في تقريره لأكثر من نظم الشعر، أمّا أنا فعليّ أن أنسّق الأرقام طول أيام بحالها. ألا فليأخذه الشيطان لأنّني لم أعد أقوى على تحمّله! (يكتب). قلنا: واحد... ثلاثة... سبعة... ثلاثة... واحد... صفر... وعدني بمكافأة. إذا ما سار كل شيء على ما يرام اليوم، وإذا ما توصّل إلى خداع الجميع، فسوف أنال مدالية ذهبية وثلاث مئة روبل على شكل هبة... سوف نرى. (يكتب) أما إذا جعلتني أؤدي هذا العمل من دون مقابل، عندئذ الويل لكَ، يا صاح... فأنا رجل حادّ المزاج... أنا يا صاح، حين أَسْتَشَاطُ غضباً، قادر تماماً على التسبّب بمصيبة. أجل!

(صخب وتصفيق وراء الكواليس)

يُسمع صوت شيبوتشين: «شكراً. شكراً. تأثّرت كثيراً».

(١) رئيس فرنسي من عهد الجمهورية الثالثة.

(شيبوتشين يدخل، لابساً بدلة، وربطة عنق بيضاء. حاملاً بيده ألبوماً قُدِّم إليه للتو).

شيبوتشين (على عتبة الباب ووجهه نحو الخارج): سوف أحتفظ بهديّتكم، يا معاونيّ الأعزاء، حتى آخر يوم في حياتي على أنّها ذكرى أفضل يوم عرفته في هذه الحياة. أجل، يا أصدقائي الأعزاء... أشكركم مجدّداً! (يبعث إليهم بقبلة بحركة من يده ويقترب من كيرين) يا عزيزي، يا كوزمانيكولاييتش المحترم! (طول الوقت الذي يمضيه شيبوتشين على المسرح، لا ينقطع دخول المستخدمين بأوراق ليوقّعوها ويخرجوا).

كيرين (واقفاً): لي الشرف بأن أهنّئك، يا أندرييتش، بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لمصرفنا وأتمنى أن...

شيبوتشين (وهو يشد على يده بقوّة): شكراً، يا عزيزي، شكراً. بل يسعنا في مثل هذا اليوم حسبما أعتقد، وإكراماً للذكرى، أن نتبادل العناق (يتعانقان). إني لسعيد كل السعادة. شكراً على خدماتك... شكراً في الحقيقة على كل شيء. وإذا كان قد أتيح لي، منذ أن نلت شرف رئاسة مجلس الإدارة، أن أقدّم فائدة ما، فأنا مدين بذلك لمعاونيَّ قبل من عداهم. (يتنهد) نعم

يا عزيزي. خمسة عشر عاماً. خمسة عشر عاماً في الواقع!
(بحميّة) لكن ماذا عن تقريري هل يسير العمل فيه قُدُماً؟

كيرين: أجل. ولم يبق فيه غير خمس صفحات.

شيوتشين: ممتاز. سيكون جاهزاً إذن في الساعة الثالثة؟

كيرين: سيكون جاهزاً إذا لم يزعجني أحد. فقد بقي أمامي القليل.

شيبوتشين: رائع! هذا رائع في الواقع. فالجمعية العامة موعدها الرابعة. هات إذن يا عزيزي، أعطني القسم الأول من فضلك، عسى أن أدرسه بعض الشيء... أعطني بسرعة. (يأخذ التقرير). إنّي لأبني على هذا التقرير أكبر الآمال... فهذا هو إعلان مبادئي. لا بل أسهمي النارية. أجل، إنّ ذلك أسهمي النارية وحقّ شيبوتشين! (يجلس ليدرس التقرير). إلاّ أنّي متعب لدرجة شديدة... فقد دهمتني في الليلة الفائتة نوبة نقرس، ثم انقضت ضحوة يومي كلّها في المساعي والاستعدادات لتأتي من بعد هذه الانفعالات والهتافات والاضطرابات... ألا كم أنا متعب!

كـيـرين (وهو يكتب): اثنان. . . صـفـر. . . ثلاثة. . . تسعة. . . اثنان. . . صفر. . . صارت تتراءى لي، لكثرة ما دوّنت من أرقام، بُقَعٌ خضراء أمام ناظريّ، ثلاثة. . . واحد. . . ستة. . . أربعة. . . خمسة. . .

شيبوتشين: هناك منغّص آخر. . . جاءتني زوجتك هذا الصباح تشكو إليّ سوء سلوكك. وقالت لي إنّك قد لاحقتها وزوجة أخيها مساء أمس، وأنت تحمل سكيناً بيدك. فما حقيقة الأمر يا كوزمانيكولاييتش؟ أهكذا، أهكذا!

كيرين (بجفاء): إسمح لي، بمناسبة هذه الذكرى السنوية، يا أندريه أندرييتش، أن أتوجّه إليك بهذه الطلب. أرجوك، وليكن ذلك تقديراً فقط لما أقوم به من عمل مضنٍ، أن لا تتدخّل في حياتي الخاصة! أرجوك!

شيبوتشين (وهو يتنهد): إنّك ذو طبع صعب، يا عزيزي كوزمانيكولاييتش. فأنت رجل رائع وموقّر، بيد أن سلوكك مع النساء يشبه تماماً سلوك جاك، باقر البطون، ولست أدري لماذا تزدريهنّ، أنت إلى هذا الحدّ؟

كيرين: أما أنا، فلست أدري لماذا تُحبّهن، أنت، إلى هذا الحدّ؟

(بعض الوقت)

شيبوتشين: لقد قدّم لي الموظفون للتوّ ألبوم صور. وبلغني أنّ أعضاء اللجنة عازمون على التوجّه إليّ بكلمة تهنئة وتقديم إناء من الفضة... (يعبث بنظارته) لا بأس بهذا، وحق شيبوتشين! وليس الأمر بزائد عن حده... ذلك أنّ صيت المصرف يتطلّب شيئاً من البذخ وأيم الحقّ! أنت من خاصّتنا، وعليه فأنتَ عالم بخفايا الأمور... فكلمة التهنئة دبّجتها بنفسي والإناء الفضي أيضاً اشتريته بنفسي. وحرصت على أن يكون نصّ الخطاب مجلّداً، فكلّفني ذلك خمسة وأربعين روبلاً، لكنه ضروري. وما كان لهم قط أن يفكّروا في ذلك من تلقاء أنفسهم... (ينظر فيما حوله) والأثاث، ماذا تقول بشأنه؟ هذا يقال له أثاث. ينعتونني بالمدقّق وأنّ اهتمامي ينصبّ في الدرجة الأولى على أن تكون قبضات الأقفال لمّاعة، وأن يعقد الموظفون ربطات العنق على أحدث طراز، وأن يقف لدى الباب بوّاب ذو مهابة. لكن اعلموا يا سادتي أنّ قبضات الأقفال والبوّاب ذا المهابة ليست من سقط المتاع! إذ يسعني وأنا في بيتي أن أسلك سلوك بورجوازي صغير، فآكل بنهم وأنام كإنسان قذر أو أسكر طول أيّام وأيّام...

كيرين: لا داعي لأيّ تلميحات، أرجوك!

شيبوتشين: ولكنّني لا ألمّح إلى شيء أبداً! ألا كم أنت حادّ الطبع! كنت أقول إذن إنّ بوسعي وأنا في بيتي أن أسلك سلوك بورجوازي صغير، أو وصوليّ، وأن أتصرف كما يحلو لي. أما هنا فينبغي النظر إلى كل شيء بمهابة! نحن هنا في مصرف. وكلّ شيء هنا، كبيراً كان أم صغيراً لا بدّ أن يكون ذا مكانة ويوحي بالازدهار. (يلتقط قطعة من ورق على الأرض ويلقي بها في المدفأة). وإذا كان لي ما أعتزّ به فذلك أنّي رفعت سمعة المصرف عالياً! . . . وإنّ ذلك لشيء عظيم - بلى، إنّه لشيء عظيم وحق شيبوتشين! (وبعد أن ألقى نظرة سريعة على كيرين). يا عزيزي، يمكن لوفد أعضاء المجلس. أن يصل بين لحظة وأخرى، وأنت ما زلت تنتعل جزمة اللبد هذه، وتحيط عنقك بهذا الوشاح . . . وترتدي هذه السترة ذات اللون الذي لا يصدّق! هذا وكان بوسعك أن تلبس بدلة أو ترتدي على الأقل معطفاً أسود . . . !

كيرين: إنّ صحّتي لأثمن من كافة أعضاء مجلسك. فجسمي كله مصاب بالتيبُّس.

شيبوتشين (منتفضاً): لكنّك ستسلّم بأنّ في هذا شيئاً من الفوضى. وأنّك تسيء إلى الإنسجام العام!

كيرين: بوسعي أن أختبئ إذا حضر الوفد... فالضرّر ليس فادحاً... (يكتب) سبعة... واحد... سبعة... اثنان... واحد... خمسة... صفر. وأنا أيضاً لا أحب الفوضى... سبعة... اثنان... تسعة. (يكتب) إنّي أكره الفوضى. فحسناً تفعل، والحال هذه، إذا لم تدعُ النساء اليوم إلى حفل عشاء اليوبيل...

شيبوتشين: ما هذه الترّهات!...

كيرين: أعلم علم اليقين، أنك ستدعو منهنّ ما يملأ عليك القاعة، من أجل أن تزهو وتتباهى، إلا إنّهن سيفسدن عليك كل شيء. وسوف ترى بعينك. ففعلهنّ يقتصر على إلحاق الأذى وإشاعة الفوضى.

شيبوتشين: أرى عكس ما تراه تماماً، فالمجتمع النسائي غاية في التشويق!

كيرين: أجل... لكن هاك على سبيل المثال زوجتك، علماً أنّها امرأة مثقّفة. لقد ألقت يوم الاثنين الماضي بقنبلة أبقتني يومين فاغر الفم ذهولاً. فقد سألتني على حين

غرّة، وعلى مسمع من غرباء: «أحقاً اشترى زوجي أسهم مصرف دراجكو - براجكي التي انهارت مؤخّراً في البورصة؟ آه كم انتاب زوجي من قلق!» وكل ذلك على مسمع من غرباء! . . . لست أدري ما الذي يدعوك لأن تستودعهنّ مثل هذه الأسرار! أم أنّك تريد منهنّ أن يوصلنكَ لتنهيَ حياتك في السجن؟

شيبوتشين: هيا، حسبك هذا، حسبك! فأفكارك الكئيبة لا تتواءم والمناسبة السنوية. لكنّك ذكّرتني أمراً على كل حال. (ينظر إلى ساعته). ينبغي أن تصل زوجتي في الحال، بل كان عليّ في الواقع أن أخفّ لاستقبالها في المحطة، فحال ضيق الوقت دونها، ناهيك . . . بما أنا فيه من تعب. أما إذا صدقْتُك القول، فقدومها لم يطربني كثيراً. بل أقصد أن أقول إنّها تروق لي، لكنّني كنت أفضّل لو أنّها مكثت أيضاً يومين عند أمّها. سوف تفرض عليّ أن ألازمها طول السهرة، علماً أنّنا كنا قد عقدنا العزم اليوم على أن نزوغ قليلاً بعد العشاء . . . (ينتفض). هيا، إليك كيف عرتني الآن هزّة عصبية! يبدو أنّ أعصابي أضحت متوتّرة جداً حتى يمكن أن أجهش لأتفه سبب بالبكاء! لكن، لا، إذ ينبغي الصمود، وحق شيبوتشين!

(تدخل تاتيانا اليكسييفنا بمعطف واقٍ وهي تتمنطق بمحفظة سفر).

شيبوتشين: ماذا! يقولون اذكروا الذيب[1]! . . .

تاتيانا: يا حبيبي.

(تهرع إليه فيتعانقان طويلاً).

شيبوتشين: ها قد جئنا الآن على ذكركِ! . . .

(ينظر في ساعته).

تاتيانا (لاهثة): هل انتابكَ السأم في غيابي؟ هل أنتَ في صحة جيدة؟ لم أتوجّه بعد إلى البيت، فقد جئت مباشرة من المحطة. لديّ أشياء وأشياء أقصّها على مسامعك . . . ولن أتوانى عن ذلك . . . لن أخلع معطفي فأنا ذاهبة بعد دقيقة . . . (تقول لكيرين:) طاب يومك، يا كوزمانيكولاييتش. (لزوجها) كل شيء في المنزل على ما يرام؟

شيبتوتشين: بلى. أما أنتِ فازددت في هذا الأسبوع صحة وحلاوة . . . ولكن كيف كان سفرك؟

تاتيانا: رائعاً جداً. ماما وكاتيا تُقريانك السلام. أما فاسيلي أندرييتش، فرجاني أن أعانقك. (تعانقه). خالتي بعثت لك بإناءٍ من المربّى، وكانوا غاضبين جميعاً لأنّك

لا تراسلهم. أوصتني زينا أن أقبّلك. (تقبّله). آه، لو كنت تدري ما جرى! لو كنت تدري ماجرى! لا، بل أخشى أن أقصّه عليك! ويلي على ما جرى! بيد أنّك لست مسروراً لرؤيتي، وهذا ما أراه في عينيك!

شيبوتشين: بل العكس... يا حبيبتي.

(يعانقها. يبدأ كيرين، وقد استبدّ به الغضب، بالسعال).

تاتيانا: آه، يا لكاتيا المسكينة! مسكينة كاتيا! ألا كم أتألّم من أجلها! كم أتألّم.

شيبوتشين: يا عزيزتي، اليوم هو الذكرى السنوية للمصرف. ويمكن لوفد أعضاء مجلس الإدارة أن يصل بين لحظة وأخرى. وأنت لست بملابسك.

تاتيانا: صحيح. إنّها الذكرى السنوية! تهانينا لكم، أيها السادة... أتمنى لكم... إذن سيكون في المساء لقاء وعشاء... آه كم أهيم بذلك! والخطاب الرائع الذي انهمكت طويلاً في صياغته لأعضاء المجلس؟ هل سيقرؤونه على مسامعك اليوم؟

(كيرين يسعل متبرّماً).

شيبوتشين (وقد تضايق): يا عزيزتي، مثل هذه الأمور، لا يأتي أحد على ذكرها. أؤكّد لك أنّ عليك التوجّه إلى البيت.

تاتيانا: على الفور، على الفور. سأروي لك كل شيء في دقيقة واحدة ثم أمضي. سأبدأمن البداية. إذن، حين غادرتني، حسبما تذكر، جلست قرب تلك السيدة البدينة وطفقت أقرأ. فأنا لا أحب الحديث في القطار. فقرأت طيلة ثلاثة مواقف من غير أن أتبادل كلمة مع أحد... ثم ما لبث أن جُنّ الليل، وتملّكتني بقدومه مشاعر كئيبة! وكان يجلس قبالتي شاب أسمر اللون، ربعة، حسن الشكل. فتبادلنا شيئاً من الكلام... وجاء من بعد بحار وطالب. (تضحك). قلت لهم أنّي غير متزوّجة. لو تدري كم غازلوني! هذرنا على ذلك النحو حتى منتصف الليل. كان الأسمر الربعة يروي من الملح ما هو مضحك بشكل غريب أما البحار فما كفّ عن الغناء. أما أنا فأصابني الإرهاق لشدّة الضحك. وحين علم البحار - ويلي من أولئك البحّارة - حين علم البحّار عرضاً أنّي أدعى تاتيانا، هل تدري ماذا غنّى: (تغنّي بصوت خفيض:)

يا أونيغين، لا يسعني الكتمان

أحب تاتيانا حتى الجنون

(وأغرقت تضحك مقهقهة. وسعل كيرين متبرّماً).

شيبوتشين: حبيبتي تاتيانا، أعتقد أننا نسبّب الضيق لكوزمانيكولايتش. هيّا إلى المنزل، يا عزيزتي... وسوف تقصّين عليّ فيما بعد...

تاتيانا: لا بأس، لا بأس، ليس له إلا أن يصغي أيضاً فالواقعة مسلّية جداً. وسوف أنتهي منها على الفور. إنّ سيرغي هو الذي جاء يستقبلني في المحطة. وكان بصحبته شاب، يعمل مفتّشاً للضرائب حسبما أظن... كان حسن الشكل، بل كان فاتناً حقاً، لا سيما عيناه... فعرّفني سيرغي عليه وانطلقنا نحن الثلاثة معاً... وكان الجو رائعاً...

(تُسمعُ أصواتٌ من وراء الكواليس: «كلا! كلا! لا يمكن الدخول! ماذا تريدين؟»).

(تدخل ميرشوتكينا).

ميرشوتكينا (وهي تتملّص من الأيدي، لدى الباب): لماذا تمنعونني؟ ما هذه التصرّفات! ينبغي أن أقابله شخصياً!... (تدخل وتخاطب شيبوتشين). لي الشرف بأن أتحدّث إليكم، يا صاحب السعادة... اسمي ناستازيا فيودوروفنا ميرشوتكينا، زوجة أمين سر البلدية.

شيبوتشين: ماذا تريدين؟

ميرشوتكينا: تفضّل، يا صاحب السعادة. إنّ زوجي ميرشوتكين، أمين سر البلدية، أصيب بالمرض مدة خمسة أشهر. وأثناء إقامته في البيت لتلقّي العلاج، سرّحوه من غير سبب موجب، يا صاحب السعادة. وحين ذهبت لقبض تعويضاته اقتطعوا منها أربعة وعشرين روبلاً وستة وثلاثين كوبياً. فسألتهم: لماذا؟ فقالوا لي: «لأنّه أخذ مالاً من صندوق التضامن ولأنّ آخرين قد كفلوه». لكنّ هذا غير ممكن! وكأنّه استطاع أخذ المال من غير موافقتي! لكنّ ذلك غير ممكن، يا صاحب السعادة. فأنا امرأة فقيرة بلا مورد، ومعيشتي من المستأجرين عندي... إنّني ضعيفة، بلا سند. ولا أرى إلاّ والمنغّصات تحاصرني من كل جانب، وليس من يأتي لمعونتي.

شيبتوشين: هل تسمحين.

(يأخذ طلب الالتماس من يدها ويقرؤه)

تاتيانا: تتحدث إلى كيرين - ينبغي أن أستأنف من البداية... تلقّيت في الأسبوع الفائت رسالة من أمي. أخبرتني فيها أن شخصاً يدعى غرينديلفسكي تقدم طالباً الزواج

من شقيقتي كاتيا. وهو شاب فاتن ومتواضع، لكنه لسوء الحظ بلا ثروة ولا مركز. وتخيّل من بعد أن كاتيا قد تعلّق قلبها به، كي تكتمل المصيبة. فما العمل؟ طلبت إليّ أمي أن أحضر على الفور عسى أن أؤثّر على كاتيا...

كيرين (بقسوة): أعذريني. إنّك تشوّشين أفكاري... فحديثك على أمّك وكاتيا جلعني لا أدري أين أنا ولا أهتدي سبيلي.

تاتيانا: وما ضرورة ذلك! فخير لك أن تصغي حين تتحدث سيدة إليك. ولم أنت ساخط اليوم إلى هذا الحد؟ أم عساكَ عاشقاً؟

(تضحك)

شيبوتشين (متحدثاً إلي ميروشوتكينا): المعذرة، ما معنى هذا كلّه؟ أنا لم أفهم شيئاً...

تاتيانا: أنت عاشق؟ آه، آه! لقد احمرّ وجهه!

شيبوتشين (قائلاً لزوجته): حبيبتي تاتيانا، إنّي منشغل بضع ثوان، يا عزيزتي، توجّهي إلى مكتبي وسوف ألحق بك على الفور.

تاتيانا: حسن جداً.

(تخرج)

تشيبوتشين : لم أفهم شيئاً من طلبكِ. والأرجح أنّكِ أخطأت باختيار المكان، يا سيدتي. فطلبك لا يقع ضمن نطاق عملنا أبداً، فتفضّلي بالتوجّه إلى المؤسّسة التي كان يعمل فيها زوجك.

ميرشوتكينا : سبق لي أن توجّهت إلى خمسة أماكن مختلفة، يا سيّدي الكريم، ولم تقبل أيّ جهة النظر في طلبي. ولقد دارت بي الدنيا. لكنّ صهري بوريس ما تفيتش، نصحني، والحمد لله، بالتوجّه إليكم: «عليك، يا حماتي العزيزة، أن تقصدي السيد شيبوتشين. فهو رجل طويل الباع وقادر على كل شيء...» ساعدني، يا صاحب السعادة.

شيبوتشين : يا سيدة ميرشوتكينا، لا يسعنا أن نفيدك في شيء. افهميني جيداً: لقد كان زوجك، حسبما استنتجت، مستخدماً في البلدية. أما نحن هنا، فمؤسّسة خاصة تماماً، مؤسّسة تجارية. هنا مصرف. والمسألة واضحة كل الوضوح!

ميرشوتكينا : يا صاحب السعادة، لديّ شهادة طبيّة تثبت مرض زوجي. هاكها، تفضّل بإلقاء نظرة عليها...

شيبوتشين (ساخطاً): أصدّقك تماماً لكنني أكرّر عليك القول إنّ ذلك ليس منوطاً بنا.

(يُسمع من وراء الكواليس ضحك تاتيانا ثم ضحك رجل).

شيبوتشين (بعد إلقاء نظرة ناحية الباب): لا بد أنّها تصرف انتباه الموظفين عن عملهم هناك. يقول لميرشوتكينا). الأمر غريب، بل ومثير للضحك. كيف لا يعرف زوجك الجهة التي ينبغي عليك أن تقصديها؟

ميرشوتكينا: ماذا بوسعي أن أعمل، يا صاحب السعادة، فهو لا يحسن شيئاً أبداً. ولا يني يردّد: «ليس هذا من شغلكِ. هيا انصرفي». ولا شيء غير ذلك.

شيبوتشين: أقول لكِ مجدداً، يا سيدتي، إنّ زوجك موظف في دائرة تابعة للبلدية، أما هنا فمصرف، أي مؤسسة خاصة تجاريّة...

ميرشوتكينا: بلى، بلى... إنّني أفهم يا عمّاه. في هذه الحال، أوعز يا صاحب السعادة، أن يدفعوا لي خمسة عشر روبلاً على الأقل. فأنا أوافق على عدم قبض المبلغ دفعة واحدة.

شيبوتشين (متنهداً): أفٍّ!

كيرين: يا أندريه أندرييتش، لن إتمكّن على هذه الحال من إنهاء عملي أبداً!

شيبتوتشين: أجل، على الفور. (يقول لميرشوتكينا). ألا يسعنا إذن أن ندلّك على جادة الصواب؟ إفهمي في نهاية الأمر أنّ قدومك إلينا بهذا الطلب غريب مثل تقديم طلب طلاقٍ مثلاً إلى صيدلية أو إلى مركز مراقبة الأوزان والقياسات.

(طرق على الباب. صوت تاتيانا: «أندريه، هل أستطيع الدخول؟»).

شيبوتشين (صائحاً): انتظري ثانية، يا عزيزتي، أنا قادم على الفور (يقول لميرشوتكينا). لم تحصلي على حسابك؟ لا أستطيع أن أعينك بشيء. ونحن، فوق هذا يا سيدتي، نحتفل اليوم بعيدنا السنوي. فنحن مشغولون جداً... ويمكن لأحد ما أن يأتينا بين لحظة وأخرى... اعذريني.

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة، ترأّف بيتيمة، فأنا امرأة ضعيفة، بلا حماية... لقد أصبحت منهكة... عليّ أن أهتم بكل شيء، بالدعاوى على المستأجرين، وبالإجراءات من أجل زوجي، وبشؤون المنزل، والآن بصهري الذي فقد عمله.

شيبوتشين: يا سيدة ميرشوتكينا، أنا . . . لا، اعذريني، لم يعد بوسعي التحدّث إليك! لقد أصابني الدّوار! أنت تزعجينني وتضيعين وقتك . . . (يتنهّد. يقول على انفراد). إنّها بليدة الذهن حتى البلاهة، وحق شيبوتشين! (إلى كيرين كوزمانيكولاييتش)، أوضح للسيدة، أرجوك . . .

(يؤدي حركة بيده ثم يخرج).

كيرين (يقترب من ميرشوتكينا قائلاً بخشونة)**:** ماذا تريدين؟

ميرشوتكينا: أنا امرأة ضعيفة، بلا حماية . . . من يراني يحسب أنّني قوية البنية، أما في واقع الأمر فليس في جسمي من عضو سليم. فلا أكاد أقوى على الوقوف وفقدت شهيتي للطعام. وشربت قهوتي هذا الصباح فلم أستَسِغْها . . .

كيرين: قلتُ لكِ ماذا تريدين؟

ميرشوتكينا: يا عَمّاه، دعهم يدفعون لي خمسة عشر روبلاً، والباقي بعد شهر إن شئتَ.

كيرين: لكن يبدو لي أنّهم أفهموكِ من قبل: إنّما هنا مصرف.

ميرشوتكينا: أجل، أجل، أعرف . . . ويسعني أذا لزم الأمر أن أزوّدكم بشهادة طبيّة.

كيرين: أهذا الذي تحميلنه بين كتفيك، رأس أم ماذا؟

ميرشوتكينا: أيّها السيد، أنا لا أطلب إلا حقّي، ولا شيء سواه.

كيرين: لقد سألتك، يا سيدتي، أهذا الذي تحملينه بين كتفيك، رأس أم ماذا؟ ألا فليُرِحْني الشيطان، إذ لا وقت لديّ كي أجادلكِ! أنا مشغول.
(يدلّها على الباب) أرجوكِ.

ميرشوتكينا (مندهشة): ولكن، أين مالي؟...

كيرين: إنّي لأرى أنّ ما تحميلنه بين كتفيك ليس رأساً، لكن هذا.

(ينقر على الطاولة بإصبعه ثم على جبينه).

ميرشوتكينا (مغتاظة): ماذا؟ لا بأس! لا بأس! بمقدورك أن تفعل هذا بزوجتك... فأنا متزوّجة من أمين سرّ البلدية، تلك أنا... وعلى المرء أن يحافظ حيالي على الاعتبار!

كيرين (ساخطاً وبصوت خفيض): اخرجي من هنا!

ميرشوتكينا: يا هوه! يا هوه! اهدأ!

كيرين (بصوت خفيض): إن لم تخرجي من هنا على الفور، دعوتُ البوّاب! اخرجي من هنا!

(يخبط الأرض بقدمه).

ميرشوتكينا: لا بأس! لا بأس! لست بخائفة! فقد رأيت على شاكلتك كثيرين! . . . هيّا، إذن، يا للغباء!

كيرين: أعتقد أنّي لم أرَ في حياتي مثل هذا الشيء المقرف. . . أف! لقد أخذت سورةُ الغضب برأسي. . . (يلتقط أنفاسه بعناء) أكرّر عليك القول مرّة أخرى. . . أتسمعينني؟ إن لم تخرجي من هنا، أيتها القردة الشمطاء، فسوف أسحقك سحقاً! أنا ذو طبعٍ كفيلٍ بإتلافكِ حتى نهاية حياتك! أنا على وشك التّسبّب في وقوع مصيبة!

ميرشوتكينا: الكلاب تنبح والقافلة تمرّ. أنتَ لا تخيفني! لقد رأيتُ كثيرين على شاكلتك!

كيرين (وقد عيل صبره): ما عدتُ قادراً على رؤيتها! سوف يُغمى عليّ! لقد استبدّ بي الإرهاق (يذهب إلى طاولته ويقعد). لقد أغرقوا المصرف بأكوام من النساء العاديّات. أنا لا أستطيع إنجاز تقريري! لا أستطيع.

ميرشوتكينا: أنا لا أطلب من الغير إحساناً، بل أطالب بما يخصّني، بمالي. فدونكم هذا الفظّ الوقح. وتنتعل جزمة من اللبد في مكان عام. . . أيها الفلاح. . .

(يدخل شيبوتشين وتاتيانا).

تاتيانا (وهي تسير وراء زوجها): ذهبنا إلى سهرة عن آل بريجنسكي، وكانت كاتيا ترتدي ثوباً ضيقاًمن الحرير الأزرق، ذا كشاكش خفيفة، ومحفوراً عند العنق. . . إنّ التسريحة العالية تلائمها جداً ولقد صففتُ شعرها بنفسي. ألا كيف كانت تبدو بلباسها وتسريحتها! شيء يفتن!

شيبوتشين (وقد بدأ يعاني من الصداع): نعم. . . نعم. . . شيء يفتن. . . يمكنهم أن يصلوا بين لحظة وأخرى.

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة!

شيبوتشين (منهمكاً): ماذا أيضاً؟ ماذا يلزمك؟

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة! . . . (تدل على كيرين). هذا الذي هناك. . . أجل، ذاك نفسه. . . لقد نقر بإصبعه على جبينه ثم على الطاولة، أنت كلّفته أن يهتمّ بقضيتي، أما هو فقد سخر مني وأسمعني شتائم. أنا امرأة ضعيفة، بلا معين.

شيبوتشين: طيّب، يا سيدتي، سأرى. . . سأتّخذ الإجراءات. . . انصرفي. . . فيما بعد، فيما بعد! (على انفراد) ها أنذا، فآلام النقرس تعاودني.

كيرين (مقترباً من شيبوتشين، وبصوت خافت): أندريه أندرييتش، إبعث بطلب البوّاب، وليرم بها خارجاً. فالأمر قد أمسى في النهاية غير محتمل.

شيبوتشين (مذعوراً): كلا، كلا! سوف تنخرط بالنواح، وذلك سيؤدي إلى تجمُّع المستأجرين.

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة! . . .

كيرين (بصوت دامع): ينبغي أن أنجز تقريري! لن أتمكن من ذلك! (يعود إلى طاولته). لا أستطيع!

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة، متى سأقبض مالي إذن؟ إنّني محتاجة للمال في هذا اليوم عينه.

شيبوتشين (ساخطاً على انفراد): أيّة امرأة رهيبة وبسيطة هذه! (إلى ميرشوتكينا). سيدتي، لقد قلت لك من قبل. إنّما هذا مصرف هنا، مؤسّسة خاصّة وتجارية.

ميرشوتكينا: رأفةً بي، يا صاحب السعادة، كُنْ ربّ أسرة حقيقياً. . . إن كانت الشهادة الطبيّة لا تفي بالغرض، فبوسعي تقديم تصريح من مفوضية الشرطة. دعهم يدفعون لي هذا المال.

كيرين (متنهداً): آخ!

تاتيانا (إلى ميرشوتكينا): أيتها الجدّة، عليك أن تعقلي ما داموا يقولون لك إنّك تزعجينهم.

ميرشوتكينا: يا حسنائي الصغيرة، يا حلوتي، ليس من يقبل الدفاع عني. وأنا أكاد لا آكل ولا أشرب. واليوم شربت قهوتي من غير أن أستسيغها.

شيبوتشين (وقد أخذ منه الإنهاك كلّ مأخذ، إلى ميرشوتكينا): كم يلزمك؟

ميرشوتكينا: أربعة وعشرون روبلاً وستة وثلاثون كوبيكا.

شيبوتشين: طيّب. (يُخرجُ من حافظة نقوده خمسة وعشرين روبلاً ويناولها إياها). هاكِ خمسة وعشرين روبلاً. خذيها وانصرفي.

(كيرين يسعل متبرّماً).

ميرشوتكينا: أشكرك من كل قلبي، يا صاحب السعادة.

(تخبّئ النقود)

تاتيانا (قرب زوجها): حان الوقت كي أذهبَ إلى البيت. (تنظر في ساعتها). لكني لم أنته بعد. سأنتهي في غضون دقيقة وأمضي... أوّاه، يا لَها من واقعة! يا لها من واقعة! ذهبنا إذن إلى بريجنسكي... كانت السهرة لا بأس بها، والجوّ أقرب إلى المرح، من غير أن يكون هناك شيء خارق. ومن الطبيعي أن يكون غرينديلفسكي، الطامح إلى الزواج من كاتيا، موجوداً.. . تحدّثت أنا إلى كاتيا، وبكينا معاً وتمكّنت

من إقناعها. فأوضحتِ الأمر لغرينديلفسكي، في الأمسية ذاتها وأبلغته برفضها... فقلت في نفسي ها إنّ الأمر قد سُوّيَ أخيراً بالحُسنى، وسوف يطمئنّ قلبُ أمي. فها هي كاتيا قد نجت، وأنا بدوري سأكون مرتاحة البال. طيّب، ولكن ماذا حصل حسب ظنّك؟ كنت أتمشّى وكاتيا في أحد الممرات، قبل موعد العشاء تماماً، ثم بغتة... (منفعلة جداً) وإذ بنا نسمع بغتة صوت طلق ناري... كلا، لا يسعني أن أذكر ذلك ببرود أعصاب! (تروّح بمنديلها). كلا، لا أستطيع.

شيبوتشين (متنهداً): كلا، لا أستطيع.

تاتيانا (باكية): هرعنا صوب العريشة وهناك... هناك وجدنا غرينديلفسكي... والمسدس في يده...

شيبوتشين: كلا، ما عدتُ أحتمل! (إلى ميرشوتكينا). ماذا يلزمك أيضاً!

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة، ألا يستطيع زوجي أن يستأنف عمله؟

تاتيانا (باكية): لقد أطلق النار على صميم قلبه... هنا... لقد غابت المسكينة كاتيا عن الوعي. أما هو نفسه فلم يكن يأتي بحركة وقد بدا عليه هلع رهيب... وطلب

استدعاء طبيب. فجاء الطبيب على الفور. . . وأنقذ حياة ذلك التعيس.

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة، ألا يستطيع زوجي أن يستأنف عمله؟

شيبوتشين: كلا، ما عدتُ أحتمل! (ينخرط بالبكاء). اطردوها! اطردوها، أتوسّل إليكم!

كيرين (مقترباً من تاتيانا): أخرجي من هنا.

شيبوتشين: كلا، ليس هي. . . بل هذه. . . أجل، هذه، هذه الهَوْلة!

(يدل على ميرشوتكينا).

كيرين (وهو لم يفهم، يقول لتاتيانا): أخرجي من هنا! (يبخط الأرض بقدميه). هيّا انصرفي ودعيني وشأني.

تاتيانا: ماذا؟ ماذا هاك؟ هل جننت؟

شيبوتشين: هذا رهيب! لقد عيل صبري! اطردوها! ولكن اطردوها!

كيرين (إلى تاتيانا): أخرجي من هنا! سوف أدمّرك! سوف أُهشّمك! سأرتكب جريمة!

تاتيانا (هاربة وكيرين يلاحقها): كيف تجرؤ؟ أنت قليل الأدب! (تصرخ:) يا أندريه، أنقذني! يا أندريه!

(تولول)

شيبوتشين (يلاحقها): كفاكم! أتوسّل إليكم! على رسلكم! إرحموني!

كيرين (وهو يلاحق ميرشوتكينا): أخرجي من هنا! أمسكوا بها! إضربوها! إذبحوها!

شيبوتشين (صائحاً): كفّوا! أرجوكم! أتوسّل إليكم!

ميرشوتكينا: يا إلهي! يا إلهي! (صارخة). يا إلهي!

تاتيانا (صارخة): النجدة! النجدة! آه! آه! لقد خارت قواي! أصابني الوهن!

(تثبُ على كرسي ثم تسقط فوق أريكة وهي تئنّ كالمغمى عليها).

كيرين (ملاحقاً ميرشوتكينا): إضربوها! أوسعوها ضرباً! إذبحوها!

ميرشوتكينا: آخ! آخ! يا إلهي! لقد غشيت عيناي! آخ!

(تسقط فاقدة الوعي بين ذراعي شيبوتشين). (يسمع طرق على الباب ويهتف صوت من وراء الكواليس معلناً: «الوفد!»).

شيبوتشين: وفد... سمعة... احتلال...

كيرين (منتفضاً): أخرجي من هنا! ألا فليأخذني الشيطان! (يشمّر عن ساعديه). أعطوني إياها! سأُنزلُ بها مصيبة!

(يدخل وفد مؤلّف من خمسة من السادة بلباس رسمي. يمسك أحدهم بنصّ الخطاب في جلده المخملي، ويحمل آخر الإناء الفضّي. ينظر موظف المصرف من باب المكتب. تاتيانا فوق الأريكة وميرشوتكينا بين ذراعي شيبوتشين، وكلتاهما تئنّ).

أحد أعضاء المجلس يقرأ صوت عال: أيها السيد أندريه أندرييتش، أيها الغالي على قلوبنا والفائق التقدير. إذا ما ألقينا نظرة مرتدّة على ماضي مؤسستنا المالية وجُلنا بخيالنا مع مجرى نموّها المتواصل، امتلأت أنفسنا بانطباع متألّق حتى أرفع مستوى. إنّ المراحل الأولى من قيامها، وما رافقها من قلّة رأس المال الموظّف، وعدم حصول أيّ عملية واسعة النطاق، مع عدم الدقّة في تحديد الهدف المراد بلوغه، فرضت على نحو مسيطر طرح سؤال هاملت: «أن نكون أو لا نكون». فيما ارتفعت أصوات تؤيّد إغلاق المصرف. ثم ها أنت تبرز على رأس المصرف! إنّ معارفك وطاقتك وحسّك الأصيل المرهف أضحت مصدر نجاح فاق الآمال، وازدهار لا مثيل له، إنّ سمعة المصرف... (يسعل) إن سمعة المصرف...

ميرشوتكينا (وهي تئنّ): آخ! آخ!
تاتيانا (وهي تئنّ): ماء. ماء. أريد شيئاً من الماء!
عضو المجلس (مستأنفاً): إنّ سمعة. (يسعل). إنّ سمعة المصرف قد ارتقت بفضلك إلى مستوى عالٍ حتى أنّ بوسع مؤسستنا الآن أن تنافس أفضل المؤسّسات الأجنبية...
شيبوتشين: وفد... سمعة... احتلال... كانت حمامتان تتبادلان حباً رقيقاً... الحب وليد بوهيميا التي لم تعرف قانوناً على الإطلاق...
عضو المجلس (يستأنف مرتبكاً): وإذا ما ألقينا من بعد نظرة موضوعية على المواقف توجّب علينا أيها السيد أندريه أندييتش المبجّل والمحترم... (خافضاً نبرته). أما والحال هذه، فسوف نعود فيما بعد... أجل، ذلك أفضل، سوف نعود فيما بعد.
(يخرجون مرتبكين).

ستار

جون بوينتون بريسلي

المسرحية الثانية عشرة

الـــوردة والتـــاج

مسرحية ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

John Boynton Priestley

(né en 1895 + 1985)

La Rose et La couronne

جون بوينتون بريسلي. (١٨٩٥ - ١٩٨٥)

كاتب بريطاني كتب العديد من الابحاث والقصص القصيرة والروايات . وكان ناقداً أدبياً . ورغب من بعد في أن يثبت أنه قادر «على التفكير والابداع ككاتب مسرحي لا كروائي فقط» .

ولم يتوقف بريسلي عن الكتابة للمسرح من بعد النجاح الذي قوبلت به مسرحيته «منعطف خطر» في لندن عام ١٩٣٢ . كما قام بالاخراج وبجولات مسرحية . وترجمت مسرحياته إلى كافة اللغات تقريباً . كما أن مسرحيته «حين تزوّجنا» كانت أول عمل مسرحي يقوم التلفزيون البريطاني بنقله نقلاً حيّاً ومباشراً .

هذا وقد أولى بريسلي اهتمامه لكافة مسائل المسرح الفنية والتقنية . فرئس المعهد الدولي للمسرح وأدار المناقشات في مؤتمر المسرح البريطاني .

أربت اعمال بريسلي المسرحية على الثلاثين وهي شديدة التنوّع . وقد وصف أحياناً بالكاتب «الطبيعي» . أما عن لغته المسرحية فيقول إنّ «اللغة التي يتكلمها أشخاصه لدى نهاية مسرحياته أكثر غنى بشكل دائم وأكثر تعقيداً من اللغة التي يستخدمونها لدى رفع الستار حين يتعلق الأمر بنيل ثقة الجمهور» .

الشخصيات:

المستر ستون :	M r. Stonne.
المسز ريد :	Mrs. Reed.
برسي راندل :	Percy Randle.
إيفي راندل :	Ivy Randle.
مي بيك :	Ma Peck.
هاري تيولي :	Harry Tully.
الغريب :	L´Inconnu.

المكان: حانة ترفع لافتة «الوردة والتاج» في حي فقير يقع شمال شرقي لندن.

نهاية نهار خريفي.

يجري المشهد في منهل الحانة: البار.

إذا كان الديكور موضوعاً فيمكن أن يمثل حجرة فقيرة، على شيء من الكآبة، لها نافذة عليها ستائر. أما الاعلانات المألوفة الملصقة على الجدران فيستحسن أن تكون كابية. في صدر الحجرة باب، يقع في الوسط. وهو باب بسيط أو بدرفتين مرتدتين. لايسع المشاهد أن يرى المنهل على الجدار الرابع. بل يرى فقط مبسطه[1] المقطوع عند الوسط، والذي يبدو متيناً جداً بعرض يقارب ثلاثة أمتار.

أما وصاحب الحانة غير مرئي، مع أنّ الممثلين ينبغي أن يتصرفوا وكأنه هناك، فان عملية تناول المشروب وتسديد الثمن عملية وهمية. أما اذا فضّل المخرج أن يحمل الممثلون كؤوسهم بأيديهم ـ وذلك أمر مفضّل ـ فالمبسط ينبغي بناؤه بشكل أكثر متانة على الأرض. وأن تؤخذ الكووس من قبل

(١) المبسط هو الطاولة المستطيلة أو المنحنية قليلاً والتي يقف الزبائن عندها لتناول الشراب في المنهل.

الممثلين بمهارة، من فوق رفوف لايراها المشاهدون، لكنها مثبتة علي المبسط. أما اذا كانت عملية الأخراج متواضعة، فليس ما يدعو إلى ديكور مشيد. يكفي فقط باب في الصدر وتحل ستائر باهتة محل الجدران. والوضع المثالي أن تكون خشبة المسرح مضاءة من الواجهة.

تكون خشبة المسرح فارغة مع رفع الستار ثم يدخل ستون. إنه رجل متوسط العمر، بدين عبوس ويشبه عامة الناس. بوسعه أن يدخن غليوناً صغيراً رديئاً. يحمل بيده صحيفة المساء. وعليه أن يومىء بطلب شراب مثلما سيفعل الباقون من بعد. . . وعليه بكل عناية أن يوهم بوجود فْرِيْدْ، صاحب الحانة، والمفروض أن يأتي كل مرة إلى وراء المبسط.

ستون: (عـابسـاً وهو يتـابع فْرِيْدْ بعـينيـه) ـ طاب مـسـاؤك، يافـريد، لـو كـان بـوسـعنا أن ندعـو هذا المسـاء بـالطيّب! نصفيّة غـامـقـة! . . . (ينظر في جريدته ثـم يأخـذ كـأسه فيدفع الثمن ويشرب جرعة. ثم يعود إلى جريدته التي يقرؤها بهيئة اهتمام).

مـاذا؟ كـلا، لـم أر شـارلـي في هـذه الأيام وأنا في تمام الغنى عنه . . . فهـو لايثير اهتمـامي . . . (يرفع عـينيـه) بالتـأكـيـد، يافـريـد، يلزمك من كل شيء لتصنع العـالـم! ليتني أقع فقط على أناس قادرين أن يصنعوا لي أنابيب رصـاص من قـيـاس ٥ سم . . . لكن لا! . . . ولا بأي ثمن، حـتى لتصـاب بالجنون. (استـأنف القـراءة بكآبة بعـد أن اقـتـرب من المنهل). سـقـوط طائرتـين. هذا لايدهشني. لن يمر وقت طويـل قـبل وقـوع حـوادث أخـرى، وسـوف ترى. إنهـا مـثل السـيـارات. تنبّـه جيـداً. مـجـزرة حـقـيـقـيـة. المسـألة واضـحة. مـجـزرة حـقـيـقيـة. إنهم لايتخذون الاحتياطات اللازمة. تلك هي المسألة برمتّهـا. إنهم لايتـخـذونها. (يظهـر أن فـريد يحـاول أن يروي له قـصـّة، لكنه لايصـغـي اليـه تمامـاً ويقـاطعــه). إن كـانت قـصـة مـجلّد الكتب وأرملة دونكاستر فقد سمعت بها من قبل (يعود إلى جريدته).

مسز ريد: (تدخل. إنها امرأة متوسطة في السن، ناحلة، ملتفة الجسم وحزينة تتوجه ناحية مبسط المنهل)

– . . . مساؤكَ يا فريد، . . . مساؤكَ يا مستر ستون.

ستون – . . . مساؤكِ.

مسز ريد – سأشرب قطرة ستاوت، يا فريد، ماركة غوينس إن كان لديك. ألا كم أشعر أني متعبة في هذه الأيام، إني مرهقة إلى حد الانهاك، إن صحّ القول. وليست بي من رغبة في أي طعام. فقطرة وافرة من الستاوت سوف تهدىء معدتي. كنت عند شقيقتي، مساء أمس، فهي متزوجة من رسام يعمل في الديكور ولديه عمل صغير خاص به ومزدهر ـ لقد صنعت لنا فطائر. الواقع إنها لذيذة جداً في وقتها، أما حين وصلت إلى البيت فكانت معدتي تلتهب ناراً، وثقيلة كالرصاص. (أخذت كأسها فدفعت الثمن. لكن قصتها قوطعت بنظرة استهجان من ستون الذي نطق بلفظة توت. . . توت. فنظرت إليه بعداء).

مسز ريد – ماذا يعني قولك «توت. . . توت؟».

ستون – (بتثاقل). يعني حسبي متاعبي الخاصة، يامسز ريد، ولاحاجة بي لأن تأتيني بفطائرك ومعدتك.

مسز ريد – طيّب، ليس لي من خيار بين المتاعب، على هذا الأساس ـ يامستر ستون ـ إلا أن تأتي فتركّب انبوباً جديداً للمجلى عندي.

المستر ستون – (مستاءً): إن لم أذكر ذلك على مسامعك مرّة فقد ذكرته عشرين مرة، يامسز ريد، لا أستطيع أن أركّب عندك أنبوباً جديداً من قبل أن تتوفّر لدي أنابيب جديدة. أهذا منطقي أم لا؟

المسز ريد – أو تعتقد؟

ستون – (مغتاظاً): اسمعي، إني أمضي وقتي في الجدال مع اناس مثلك.

مسز ريد – آه، كلا، ليس معي. فلديّ مشاغل أخرى.

ستون – قلت مع أناس «مثلك». وحين يتاح لي أن أمضي نصف ساعة من أمسية، كما الآن، فأود أن تكون راحة حقيقية، مفهوم؟ ومع ذلك! لايسعني أن أضع لك أنبوباً جديداً مالم أستلم أنابيب جديدة. أهذا صحيح أم لا؟

مسز ريد – (مغتمّة): لست أدري. كل ما أعرفه أنهم قاموا بتجهيز غرفة حمام كاملة مع دورة مياه وتوابعها، في بيت مسز فيرغسون، وهو تحت منزلنا بثلاثة طوابق.

ستون – لست على علم بذلك مطلقاً. فهي ليست من بين زبائني.

مسز ريد – ذلك يُرى من فوره! الأرجح أنها السوق السوداء. فكل ذلك يمضي سوياً. إنها تتوجه لتصفيف شعرها كل خمس دقائق وتقصد حانة «الجواد الأبيض». لارتشاف عصير الفواكه ممزوجاً بالجين. آه، لقد سمعت بشأنها الشيء الكثير!

ستون – طيب، أنا لم اسمع، والأمر لا يهمّني (يقرأ).

مسز ريد – (تنظر اليه بسخط، ثم يبدو عليها السأم. فْرِيدْ ترك المنهل. فتسعى إلى محاولة جديدة حيال ستون).

هل قرأت حكاية تلك المرأة التي انتحرت بالغاز، في موليسلي تيراس، لأن زوجها أخذ البيانو ليبيعه حتى يقامر في سباقات الخيل؟

ستون – (تصدر عنه غمغمة من غير أن ينظر اليها).

(يمرّ وقت تكفّ فيه مسز ريد عن الاهتمام بستون. يدخل بيرسي وإيفي راندل. إنهما ثنائي في مقتبل العمر. فهو طويل القامة نحيل ومتشائم. وهي قصيرة هشّة وَجْلَى، تعلو وجهها مسحة حزن. يقتربان من المبسط قرب مسز ريد التي تنظر اليهما باهتمام وتستدعي المعلّم باستعجال).

مسز ستون – فْريْدْ! فْريْدْ!

(تلاحق أنظار مسز ريد وآل راندل دخول فريد).

بيرسي – (كأنما يجب رداً على فريد) : كلا، الحقّ أنّي لا أرى الطقس حسناً هذا المساء.

ايفي – (بصوت خافت) : الطقس يزداد تبرّداً.

بيرسي – ماذا تشربين يا ايفي؟ غامقة أم فاتحة.

ايفي – ربما فاتحة، يابيرسي.

بيرسي – نصفيّه غامقة ونصفيّة فاتحة (يأخذ الشراب ويؤدي حركة تسديد الثمن). (تتبادل ايفي ومسز ريد ابتسامات خفيفة).

بيرسي – هاك يا ايفي. اشربي الآن ولا ترتشفي.

ايفي – (إلى مسز ريد) : هذا مايقوله لي دوماً. فانا في الواقع لا أشرب أبداً، واعرف ذلك حق المعرفة، إني ارتشف على الدوام. ولا أظنني أحب الجعة حقاً. فقد جئت لاكون بصحبة بيرسي. فكأس صغيرة من البورتو[1] هو ما أحبه بشكل خاص.

بيرسي – (يسخر منها وهو مقطب الجبين) : إليك عني أنت والبورتو! (يذهب إلى زاوية المنهل).

---

(١) نبيذ مشهور في البرتغال بشكل خاص.

مسز ريد – أنا أيضاً تعودّت أن أشرب كأساً صغيراً من البورتو بين وقت وآخر، أما الآن، وحتى لو عثرنا عليه، فقد أمسى سعره!

ايفي – هذا صحيح تماماً.

بيرسي – ما عاد يُعْثَر عليه في هذه الأيام.

ستون – (بتثاقل): يعثر المرء علي ما يشاء من البورتو. اذا كان يعرف كيف يرى بوضوح.

مسز ريد – (بعداء): آه، حقاً. إنه لنبأ متفرّد بالنسبة لي.

بيرسي – وبالنسبة لي أيضاً.

ستون – طيّب، إنه متوفر. غير أن ذلك يدخل ضمن الأعمال المخزية، مثل الكثير من الأعمال القذرة المخزية حالياً، إنه لمن الأعمال المخزية.

(يعود إلى جريدته).

مسز ريد – (تقول لإيفي): ألم أركِ في محل ماكبي، البقّال، عند التقاطع؟

ايفي – محتمل جداً. مع أني لم اعد أقصد محله منذ زمن طويل.

مسز ريد – (بعبوس): من المستحسن أن تراقبيه بدقة.

بيرسي – أليس هذا تحديداً ما قلته لك ياإيفي؟

إيفي – أجل، هذا صحيح يا بيرسي. (تقول لمسز ريد) زوجي قال لي نفس الكلام بالضبط: «من المستحسن أن تراقبيه بدقّة». ذلك ماقاله لي.

مسز ريد – لم يعد يكرر المحاولة معي. لقد فهم.

ستون – (يقول بعداء وهو يرفع نظره). «لم يعد يكرر المحاولة» ماذا؟

مسز ريد – لاتهتم بهذا الأمر. فانا لا اتحدث اليك، يامستر ستون. (تقول لإيفي) لكن راقبيه.

ستون – لكن أجنبوا أنتم، ألم تسمعوا قط بالقوانين حول التشهير؟

مسز ريد – هيّا، نحن لانتهجّم على أحد.

ايفي – (بقلق): آه، انا لم أقل شيئاً، أليس كذلك يابيرسي؟ (تقترب من بيرسي).

ستون – أنا لم أقل عنكِ أنت. إنما هي وهو. والذي اقوله إنّ هناك قوانين حول التشهير. أمّا من ناحيتي، فأنا تاجر ولدي مخزن.

مسز ريد – هذا صحيح واذا شئت سماع رأيي فيمكن وضعكَم جميعاً في ذات الجراب.

بيرسي – (بعبوس): لن يدهشني ذلك.

ايفي - (فزعة ولاهثة): الزم الصمت يابيرسي.
بيرسي - ولم ذلك؟
مسز ريد - لكن لا.
بيرسي - هذا «المسيو» يقول إنه تاجر ولديه مخزن، طيب! وانا وزوجتي، من الزبائن، الأمر هكذا. ولقد مرّ زمن كانت فيه للزبون مكانة مرموقة.
مسز ريد - أجل، حين لم يكن بوسعهم أن يعاملوك كالحثالة!
ستون - (بشيء من العنف): ليس هناك من يسعى لمعاملة أحد كالحثالة مالم يسلك سلوك الحثالة.
مسز ريد - (بغضب): يسلك سلوك الحثالة؟ ذلك هو الافتراء بعينه. وأنا المقصودة من غير سبب. تقول الحثالة، حقاً! لو أبديت اهتماماً بالمجلى لديّ على نحو ما طلبته منك...
ستون - (يقاطعها): عدنا مجدداً! ذلك ماقلته تماماً. الزبائن! إنّهم لايريدون أن يفهموا، هكذا بكل بساطة، لايريدون أن يفهموا. قد تحسبين أن بوسعي جعل أنابيب الرصاص تنبت في حديقتي مثل باقات الراوند[1]!

(١) عشب ذو منافع طبية.

ايفي – (بأمل) : لا يسعني استنشاق الرواند. لم استطع البتة.
ستون– وهل أطلب اليك أن تحبي الراوند؟
بيرسي – هذا صحيح. لقد خرجت هنا عن موضوع المناقشة، ياأيفي. وهذا ما أقوله لك على الدوام: ستخرجين أيضاً عن موضوع المناقشة.
مسز ريد – أما بعد فمن لديه الرغبة في مواصلة المناقشة. وتدور المناقشة وتدور. لقد بلغت المناقشات حد الافراط في أيامنا.
إيفي – هذا ما أقوله لبيرسي على الدوام.
(يهز ستون رأسه بغضب، وينطق بلفظة توت... توت... بصوت عالٍ ليغوص في جريدته. فترمقه مسز ريد وهي تقطب وجهها باستياء وتحاول ايفي أن تحتوي ضحكتها فينظر إليها بيرسي بقسوة).
مسز ريد – (تقول لإيفي) : وضعي أنا مماثل لوضعك لكن مع البندورة.
إيفي – حقاً؟
مسز ريد – ينتابني ذلك علي نحو مباغت إن صح القول. ذات يوم، استبدّت بي رغبة حقيقية في البندورة. وفي اليوم التالي، لم أقوى على النظر اليها إن صح القول.

لقد كان وضعي على هذا النحو بشكل دائم. ومعدتي الهشة تسبّب لي الكثير من المتاعب.

إيفي – شقيقة زوجي تعاني من الوضع ذاته، أليس كذلك يابيرسي؟

بيرسي – كانت دوريس على هذا النحو بشكل دائم منذ فترة حملها. الايجعلكم هذا سعداء؟

مسز ريد – سعداء؟ أنت تضحكني. اسمع، لو أني صادفت السعادة الآن، لما استرعت مني أيّ انتباه.

ستون – لاتشغلي بالك. فانت لن تصادفيها.

مسز ريد – (تتجاهله): وأقول هذا لك على نحو ما أفكر فيه: بل أمضي إلى حد أنهم لو سألوني إن كانت الحياة تستحق منا عناء أن نحياها، فهل تدري بماذا أجيبهم؟ ساقول: «كلا»، وبكل وضوح.

أيفي – يقول بيرسي احياناً القول ذاته، أليس كذلك يابيرسي؟

بيرسي – أحياناً. فانا لست مثل بعض الأنماط، لأني من جانبي أراقب الأشياء وأحاول التفكّر في الأمور بعض الشيء. عندئذ أرى الحياة منفِّرة مثلما تقول إيفي.

ستون – (بعبوس): إن كانت الآن بالنسبة لك منفّرة، فكيف يكون الحال معك حين تصير في مثل سنّي؟ فأنت قد بدأت للتوّ. هلاّ انتظرت قليلاً!

بيرسي – يمكن للمسألة أن تكون على نفس الدرجة من القسوة بالنسبة لي كما بالنسبة لك. وليس مايدعو لأن ننتظر ذلك.

ستون – (بعبوس أكثر على الدوام): سوف ترى، أنا أقول لك: انتظر! انتظر حتى تجرّب تسيير إحدى المصالح. وعندها يبدأ الجميع بالعواء خلفك، فترتمي أسرتك لتتلقّف كل ماستكسبه ـ زدْ أن شعرك سيتساقط واسنانك ستتخلّع وسوف تصاب بالدوالي وتنتابك آلام في الظهر.

إيفي (بزهو) – يتولى بيرسي اعباء عديدة في المخزن. ومسؤولية والدته تقع على عاتقه، ويعاني من أوجاع رهيبة في الرأس، أليس كذلك يابيرسي؟

بيرسي – أوجاع بشعة. ليس هنالك من وصف آخر. بشعة. وليس من علاج. لقد عانيت منها دوماً.

مسز ريد – (تتنهّد): وأخيراً. إن لم يكن السبب من هذا فمن ذاك.

إيفي – هذا صحيح. ومع ذلك فبوسع المرء أن ينتظر. فمن بعد الشدّة الفرَجَ.

ستون – ثم من بعد؟ لبلوغ أيّ شيء.

بيرسي – (بوقار): زوجتي أبدت ملاحظة عابرة، ليس إلا. فليس مايدعو إلى مضايقتها من أجل تفاهات على ذلك النحو.

مسز ريد – هذا شأني أنا، وهو لا يعنيك إذا ما رغبت في معرفته.

بيرسي – لاتعره أي اهتمام. فقد بدأ يومه بداية نحس، هذا الصباح.

ستون – وما أدراك؟

مسز ريد – أنا متفق معك تماماً. فهذا شخص سمج.

بيرسي – هذا شأني أنا، وهو لا يعنيك إذا ما رغبت في معرفته.

ستون – (بقرف): آه! فلنكفّ عن الاهتمام بهذا! (يحول وجهه ويأخذ جريدته. فيغرق الآخرون في صمت كئيب).

تدخل مي بيك. إنها امرأة عجوز ذات مظهر مهمل وطبع حاد وماضٍ مشبوه.

(تنظر مسز ريد اليها وهي تقترب ببطء)

مسز ريد – (دون أن تنظر إليها): كنت أعتقد أن فريد نورتون يسعى لأن يجعل من هذا المكان داراً مرموقة.

مي بيك – (تنزل إلى المنهل بقرب مسز ريد): هل أبديت ملاحظة حيالي «ياسيدتي الكونتيسة؟».

مسز ريد – (بوقار): كلا، على الاطلاق. ليس حيالك. كنت أتحدث إلى السيدة، الحاضرة هنا.

مي بيك – (بتمييز ساخر): آه! إلى السيدة الحاضرة هنا. حقاً. لدينا في الواقع طقس رائع، إلا أن النهار يقصر أكثر فأكثر! برّرّ رّ رّ رّ! (تخبط بيدها على المبسط وتصيح) هيه... !

كيف هذا؟ يافريدا! (تتابع بنظرها دخوله وتبتسم) والآن أول اهتمامك امرأة عجوزاً نالت أكثر من نصيبها من المتاعب. اريد كأساً من الغامقة ومعها كأس صغيرة مترعة بالجين... هيّا... لديك جين بكل تأكيد. ولاتتأفّف، فأنت لن تراني طويلاً في هذه المرة. فأنا لااستطيع القيام إلا بجولة، ولست أرى واحداً وسط اللُّمامة ليقدم لي كأساً ثانية.

مسز ريد – إنّ الذي قام بذلك للمرة الآخيرة قد آل به الأمر إلى المحكمة.

ستون – (بلؤم ومن غير أن يرفع نظره عن جريدته): ولم يكن ذلك لأول مرة على أي حال.

مي بيك – أنت، ليست هناك أية خطورة من أن يوقفوك بسبب السكْر.

فأنت بالغ الشّحّ! ومقتّر حتى على نفسك. ولقد كان أبوك على نفس الشاكلة.

ستون – (يرفع نظره ويتقدم): لكن حذار، أصغي قليلاً. . .
(لكن من الواضح أنّ صاحب المحل أعرب عن احتجاجه أيضاً. أمّا «ميّ» التي أخذت شرابها، فتصغي اليه وترد عليه)

مي – (تقول لصاحب الحانة): لابأس، يافريد، وياولدي. لن أزيد كلمة من بعد، اعدك بذلك. سأكون عاقلة. (تشرب بانشراح بينما يعود ستون إلى مكانه ويستردّ جريدته) أنا لست إلا عجوزاً مختلّة العقل، دفَنَتْ كافة الذين كانوا يحبونها، وأمست تضع احدى قدميها في القبر (تقترب من ايفي الفزعة). سوف يقع لك مثل هذا ياحلوتي، إذا ماعُمِّرت طويلاً، سوف يقع لك (إنهم صامتون وكئيبون. فتنقّل مي بيك نظرها فيهم من واحد لآخر). هيّا! أنا أتيت إلى هنا لأرفع شيئاً من معنوياتي! فماذا دهاكم جميعاً؟ انتم شباب وأقوياء وبصحة جيدة، أليس كذلك؟

بيرسي – (بوقار): نحن إيضاً لدينا متاعبنا. والواقع أننا كنا مستغرقين للتوّفي الحديث عليها.

إيفي – (تريد ايقافه): يابيرسي!

(إيفي وبيرسي يبتعدان قليلاً).

مي بيك – بيرسي! وهكذا فبيرسي أيضاً لديه متاعبه الصغيرة. كلاّ؟ يالبيرسي المسكين!

بيرسي – لابأس، يامي. حسبنا كلاماً على ذلك.

مي بيك – يامي! إسمع يابيرسي. أنا دفنت خمسة رجال: زوجين وثلاثة ابناء كان بوسعهم أن يبتلعوك على فطورهم. أجل، وكانوا سيطلبون كمزيد أيضاً، شيئاً من سمك الحدّوق. وأسأل عن ذلك المستر ستون الجالس هناك، فهو يعرف الأمر حقّ المعرفة (تنظر إلى ستون الذي يواصل القراءة) ألا قل، ماذا في الجريدة؟

ستون – (مغمغماً): أكداس من الأنباء المهترئة السيئة على نحو ما جرت العادة.

مي بيك – ربما حقاً. بيد أن أنبائي أنا السيئة هي التي تشغلني أنباؤهم. (تقول لإيفي) ماذا تقولين يافرختي؟

إيفي – أجل، هذا صحيح تماماً.

مي بيك – هذا صحيح تماماً، كلا؟ آه. أراهن على أن متاعبك ليست كثيرة مع بيرسي ذاك، إلا إذا كان يمسح على الدوام حذاءه الصغير الجميل بالسجاد قبل الدخول. حين كنت في مثل سنّك ياحلوتي، كنت متزوجة من رقيب في البحرية. وحين كان يعود إلى

البيت. كانوا يلاحظون ذلك بطريقة أو بأخرى، في الأسفل كانوا أم في الأعلى. لقد كنتِ في كافة الأحوال تلحظين وجود رجل في المنزل (انها تستند إلى المبسط باسترخاء وتتحدث مع نفسها). ياإلهي! وما نفع الكلام؟

لم يعد هناك من يعرفني، والجميع يستهترون بوضعي. ولِمَ وأيم الحقّ لايفعلون؟ يالمي بيك المسكينة! كان ينبغي لها أن تكون راقدة تحت التراب مثل باقي أفراد العائلة (تستدير نحو الآخرين). اليكم عني أنتم ومتاعبكم! انتظروا بعض الشيء لتصيروا مسنّين ووحيدين وتعافكم نفوس الجميع. يوم تظلون مستيقظين ليلة في اثر ليلة وجسدكم العتيق المنخور، كلّه أوجاع!

(تتمتم بينها وبين نفسها تقريباً) وحين تطمح لأن تسلي النفس بكأس صغيرة وسط صحبة مبهجة، مثلها في الأيام الخوالي السعيدة، تلقى نفسها وسط لمامة من المومياءات المهترئة الكئيبة. آه! ياإلهي، ليتني كنت ميتة ومدفونة، وتلك هي الحقيقة الحزينة. (يسود صمت مشؤوم يقطعه الدخول النشيط والحار لِهاري تيولي. وهو شاب بهندام لائق، من غير تأنق، بشوش وحسن الصحة وخفيف الظل).

هاري – (ينزل بقرب مي بيك): طاب مساؤكم جميعاً! لقد ازداد الضباب كثافة بعض الشيء هذا المساء، لكن الجو خارجاً عابق برائحة الخريف المستحبة. وهذا ما يذكّرني على الدوام بأيام فتوّتي. لست ادري لماذا، غير أنه واقع. طاب مساؤك، يامستر ستون، كيف تسير أعمالك؟

ستون – مساؤك سعيد. الأعمال كالعادة سيّئة مثل هذا الزمان!

هاري – هيّا، ليست الاحوال معك على غير مايرام، وأنا أعرف ذلك حق المعرفة. وكيف حالكِ يامسز ريد؟

مسز ريد – الوضع هو نفسه على الدوام. إنها معدتي.

هاري – (بين مي بيك ومسز ريد): إنه الطالع. لكنك تظهرين بحال أفضل. أما بعد، فأين هو فريد؟ (ينحني لينظر من صوب الباب المحجوب).

مي بيك – (وقد رفعت نظرها على نحو مباغت): لقد عرفتك، ياهاري تيولي.

هاري – لكن هذا صحيح! وأنا أيضاً عرفتك يامي. كيف حالك؟

مي بيك – هاري، ياولدي، أنا في حال بائسة كالجحيم. وهؤلاء الناس جميعاً يبدون لي موتى، أكثر منهم أحياء، فتؤثّر حالهم بي.

هاري – طيب! اشربي معي كأساً، يامي.

مي بيك – يالك من ولد رائع. لاتنصرف من فورك، ياهاري.

هاري – لن انصرف. فقد وصلت للتوّ. اطمئنّي يامي. وبعدها تقصيّن عليّ بعضاً من حكايات مستر ستون الطريفة.

مي بيك – ماذا؟ هو؟ لو كان يعرف من حكاية طريفة لاحتفظ بها لنفسه – هذا بيرسي، ياهاري.

هاري – (متوجها نحو الزوجين راندل): كيف حالك يابيرسي؟ أليست السيدة الفتية؟

ايفي – (بخجل): نعم.

هاري – سعدتُ بمعرفتكِ. هيه، يافريد. لاتدع الزبائن ينتظرون («يشاهد» فريد داخلاً). كيف حال فريد؟... لابأس. يمكن للاحوال أن تتحسن كما يمكن لها أن تسوء مئة ضعف. أتَذْكُر ذلك المساء حين وثبنا جميعاً إلى تحت المبسط؟ وحين أخرجنا ميتي

وزوجته البورجوازية وصغارها من باب الحانة الخلفي؟ نحن اليوم في مرحلة ازدهار بالمقارنة مع تلك الفترة. طيب. اعطني نصفية ممزوجة[1] ثم واحدة غامقة مع قطرة جين من أجل مي. هلم، يافريد، بوسعك أن تجد بكل تأكيد قطرة للعجوز مي. أحسنت يافريد. آه. أما للمسز بيرسي، هنا. فهات كأساً للعروس. كلا؟ موافق يابيرسي؟

بيرسي – آه! . . . لابأس. ماذا تفضلين ياايفي؟

ايفي – لا بورتو، أليس كذلك؟ حتى ولا من كأس صغير؟

هاري – بلى، بكل تأكيد! فلدى فريد شيء من البورتو في زاوية ما، أليس كذلك يافريد؟ رائع. فمن بعد دقيقة يكون كل شيء على مايرام فتبتهج قلوبنا المسكينة، فماذا ترين يامي؟

مي بيك – أنت فتى طيب ياهاري.

هاري – لاتصدقوا ذلك. (يقول لمسز ريد) ماذا تقولين يامسز ريد؟ لابد أنك سمعت حكاية أو اثنتين تحكيان عني، أليس كذلك؟

---

(١) جعة ممزوجة بعصير الليمون.

ستون – (كئيباً): إن كانت لم تسمع شيئاً، فأنا قد سمعت.
مي بيك – لم أرَ من صدق يوماً من يعمل في التمديدات المنزلية، ولن يحصل ذلك اليوم.
هاري – آه، آه. ذلك سيدفع بك للكلام من غير طلب! أنعم بمي من عجوز طيبة! (يأخذ كؤوس الشراب فيسدّد ثمنها ويعطي واحداً لمي ويحمل واحداً لإيفي. ثم يأخذ كأسه ويتوجه إلى صاحب الحانة).
هاري – الوضع على مايرام يافريد! هيّا! أنا أعرف أن هناك ماينتظرك في المنهل الآخر. («ينظرون» إلى فريد وهو ينصرف ثم يرفع هاري كأسه وكذلك تفعل مي وإيفي).
مي بيك – هاري، هذا نخب صحتك، يا ولدي.
هاري – ونخب صحتك أيضاً، يا مي.
إيفي – (بخجل): نخب صحتك.
هاري – (بحرارة): نخب صحتك أيضاً، أيتها الصديقة، وعسى أن نعيش مئة سنة! (أما وهم يشربون فقد دخل الغريب دون ضجة. لايبدو أنه «خارق» ومع ذلك فهو ليس بانسان «عادي» تماماً. إنه رجل متوسط في السن. بدين بعض الشيء. على وجهه الحليق مسحة من

الشحوب، ويرتدي ملابس غامقة. الآخرون لا يعرفونه فيظلّ في البداية متنحياً).

ستون – ومانفع ذلك؟

هاري – ماذا تقصد بقولك هذا؟

ستون – أقصد أن أقول: لماذا تريد أن تعيش مئة عام؟

هاري – آه، ها أنذا أجيبك. إنّه أسلوب في الكلام، ليس إلا. زد أن ذلك يلائمني كل الملاءمة. وذلك حتى احقّق فائدة من الحياة، فأنت تعلم...

مي بيك – لاتحدث هؤلاء الناس على الاستفادة من الحياة، اذ لايسعهم أن يدركوا فحوى كلامك.

مسز ريد – يبدو لي أنك كنت تتكلمين على رغبتك في الموت، قبل أن يصل تماماً.

مي بيك – هذا ممكن، وسوف تكونين مثلي وأنت في موقعي. أما بالنسبة لك، فأنت في واقع الأمر ميتة غير أنك لاتدرين.

هاري – هيا، يا مي، إن مسز ريد على حق، من وجهة نظرها، وهنا نحن جميعاً أصدقاء. وعلي أن أقول لكم إني ضحكت اليوم كثيراً...

ستون – (يقاطعه بغضب): دقيقة، ياهاري تيولي، أودّ، قبل أن تقص علينا واقعة طريفة، أن تجيبني على سؤال لأزداد علماً.

هاري – (بفرح): هيّا، فأنا تحت تصرفك.

ستون – ماالذي يجعلك أنت فرحاً إلى هذا الحد في الحياة؟

هاري – وأنت، ماالذي يجعلك شقياً جداً؟

ستون – أتريد مني أن أقوله لك؟

هاري – كلا، فانا على علم بذلك من قبل. (يشرب).

ستون – إن الأمور لاتسير معك بأفضل منها معنا جميعاً. فأنت تتخبّط مثلنا وسط الفوضى ذاتها. ويدهشني أن تسير أعمالك على نحو أفضل من أعمالي.

هاري – وأنا أيضاً.

ستون – إذن، فما معنى هذا في الواقع؟

بيرسي – اذا اردت رأيي - وقد قرأت مقالة بهذا الشأن في مجلة - فإنّ المسألة مسألة غدد.

إيفي – (وقد صُدمَت): بيرسي، لاتتفوّه بالفاظ نابية.

بيرسي – ليست الَفاظاً نابية. فلفظ الغدد كلام علمي.

هاري – لا أعلم شيئاً عن المسألة. فأنا لا أقرأ المجلات. لكن اليكم رأيي: نحن جميعاً في حقيقة الأمر أحياء، فكل شيء إذن على مايرام.

بيرسي – أجل، لكن إلى أين يمضي بنا ذلك؟

ستون – لايؤدي إلى أي مكان. فهو لايعرف عمّ يتكلم.

الغريب – أعذروني.

(يعتذر بلهجة هادئة لكنّها آمرة على نحو غريب. فيستديرون جميعاً وينظرون إليه)

ستون – ماهذا؟

الغريب – أعذروني لقطع كلامكم، لكنّي هنا في مهمة كما قد تعلمون، وأخشى أن أكون ملزماً بالافصاح عنها تماماً، إن لم يكن هنالك مايضيركم.

هاري – لابأس. فنحن لانمنعك. فهل تريد أن ترى السيد فريد؟

الغريب – آه! كلا، لاضرورة لذلك (ينزل بين هاري ومسز ريد). فأحدكم يؤدي الغرض تماماً. بل يلزم في الواقع أن يكون واحداً منكم.

ستون – اسمع، إن كنت تسعى لأن تبيعنا شيئاً، فلي أقل ما يمكن. لأنهم باعوني بما فيه الكفاية.

الغريب – كلا، كلا، فليس في نيتي أن ابيعكم شيئاً (ينظر إليهم جميعاً بعض الوقت).

إيفي – (بزفرة وهي تتشبث بذراع زوجها) : بيرسي، إني خائفة .

بيرسي – (غير مطمئن) : الامور بخير ياإيفي (يستجمع شجاعته كلها فينظر إلى الغريب ويقول) اليك، ماذا دهاك؟ وليس من طلب إليك الدخول إلى هنا .

الغريب – هذا واقع . لكن لاتنس أنه مكان عام .

هاري – (وقد صعد درجة وعيناه تحدقان بالغريب) : صحيح تماماً . لك الحق في أن تكون هنا مثلنا تماماً! لكن اذا كان لديك من شيء تقوله، ياصاح، فأود أن تفصح عنه حتى النهاية .

الغريب – (ملتفتاً صوب هاري) : ذلك بالضبط ما قلته لكم، لحظة اعتذرت بسبب قطع حديثكم، تذكروا . أما الآن فسوف اوضح الأمر .

مسز ريد – (تقاطعه بجفاء) : أما أنا فلست بحاجة لايضاحاتك (الغريب يستدير صوبها) ولست أرى مايدعو لأن تأتي فتزعجنا . وليس مثل هذا بمسموح به في أكثرية المناهل، وسوف اتحدث في الأمر إلى السيد فريد نورتون .

الغريب – (وهو يوالي اعتذاره): أخشى أن يكون ذلك متعذراً عليك الآن، فعلينا أن نسوّي مسألتنا البسيطة فيما بيننا من قبل أن يرجع فريد.

مسز ريد – لاتنطق بالحماقات. فهو سيأتي على الفور (تخبط بيدها على المبسط وتستدير لتنادي فريد. فيختنق النداء في حلقها وهي تنظر أمامها بذهول. فتشير إلى المكان الذي تخيلناه مدخلاً لفريد القادم من المنهل الآخر). انظروا! إنه مسطوم تماماً، أو أنه . . .

(ينظر الآخرون ذاهلين فيما تطلق إيفي صرخة هلع)

إيفي – إنه لوح من الرخام كالذي يوضع في المقابر (وتتشبث بذراع بيرسي الذي جاء لقربها).

ستون – (وهو أبعد الجميع عن المكان): إليكم! هذا مستحيل.

هاري – (بهدوء): إلا أنه حقيقي.

(ويستديرون بكل بطء صوب الغريب الذي يقابلهم ببسمة اعتذار)

مي بيك – لقد أدركت من فوري أنك مشعوذ كبير.

الغريب – على رسلك يامي بيك.

مي بيك – (تقاطعه بجفاء): ومن قال لك اسمي؟

الغريب – أعرف أسماءكم جميعاً. فذلك ضروري لعملي (يشير إلى كل واحد منهم على التوالي) ادوارد ستون، هاري تيولي، بيرسي راندل، ايفي راندل، بير ثاريد، كاثلين بيك الشهيرة باسم مي بيك. أذلك صحيح أم لا؟

إيفي – (باستعجال): بيرسي، هيا بنا.

بيرسي – انتظري لحظة ثم نمضي من بعد.

الغريب – لايسعكم الانصراف من قبل أن انتهي.

ستون – (يهب واقفاً وكانه على استعداد للانصراف): سأذهب حين ارغب.

الغريب – لاأعتقد ذلك (يتوقف ستون وينظر إلى الغريب).

مي بيك – إنه أحد أفراد سلك الشرطة، تلك هي حقيقته.

هاري – كلا، على الاطلاق (يقول للغريب) طيب اخبرنا ما حقيقة الأمر.

الغريب – الحق أن الأمر بسيط جداً. فبعض الناس يموتون يومياً، أليس كذلك؟ وليس العدد نفسه كل يوم، وهذا طبيعي، لكن لابد من تأمين عدد وسطي. وليس من شك في أنكم قد تساءلتم كيف يتم ذلك، ومن الذي يختار الذين يجب أن يموتوا. ومن الشائع القول: «لقد دخل الموت إلى ذلك الكنزل» أو «لقد أصاب الموت

ذلك الرجل»، لكن من المؤكد أن الموت لايستطيع القيام بكل شيء من ذاته. وأن من الضروري وجود مايشبه المنظمة. وأنا ممثلها في القطاع الشمالي الشرقي رقم (2) من لندن (يبسط أمامهم خريطة أو خريطتين كبيرتين موشحتين بالسواد ثم يتركهما لهم. فيأخذون بتفحصهما وتناقلهما من يد إلى يد وهم ينظرون إلى الغريب بصمت وذهول. فيواصل كلامه بكل هدوء وبمنتهى الراحة وهو يعتذر تقريباً) وها إن الدفعة المطلوبة تحددت منطقتها في قطاعي. ففي ساعة مبكرة من هذا الصباح، وهو بالتأكيدالوقت الأكثر ملائمة، اخترت ثمانية أشخاص وأثنين من بعدهم وقت العصر، غير أني عانيت بعض المتاعب فيما بعد بشأن صبي صغير، إنه ولد لطيف بلغ لتوّه الرابعة من العمر. وهكذا صرت مستعداً للعودة إلى البيت حين تذكرت على نحو مباغت أن الدفعة المطلوبة مازال ينقصها شخص واحد. وهذا مادعاني للدخول إلى هنا. كان بوسعي طبعاً أن أختار واحداً من بينكم، على نحو ما أفعل عادة، لكني فكرت في أنه سيكون تغييراً مستحباً سوف يروق لكم اذا ماتركت لكم هذه المرّة حرية تقرير من الذي سيجري اختياره.

ايفي – (لاهثة): ليموت هذا المساء؟

الغريب – (بهدوء): بالتأكيد. ولاتنسوا أنّ عليكم جميعاً أن تموتوا ذات يوم. فليست المسألة كأنّ البعض سيموت والبعض الآخر لا، لأنها ستكون فكرة غير مقبولة. المسألة لاتعدو ببساطة أن يتقدم أحدكم فيودي خدمة للاخرين ولي أيضاً، عن طريق تسبيق دوره.

ستون – لست أصدّق كلمة واحدة من كل ذلك، لكني سمعت بما فيه الكفاية وها أنا ذاهب (فيضع قبعته ويزرّرسترته بهيئة تحد).

الغريب – لقد قلت لكم: ما من أحد يستطيع الخروج قبل أن يكون كل شيء قد انتهى.

ستون – حاول اذن أن توقفني.

الغريب – طيب. حاول أن تخرج. اذ لايمكن بعد كل شيء القيام بعمل مثل هذا من غير التمتع بسلطة ما. وليس من يستطيع القول إني لم اسع لجعل المسألة سهلة ومقبولة من الجميع. وقد توجب علي سطم أبواب هذا المنهل لأن علينا تسوية كل ذلك فيما بيننا، من غير أن يقاطعنا أحد.

ستون – (يشير إلى الباب): ذلك الباب ليس محظوراً وسوف اعبره بخطواتي هذه (يتوجه صوب الباب، لكنه يتوقف بغتة وهو يتلّوى من الألم) إنه ظهري اللعين. لاأقوى على القيام بخطوة أخرى.

الغريب – لقد أُصِبْتَ في نقطة الضعف. من الطبيعي أن نكون على اطلاع واسع (يقول للآخرين). أما الآن، وحتى لانبدّد المزيد من الوقت، فهل من يرغب أيضاً في المحاولة؟

(يعود ستون إلى مكانه بمظهر من الخيبة)

مسز ريد – (مرتعدة وغاضبة): أجل، أنا، اني ذاهبة.

الغريب – (ببرود): اعتقد أنها المعدة بالنسبة لك. حاولي فقط وعندها تعرفين.

(تنطلق مسز ريد راكضة لكنها تتوقف على بعد ثلاث أو أربع خطى من الباب بسبب ومضة ألم في معدتها. فتصرخ متوجّعة وتنثني على نفسها. لاينبغي «الافراط» في ذلك اثناء هذا المشهد القصير).

مي بيك – (تغمغم وتنزل خطوة): الجحيم والدينونة. الحق إنّه الشيطان بعينه. فلا يقول لنا من شيء سوى الحقيقة.

(ينهي ستون شرابه وهو يرتعد. وتعود مسز ريد إلى مكانها وهي تنشج. والكل ذاهلون ينظرون إلى الغريب).

الغريب - طيب، هذا هو الوضع. أما الآن فأطرح السؤال: أيّ واحد من بينكم؟

ستون - حسن جداً. المسألة سهلة (يشير بشكل درامي إلى مي بيك الملتفتة صوبه).

مي بيك - (ذاهلة): ماذا! أنا؟ (وتصعد خطوة إلى مستوى هاري).

ستون - نعم، أنت (يقول للغريب بحرارة) قبل أن تدخل بقليل وقبل أن يدفع هاري تيولي ثمن كأسها الثانية، كانت تتظلّم وتئنّ لأنّها عجوز ووحيدة. بل كانت تقول إنها تودّ لو أنها ماتت ودفنت.

بيرسي - هذا صحيح. وأنا سمعتها.

مي بيك - (ساخطة): لكن هاكم! لقد انفلتوا جميعاً ضد امرأة مسكينة عجوز لم تلحق البتة من أذى بأحد، والتي قامت بسرد بعض الحماقات لأنها لم تكن تملك ثمن كأس ثانية.

مسز ريد – إلا أننا جميعاً سمعناك! كنت تقولين إنه لم يبق لديك من أحد في العالم وإنه كان عليك أن تكوني ميتة ومدفو . . .

مي بيك – (تقاطعها مغتاظة) : حسبك أنت! كنت أحكي ترّهات . لكن ماذا تقولين لو تكلمنا عليك؟ فانتْ دوماً تعودين في حديثك حول معدتك وتقولين إنّك لم تعرفي قط أدنى متعة . فبماذا يفيدك أن تعيشي ، وأنا أود حقاً أن أعرف ذلك؟

مسز ريد – (بغضب) : أنا اصغر منك بخمسة وعشرين عاماً وأنت قلت بنفسك إن احدى قدميك قد أمست في القبر .

مي بيك – نعم ، لكن القدم الأخرى ماتزال حيّة تماماً ، وبجهد قليل استطيع استخدامها لأرفس . . .

هاري – (يتقدم خطوة منها) : هيا ، دعي عنك ، يامي . فليست هذه طريقة في السلوك . علينا أن نلتزم الهدوء .

مي بيك – (توشك أن تبكي) : لابأس ، ياهاري ، أنت ولد طيب . لكن امنعهم من التهجّم علي ، فانا امرأة مسكينة عجوز لم تقع عينها على كاهن ، ولا على كنيسة من

الداخل، منذ ثلاثين سنة. وهي ليست بعد مستعدة لأن تموت. (تقول للغريب): الأمر إلزامي هذا المساء أليس كذلك؟

الغريب - (وهو ينظر إلي ساعته): أجل، وبعد قليل. فلا أستطيع اعطاءكم أكثر من ربع ساعة. وبعد هذا الموعد، سيكون هنا لاصطحاب واحد منكم.

بيرسي - (متضايقاً): ومن «سيكون»؟

الغريب - لافائدة من التحديد. إنه واحد من رؤسائي. إنها منظمة واسعة (ثم يصعد خطوة حتى يتكلم من جديد).

بيرسي - فهمت. طيب...

إيفي - (تستحثه): لاتتدخل يابيرسي.

بيرسي - كنت أنوي فقط أن أقول: إنه ينبغي أن يكون واحداً من أولئك الثلاثة

(فيشير إلى مي بيك ومسز ريد وستون).

مسز ريد - آه. هل... لو تكلمنا قليلاً عليك!

ستون - ذلك بالضبط ماقصدت أن أقوله. فمن ذا الذي قال لنا إن الحياة لاتستحق أن تعاش؟

بيرسي - (بحميّة): إنها هي، مسز ريد. قالت لو أن السؤال طرح عليها لأجابت: كلا إنها لاتستحق أن تعاش...

مسز ريد – (تقاطعه): في تلك اللحظة قالت زوجتك إن ذلك هو ماتردّده أنت دوماً.

إيفي – (مضطربة): لم أقل «دوما». قلت «أحياناً». هذا صحيح. إنّي اؤكّد لكم.

ستون – قال إنّ الحياة تثير فيه التقزّز. ونحن سمعناه.

إيفي – (يائسة): ليست تلك إلا طريقة في الكلام. أنا أعرفه. فهو فتيّ ونحن قد تزوجنا لتونّا وفرشنا بيتاً صغيراً جميلاً.

ستون – لايبدو أن ذلك يسبب له الكثير من المتعة.

إيفي – بلى وبكل تأكيد فهو مفتون بذلك تماماً. لكنها فقط طريقته في الكلام! (تقول بجرأة الخجولين) لقد سردتَ أنتَ أشياء عديدة وأسوأ بكثير! حين كلمتنا على ما ينتظرنا.

ستون – إنها مجرد طريقة في الكلام. فأنا لديّ مصلحة. ولدي مسؤوليات. وإذا ما تواريت فسوف يسبب ذلك تغييراً كبيراً لدى بعض الناس. أما لو كان واحداً منكما، أنتما الصغيرين، فما أهمية ذلك؟ إنه سوف يجنّبكم الكثير من المتاعب.

بيرسي – طيب، وأنتَ أيضاً. إنها مناسبة لتتجنّب البعض منها. كلا؟

ستون – فلنتكلم بتعقّل.

مسز ريد – لابأس. انه يتكلم بتعقل. لقد كنت بسهولة أسوأ من النحس، ياتيد ستون. فديدنك الدائم أن تتذمّر، وأن تتذمّر، وأن تتذمّر.

ستون – (صارخاً تقريباً): لابأس، أنا أتذمّر. لكني اريد تحديداً أن استطيع مواصلة التذمّر، مفهوم؟

مسز ريد – على كل حال فأنت لست وحيداً، فعلى مي بيك أن تولّي، فليس لديها من مبررات للعيش.

مي بيك – (معْوِلَةً تقريباً): بل لدي أكثر مما لديك على الاطلاق، يافردة الحذاء المهترئة البائسة والانانية.

الغريب – (بسلطة بارعة): صمتاً! (يسود صمت تام. فينظرون إليه): لقد خيبتم أملي. لو أني تبينت أن كل ذلك سيؤول إلى مثل هذا المشهد الفاجع. لكنت اخترت طريقة أخرى. فقد اعتقدت أنه سيكون من اليسير على واحد منكم أن يقترح نفسه كمتطوع.

ستون – (بكآبة): لست أرى من الذي ادخل هذه الفكرة الغبية إلى ذهنك.

مسز ريد – وأنا أيضاً.

الغريب – يتراءى لي أن ذاكرتكم ضعيفة، أليس كذلك؟ اذن، لابأس. (ينظر اليهم برصانة وسيطرة ويؤدّي بيده حركة كبيرة باتجاه معاكس لعقارب الساعة. ويمكن أن يرافق ذلك ضجيج آلي).

هاري – ماذا تفعل؟

الغريب – أقوم بتأخير الساعة. أما الآن فاسمعوا أنفسكم (على الممثلين أثناء هذا المشهد أن يظهر عليهم مايشبه التنويم المغناطيسي).

هاري – (كما قال من قبل): . . . وعسى أن نعيش مئة سنة!

ستون – ومانفع ذلك؟

هاري – ماذا تقصد بقولك هذا؟

ستون – أقصد أن أقول: لماذا تريد أن تعيش مئة عام؟

هاري – آه، ها أنذا أجيبك. إنه أسلوب في الكلام، ليس إلا. زد أن ذلك يلائمني كل الملاءمة. من أجل أن احقّق فائدة من الحياة، فأنت تعلم . . .

مي بيك – لاتحدث هؤلاء الناس على الاستفادة من الحياة، إذ لايسعهم أن يدركوا فحوى كلامك.

مسز ريد – يبدو لي أنّك كنتِ تتكلمين على رغبتك في الموت، قبل أن يصل تماماً.

مي بيك – هذا ممكن، وسوف تكونين مثلي وأنت في موقعي. أما بالنسبة لكِ، فأنت في واقع الأمر ميتة غير أنّك لاتدرين.

هاري – هيا، يامي، إن مسز ريد على حق، من وجهة نظرها، ونحن هنا جميعاً أصدقاء. وعلي أن اقول لكم إني ضحكت اليوم كثيراً. . .

ستون – (يقاطعه بغضب): دقيقة، ياهاري تيولي. أود، قبل أن تقصّ علينا واقعة طريفة، أن تجيبني على سؤال لازداد علماً.

هاري – (بفرح): هيا، فأنا تحت تصرّفك.

ستون – ما الذي يجعلك فرحاً إلى هذا الحد في الحياة؟

هاري – وأنت، ما الذي يجعلك شقياً؟

ستون – أتريد مني أن أقوله لك؟

هاري – كلا، فأنا على علم بذلك من قبل (يشرب).

ستون – إنّ الأمور لاتسير معك بأفضل منها معنا جميعاً. فأنت تتخبّط مثلنا وسط الفوضى ذاتها. ويدهشني أن تسير أعمالك على نحو أفضل من أعمالي.

هاري – وأنا أيضاً.

ستون – اذن، فما معنى هذا في الواقع؟

بيرسي – إذا أردت رأيي - وقد قرأت مقالة بهذا الشأن في مجلة - فإنّ المسألة مسألة غدد.

إيفي – (وقد صُدمَت): بيرسي، لاتتفوه بألفاظ نابية.

بيرسي – ليست ألفاظاً نابية. فلفظ الغدد كلام علمي.

هاري– لاأعلم شيئاً حول المسألة. فانا لاأقرأ المجلات. لكن اليكم رأيي، نحن جميعاً في حقيقة الأمر أحياء، فكل شيء اذن على مايرام.

بيرسي – اجل، لكن إلى أين يمضي بنا ذلك؟

ستون – لايؤدي إلى أي مكان. فهو لايعرف عمّ يتكلّم.

الغريب – (واضعاً كفيّه على المبسط وهو ينحني بعض الشيء). أعذروني - وفي تلك اللحظة دخلت أنا. طيب. هاأنتم قد سمعتم (يحدّق فيهم متملياً برصانة ويلقي نظرة على ساعته). استطيع أن امنحكم خمس دقائق أيضاً. فان لم تكونوا قادرين، بعد هذا التمديد، على تعيين واحد من بينكم، فسوف أتولّى أنا الاختيار بنفسي (ويصعد درجة بكل هدوء).

إيفي – (بجرأة): معه حق. فنحن جميعاً. في المعمعة، باستثنائه هو، وأقصد المستر تيولي. فذلك حقاً ماقد قلناه. أي كما لو أنّ الموت بالنسبة للجميع سيان (تترد هنيهة ثم تنظر إلى الغريب بقلق) ألا يسعنا أن نكون اثنين بدلاً من واحد؟ أقصد لو كنا أنا وبيرسي معاً لوجدت الأمر أقل رهبة.

بيرسي – (مغتاظاً): هيه، رويدك، ياإيفي. لماذا تنوين وضعنا في المقدمة؟

الغريب – (بمواجهة مسز ريد والزوجين راندال): اثنان، ذلك مستحيل. واحد فقط.

مسز ريد – (مرتعبة): لاتنظر إليّ هكذا.

هاري – (يقول للغريب): طيب. ليس من طائل وراء المزيد من المناقشة.

(يستدير الغريب ببطء صوب هاري)

إيفي – (ذاهلة): تقصد أن تقول أنت، يامستر تيولي، إنك تقدم نفسك للذهاب؟

هاري – اجل. ولم لا؟

إيفي – غير أنك أنت الوحيد الذي . . .

هاري – أعرف وماذا بعد؟ لقد أفدت من الحياة وعلينا جميعاً أن نموت ذات يوم. . .

إيفي – هذا ليس بعدل.

بيرسي – الزمي الصمت، ياإيفي.

إيفي – (بعزيمة): كلا، لن اسكت. بل أقول: ليس بعدل على الاطلاق أن يكون هو. كلا، يابيرسي. وسوف يتولاني إحساس بالعار طول حياتي. . .

هاري – (ينظر اليها مبتسماً): لاتحمّلي نفسك الهموم على هذا النحو، ياإيفي. بل استعيدي مرحك، واسعَيْ لأن تجعليه، هو أيضاً، أكثر مرحاً. (يشير إلي الغريب) أما الآن فانظروا اليه. (ينظرون إلى الغريب الذي يبتسم بفرح) لقد نال ما ابتغاه، ولديّ انطباع أنه كان يعرف على الدوام أنني أنا المطلوب.

إيفي – هل هذا صحيح؟ (تتوجه بسؤالها للغريب).

الغريب – (ينزل إلى المبسط): لحظة (يخرج من جيبه الداخلي هاتفاً صغيراً أبيض ويبدأ التحدث بواسطته.) أجل، ياسيدي. هنا القطاع الشمالي الشرقي من لندن رقم (2) كل شيء أنجز، ياسيدي. بالضبط، ياسيدي. إنه هاري تيولي. (يعيد الهاتف ويبتعد خطوة وهو يبتسم

في وجه إيفي وهاري) نعم، في الواقع، فقد كانت لدي فكرة حول ذلك. فالذين لايجرؤون على العيش، لايحبون الحياة، لانهم لايعرفون الإفادة منها. لكن ذلك لايعني أنهم يرغبون في الموت. فالموت يسبب لهم خوفاً أكبر أيضاً. وهذا هو السبب الذي جعلني أخمن أن هاري تيولي، وهو الذي يحب الحياة، سوف يرضى بأن يفارقها.

إيفي – غير أني اكرر القول أيضاً: ليس هذا بعدل وأنا أشعر بالمذلة، ولولا أنّ عليّ أن أرعى بيرسي . . .

هاري – سوف تتوصلين إلى أن تجعلي منه رجلاً، ياإيفي. ثم انسَيْ كل ماعدا ذلك. (يبدأ بالنظر اليهم واحداً في إثر واحد). لابأس، لكن احرصا، يامستر ستون ويامسز ريد، على أن لايقوى صاحبنا، في المرة القادة، على التقاط أحاديثكما.

(تبتعد مسز ريد خطوة)

ستون – لن يراني أحد من بعد قادماً إلى هنا.

الغريب – (بقسوة): إن الأمكنة التي يصادفني الناس فيها يمكن أن تباغتك.

هاري - اعتني بنفسك جيداً، يا مي.

مي بيك - (تتمتم): فليباركك الله، يا هاري. كان رأيي على الدوام أنّك ولد طيّب.

هاري - وأنت يابيرسي، اسهر على راحة زوجتك الفتيّة. فانت محظوظ. إنها تساوي عشرة من أمثالك.

إيفي - (بخجل): آه، كلا! لكن شكراً على ماقلته له. وأنا لن أنساك أبداً، أبداً. (تتوجه اليه فتعانقه بحرارة ورفق ثم ترجع وهي تبكي فتسند رأسها على كتف بيرسي. فيحيطها بذراعه وينظر إلى الآخرين بشيء من التحدي).

هاري - وأخيراً فإن هذا لرائع، ياصاحبّي! ابقيا هكذا دائماً (ينظر إلى الغريب) لابأس. أحسب أننا جميعاً على استعداد للوثبة الكبرى. فوداعاً لـ «الوردة والتاج».

الغريب - (برصانة): أما اذا كانت الحياة وردة فالموت عندئذ هو التاج.

(فيما هو ينظر إلى المدخل المفترض
للمنهل الثاني، يقول بصوت قوي)
حسن جداً، ياسيدي.

(ينظرون جميعاً في ذلك الاتجاه. وجميعهم، باستثناء هاري الذي يظل مستنداً للمبسط، والغريب طبعاً وقد صعد نحو الصدر، يتراجعون مذعورين. على النور المواجه أن يكون أشدّ وأن يوجّه نحو هاري الذي يبدو مذعوراً هو أيضاً، وهو يراقب دخول شيء ما أو دخول أحد ما. لكنه يكفّ بغتة عن اتخاذ مظهر الخوف فيبتسم بهدوء وكأنّه يشاهد صديقاً. وعندها يحني رأسه ببطء. أما الآخرون في الخلف فيبدو عليهم الهلع ويصابون بالذهول. وبينما الغريب يحني رأسه هو أيضاً ويبتسم، ينسدل الستار بكل هدوء).

- النهايــة -

جان بول سارتر

المسرحية الثالثة عشرة

المومــس الموقــرة

مسرحية ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Jean-Paul Sartre

La Putain Respectueuse

إن صحّ أنّ الإنسان حرّ في وضعٍ معيّن وأنّه يختار نفسه اختياراً حراً في وضع معيّن، وأنّه يختار نفسه بنفسه في هذا الوضع وعبره، عندئذٍ ينبغي أن نعرض في المسرح لأوضاع بسيطة وإنسانية ولحريات يجري اختيارها في تلك الأوضاع . . .

وإنّ خُلُقاً في طور التشكّل، لحظة اختيار القرار الحرّ، الذي يلزم أخلاقاً وحياة بحالها، هو الشيء الأشد تأثيراً والذي يقوى المسرح على عرضه . . .

الإهداء : إلى ميشيل وزيت ليريس

جان بول سارتر

الشخصيات:

ليزي

الزنجي

فْريد

جون

جيمس

السيناتور

الرجل الأول

الرجل الثاني

الرجل الثالث

عرضت مسرحية «المومس الموقّرة» على مسرح أنطوان في باريس بإدارة سيمون بيريو في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٨، إخراج جوليان بيرتو وديكور إميل بيرتان، مع إيلينا بوسيس في دور ليزي وحبيب بن عليا (الزنجي)، وايف فنسان (فريد)، ورولان بايي (جون)، وميشيل جوران (جيمس)، وروبرت مور (السناتور)، وأوجين دوران (الرجل الأول)، ومايك (الرجل الثاني)، وكلود ريجي (الرجل الثالث).

اللوحة الأولى

غرفة في مدينة أميركية من مدن الجنوب. جدران بيضاء. أريكة. إلى اليمين، نافذة، إلى اليسار باب (غرفة حمام). في الصدر، بهو صغير يؤدي إلي باب المدخل.

المشهد الأول

ليزي، ثم الزنجي

قبل أن يرفع الستار، يملأ المسرح دويّ عاصفة. ليزي وحدها، تلبس قميصاً، وتدير مكنسة كهربائية. يرن الجرس. تتردّد، وتنظر ناحية باب غرفة الحمام. يرنّ الجرس مجدّداً. تُوقف المكنسة وتذهب لتشقّ باب غرفة الحمام.

ليزي (بصوت خافت): الجرس يرنّ، لا تخرج. (تذهب فتفتح. يظهر الزنجي في إطار الباب. الزنجي ضخم الجثة. طويل القامة أبيض الشعر. يقف منتصباً). ما هذا؟ لا بدّ أنّك أخطأت العنوان. (فترة). ولكن ما الذي تبتغيه؟ هيا تكلّم.

الزنجي (متوسلاً): أرجوك، يا سيدتي، أرجوك.

ليزي: ماذا تريد؟ (تنظر إليه بتمل). تريّث. أنت الذي كنت في القطار؟ كيف عثرتَ على عنواني؟

الزنجي: بحثت عنه يا سيدتي. بحثت عنه في كلّ مكان.
(يقوم بحركة وهو يهمّ بالدخول). أرجوكِ.

ليزي: لا تدخل. فأحدهم عندي. لكن ما الذي تريده؟

الزنجي: أرجوكِ.

ليزي: لكن ماذا؟ ماذا؟ هل تريد مالاً؟

الزنجي: كلا، يا سيدتي. (فترة). أرجوكِ، قولي له إنّني لم أرتكب ذنباً.

ليزي: لمن؟

الزنجي: للقاضي. قولي له، يا سيدتي. أرجوكِ، قولي له.

ليزي: لن أقول شيئاً أبداً.

الزنجي: أرجوكِ.

ليزي: لا شيء على الإطلاق. حسبي ما لديّ من متاعب في حياتي الخاصة. ولا أريد أن أتحمّل أعباء الآخرين. امضِ.

الزنجي: أنتِ تعرفين أنّي لم آتِ ذنباً. هل أتيتُ ذنباً؟

ليزي: أنت لم تأتِ ذنباً. لكنّي لن أذهب إلى القاضي. فنفسي تعاف القضاة ورجال الشرطة.

الزنجي: خلّفت زوجتي وأولادي، ودرت الليل بطوله على غير هدى. لقد أعياني الإرهاق.

ليزي: غادرِ المدينة .

الزنجي: إنّهم يترصّدون في المحطات .

ليزي: من هم الذين يترصّدون؟

الزنجي: البيض .

ليزي: أيّ بيض؟

الزنجي: كلّ البيض . ألم تخرجي من بيتك ، هذا الصباح؟

ليزي: كلا .

الزنجي: الناس في الشوارع بكثرة . فتياناً ومسنّين . متقاربين من غير ما معرفة .

ليزي: وما معنى ذلك؟

الزنجي: معنى ذلك أن أظلّ هائماً على وجهي إلى أن يمسكوا بخناقي . فحين يشرع البيض بتبادل الحديث دون سابق معرفة ، يكون هناك زنجيٍ على وشك أن يُقتل . (هنيهة) قولي إنّني لم أفعل شيئاً ، يا سيدتي . قولي للقاضي . قولي لرجال الجريدة . فقد يطبعون ذلك . قولي ، يا سيدتي ، قولي! قولي ذلك!

ليزي: لا ترفع صوتك . عندي أحدهم . (هنيهة) . لا تعتمد عليّ ، بشأن الجريدة . فالوقت غير ملائم للَفت الأنظار إليّ . (هنيهة) لكن أعدك بأن أقول الحقيقة إن أَرغموني على الإدلاء بشهادتي .

الزنجي: ستقولين لهم إنّني لم آتِ ذنباً؟
ليزي: سأقول لهم.
الزنجي: أتقسمين على ذلك، يا سيدتي؟
ليزي: أجل، أجل.
الزنجي: بالله الذي يرانا؟
ليزي: حسبك! أغرب عن وجهي، وإلى جهنّم. لقد وعدتك. وينبغي أن تقنع بذلك. (هنيهة) لكن امضِ! هيا امضِ!
الزنجي (بشكل مباغت)**:** أرجوك خبّئيني.
ليزي: أخبّئك؟
الزنجي: ألا تقبلين، يا سيدتي؟ ألا تقبلين؟
ليزي: أخبّئك! أنا؟ هاك. (تصفق الباب في وجهه). حسبي متاعب. (تستدير صوب غرفة الحمام) بوسعكَ أن تخرج.

(يخرج فْريد من غرفة الحمام بالقميص من غير طوق ولا ربطة عنق).

المشهد الثاني
ليزي . فْريدْ

فْريدْ: من هذا؟

ليزي: لا شيء.

فْريدْ: ظنّنت أنها الشرطة.

ليزي: الشرطة؟ وهل لديك مشكلة ما مع الشرطة؟

فْريدْ: أنا، كلا. ظننت أنّ الأمر يتعلّق بك.

ليزي (مغتاظة): لكن حاذر! فأنتا ما أخذت فلساً من أحد قط!

فْريدْ: ولـم تكن لكِ علاقة بالشرطة على الإطلاق؟

ليزي: ليس من أجل سرقات على كل حال.

تستعجل بتشغيل المكنسة فيعود دويّ العاصفة

فْريدْ (حانقاً بسبب الضجة): إيه!

ليزي (تصيح لإسماع صوتها): ما الأمر، يا عزيزي؟

فْريدْ (صارخاً): إنّك تثقبين أذنيّ.

ليزي (صائحة): لن يطول الأمر. (هنيهة). هذه عادتي.

فْريدْ (صارخاً): كيف عادتُكِ؟

ليزي: هكذا. في اليوم التالي صباحاً لا أقدر أن أحتمل: ينبغي أن أستحمّ ثم أشغّل المكنسة الكهربائية.

(تترك المكنسة جانباً).

فريد (يشير إلى السرير): هيّا غطّيه، ما دمت تقومين بالترتيب.

ليزي: ماذا؟

فريد: السرير. قلت لك غطيه. فرائحة الخطيئة تتصاعد منه.

ليزي: الخطيئة؟ من أين لك هذا الكلام؟ هل أنت قسّ؟

فريد: كلا. لماذا؟

ليزي: كلامُك يشبه الكتاب المقدس. (تنظر إليه). كلاّ، لستَ قساً: أنت تفرط في التأنّق. أرني خواتمك. (تقول بإعجاب) آه، ما هذا! ما هذا! أنت غني؟

فريد: نعم.

ليزي: غنيّ جداً؟

فريد: جداً.

ليزي: هذا فأل خير. (تحيط عنقه بذراعيها مقرّبة شفتيها منه.) أرى من الخير للرجل أن يكون غنياً. فهذا يمنحه الثّقة.

(يتردّد في أن يقبّلها ثم يشيح بوجهه.)

فريد: غطّي السرير.

ليزي: طيّب، طيّب، طيّب! ها أنَذي أغطّيه. (تغطّيه وتضحك وحدها) «رائحة الخطيئة تتصاعد منه». ما كنت لأكتشف ذلك. لكن انظر، إنّها خطيئتكَ،

يا حـبـيـبي . (تبـدر حـركـة عن فْريدْ) . نعم، نعم، . وخطيئتي أيضاً . لكنّ ضميري مثقل بالكثير منها . . . (تجلس على حـافـة السـرير وترغـم فْريدْ على الجلوس بجوارها) . تعال، تعال اقعدْ فوق خطيئتنا . لقد كـانت خطيئة حلوة، أليس كـذلك؟ خطيئة صغيرة مقبولة . (تضـحك) . لكن لا تغضّ الطرف . هل أُخـيـفُكَ؟ (يضـمّها فْريدْ بعنف إليـه) . لقـد آلمتني! لقـد آلمتني! (يرخـيـهـا) . أنتَ غـريبُ الأطوار . لا تبـدو من أهل الخير . (هنيهة) . قل لي ما اسمك . ألا تريد . لو تدري كم يضـايقني ألا أعـرف اسـمك . سـتكون المرة الأولى حقـاً . من النار جـداً أن يصرّحوا لي بكنيتهم، وهذا ما أتفهّمه . أمـا الاسم! كيف تريدُني أن أميّز بعضكم عن البعض الآخر ما مت لا أعـرف أسمـاءكم! قله لي . قله لي، يا حبيبي .

فْريدْ: كلا .

ليزي: ستكون إذن السيد بلا اسم . (تنهض) . انتظر . سوف أنهي التـرتيب . (تحـرّكُ بعض الأشـيـاء من أمـاكنهـا) . هاك . هاك . كلّ شيء بنظام . فـالكراسي تتحلّق حول المائدة : الوضـع هكـذا أكـثـر تميّزاً . ألا تعـرف تـاجـر

لوحـــات؟ بودّي لـو أعلّق صـــوراً على الحـائط. لديّ صورة في حقيبتي. صورة جميلة. اسـمها: «الجرّة المكسـورة». إنّهـا تمثّل فـتاة مسكينة كسرت جرّتهـا. الصورة فرنسية.

فريد: أيّة جرّة؟

ليزي: لست أدري. جرّتها. كان لديها جرّة بكلّ تأكيد. بودي لو ألقى جدّةً عجوزاً كي تحيكَ لها حميلةً. فتُحيكها أو تروي حكاية لأحفادها. آه. سأزيح الستائر وأفتح النافذة. (تقوم بذلك). ألا ما أجملَ الطقس! هاكَ نهاراً يبدأ. (تتمطّى). آه كم أنا على ما يرام: فالطقس جميل، وقد استمتعت بالاستحمام ومارست الحب على أمتع صورة. فكم أنا بخير، كم أشعر أنّي على أحسن ما يرام! تعال انظر الإطلالة من عندي، تعال! إنّها إطلالة جميلة. لا شيء غير الأشجار، وهذا يوحي بالثراء. أتدري كم كنت محظوظة: لقد عثرت على غرفة في الأحياء الجميلة من الوهلة الأولى. ألا تريد أن تأتي؟ يبدو أنّك لا تحب مدينتك؟

فريد: أحبّها من نافذتي أنا.

ليزي (على نحو مباغت): أليست رؤيةُ زنجيٍ ساعة النهوض من النوم مجلبةً للنحس؟

فريد: لماذا؟

ليزي: لأنّي . . . هناك واحد يمشي على الرصيف المقابل .

فريد: إنّ رؤية الزنوج لمشأمة دائماً . فالزنوج هم الشيطان . (هنيهة) . أغلقي النافذة .

ليزي: ألا تريد أن أُهوّيَ الغرفة؟

فريد: قلت لك أن تغلقي النافذة . طيّب . وأسدلي الستائر . أضيئي مجدداً .

ليزي: لماذا؟ هل ذلك بسبب الزنوج؟

فريد: غبيّة .

ليزي: الجوّ مشمس وجميل جداً .

فريد: لا أريد شمساً هنا . أريد أن تظلّ غرفتك على نحو ما كانت في هذه الليلة . قلت لك أغلقي النافذة . فسوف أجد الشمس خارجاً .

(ينهض فيتقدّم نحوها وينظر إليها .)

ليزي (بشيء من القلق) **:** ماذا دهاك؟

فريد: لا شيء . أعطني ربطة عنقي .

ليزي: إنّها في غرفة الحمام . (تخرج . فيفتح فريد جرارات الطاولة بسرعة ويبحث . تدخل ليزي بربطة العنق) . هاكها! تريّث . (تعقدها له) . إعلم أنّي لا أتعامل كثيراً

كثيراً مع زبون عابر لأنّ ذلك يستدعي رؤية عدد زائد من الوجوه الجديدة. وأنا أطمح لأن أكون عشيقةً لثلاثة رجال أو أربعة من سنٍّ لا بأس بها. واحد يوم الثلاثاء وواحد يوم الخميس وواحد للعطلة الأسبوعية. هذا ما سأقوله لك: أنت فتيّ بعض الشيء لكنك من النوع الجاد، وقد تحدوك الرغبة أحياناً. فكّر في الأمر! إليك! إليك! أنت جميل كالقمر. عانقني يا صغيري. عانقني أرجوك. ألا تريد أن تعانقني؟ (يعانقها بعنف، على نحو مباغت ثم يبعدها). آه!

فريدْ: أنتِ الشيطان.

ليزي: ماذا؟

فريدْ: أنتِ الشيطان.

ليزي: والكتاب المقدس أيضاً! قل ما بكَ؟

فريدْ: لا شيء. فهذا للضحك.

ليزي: إنّ أساليبك في الضحك لمضحكة حقاً. (هنيهة). هل أنت راضٍ؟

فريدْ: راضٍ عن أيّ شيء؟

ليزي (تقلّد كلامه وهي تبتسم): راضٍ عن أيّ شيء؟ ألا ما أشدَّ غباءكِ، يا ابنتي الصغيرة.

فريد: آه! آه نعم. . . راض جداً. مسرور جداً. كم تريدين؟

ليزي: ومن حدّثك في هذا الشأن؟ سألتكَ إن كنت راضياً وبوسعك أن تجيبني بكل لطف. فما حقيقة الأمر؟ ألست راضياً حقاً؟ لكن اعلم أنّ هذا يثير استغرابي ويدهشني.

فريد: إخرسي.

ليزي: لقد ضممتني بقوّة، بل بمنتهى القوة. ثم همستَ لي إنّك تحبّني.

فريد: كنتِ سكرى.

ليزي: كلا، لم أكن سكرى.

فريد: بلى، كنتِ سكرى.

ليزي: قلت لك لا.

فريد: مهما يكن من أمر، فأنا كنتُ سكراناً. ولا أتذكّر شيئاً البتّة.

ليزي: إنّ هذا المؤسف. فقد خلعت ملابسي في غرفة الحمام وحين جئت إليك احمرّ وجهك كثيراً. ألست تذكر؟ بل إنّني قلت لك: «هيّا يا سرطاني البحري». ألا تذكر أنّك رغبت في إطفاء النور وأنّك بادلتني الحب في العتمة؟ فوجدتُ في ذلك مظهر لطف ووقار، ألا تذكر؟

فريد: كلا.

ليزي: وحين لعبنا لعبة المولودَيْن الجديدَيْن في مهدٍ واحد؟ ألا تتذكّرها؟

فريد: قلت لك أنْ تغلقي فمك. فما نفعله في الليل يبقى خاصاً بالليل. أما في النهار فلا نتعرّض لذكره.

ليزي (بتحدٍّ): وماذا لو كنتُ أستمتع في استعادته؟ لقد كنتُ مغتبطة جداً كما تعلم.

فريد: آه! لقد كنتِ مغتبطة جداً! (يُقبلُ عليها ملاطفاً فيمسح على كتفيها بهدوء ثم يطبق بيديه على عنقها). إنّك تمتلئين غبطةً على الدوام كلّما حسبتِ أنّك قد أسرتِ لبّ أحد الرجال. (هنيهة). أمّا ليلتكَ فقد نسيتُها. نسيتُها نسياناً تاماً. أتذكّرُ حلبة الرقص، ليس إلا. أما الباقي فأنتِ التي تتذكرينه، أنتِ وحدكِ.

(يشدّ على عنقها).

ليزي: ماذا تفعل؟

فريد: آخذ بخناقكِ.

ليزي: إنّكَ تؤلمني.

فريد: أنت وحدك. ولو شددت أكثر بقليل فقط لما بقيَ من أحدٍ في الدنيا يتذكّر تلك الليلة. (يرخيها). كم تريدين؟

ليزي: إن كنتَ قد نسيتَ، فهذا يعني أنّي لم أُجِدْ عملي. ولا أريد أن تدفع قيمة عمل أُسيء إتقانه.

فْريدْ: لا أريدُ منغّصات: كم؟

ليزي: إذن تُصغي إليّ. جئتُ إلى هنا منذ أمس الأول، وأنت أولُ من يزورني: وأنا أهبُ نفسي للقادم الأول من دون مقابل، لأنّي أرى في ذلك فألاً حسناً.

فْريدْ: لست في حاجة لهباتك.

(يضع ورقة نقدية من فئة العشرة دولارات على الطاولة)

ليزي: لا أريد شيئاً من نقودك، لكني سأرى فقط كيف تقيّمني. تريّث، حتى أخمّن (تأخذ الورقة وقد أغمضت عينيها). أربعون دولاراً؟ كلا. ذلك كثير ناهيك بضرورة وجود ورقتين. عشرون دولاراً؟ لا، أكثر؟ لا بدّ إذاً أن يكون أكثر من أربعين دولاراً. خمسون. مئة؟ (ينظر فْريدْ إليها طول هذا الوقت كلّه ضاحكاً بصمت). إلى الجحيم، سأفتح عينيّ. (تنظر إلى الورقة). ألم تخطئ؟

فْريدْ: لا أظنّ ذلك.

ليزي: أتعرف ماذا أعطيتني؟

فْريدْ: نعم.

ليزي: استردّها. استردّها على الفور. (يرفضها بحركة من يده). عشرة دولارات! عشرة دولارات! أيعرضون عليك فتاة مثلي بعشرة دولارات! هل شاهدت ساقيّ؟ (تريه ساقيها). ونهداي، هل رأيتهما؟ أَهُمَا مِنْ نهود العشرة دولارات؟ استردّ ورقتك وانسحب قبل أن يستبدّ بي الغضب؟ عشرة دولارات! كان سيادته يقبّلني من كل ناحية، وكان سيادته يرغب طول الوقت في إعادة الكرّة، وطلب سيادته إليّ أن أروي له تاريخ طفولتي. وفي هذا الصباح بدا سيادته متعكّر المزاج وأشاح عنّي بوجه متجهّم كمثل الذي يدفع لي مرتّباً شهرياً: كل هذا مقابل أي مبلغ؟ ليس مقابل أربعين ولا مقابل ثلاثين ولا مقابل عشرين: مقابل عشرة دولارات.

فريد: إنّ في ذلك سخاء على مثل تلك النجاسة.

ليزي: بل أنت الخنزير النَّجِس! ومن أين أنت قادم أيّها الفلاح؟ لا ريب في أنَ أمّكَ كانت ساقطة وقحة، ما دامت لم تربّيك على احترام السيّدات.

فريد: هل ستخرسين؟

ليزي: ساقطة وقحة. ساقطة وقحة.

فريد (بصوت يفحّ بالغضب) : هذه نصيحة أسديها إليك يا صغيرتي : لا تأتي كثيراً ، أما أبناء منطقتنا ، على ذكر سيرة أمّهاتهم ، ما لم يكن في نيّتك أن تموتي خنقاً .

ليزي (وهي تتوجّه إليه) : هيّا اخنقني إذن! تعال اخنقني ، تفضّل!

فريد (متراجعاً) : إهدئي قليلاً . (تتناول ليزي إناءً فخارياً من على الطاولة ، بقصد تحطيمه على رأسه) . هذه عشرة دولارات أخرى . لكن إهدئي وإلا أودعتك السجن .

ليزي : أنت ستودعني السجن؟

فريد : أنا

ليزي : أنت؟

فريد : أنا

ليزي : هذا يثير استغرابي .

فريد : أنا ابن كلارك .

ليزي : أيّ كلارك؟

فريد : عضو مجلس الشيوخ .

ليزي : حقاً؟ أما أنا فابنةُ روزفلت .

فريد : ألم تريْ صورة كلارك في الجرائد؟

ليزي : نعم . . . وماذا بعد؟

فْريدْ: ها هو (يريها صورة). أنا واقف بجانبه وهو يمسك بي من كتفي.

ليزي (وقد هدأت على حين غرّة): يا هذا! ما أحسن شكل أبيك! دعني أرى.

(ينتزع فْريدْ الصورة من بين يديها).

فْريدْ: حسبكِ.

ليزي: ما أحسنَ شكله. يبدو أنّه مستقيم وحازم! أصحيح ما يقولونه عن عذوبة كلامه؟ (لا يردّ). وتلك الحديقة لكم؟

فْريدْ: نعم.

ليزي: إنّها تبدو واسعة جداً. والصغيرات الجالسات على الكنبات هنّ شقيقاتك؟ (لا يردّ). وبيتكم واقع فوق رابية؟

فْريدْ: نعم.

ليزي: إنّكَ تُشاهدُ إذن كلّ المدينة عبر نافذتك وأنتَ تتناول فطورك صباحاً؟

فْريدْ: نعم.

ليزي: وهل يرنّون الجرس لمناداتكم عندما تحين مواعيدُ الطعام؟ بوسعك أن تجيب على سؤالي.

فريد: بل يدقّون على طبقٍ نحاسي .

ليزي (وقد انتشت طرباً) : على طبق نحاسي . إنّي لا أفهمك . لو كنت وسط أسرة مماثلة في دار مماثلة لكان عليهم أن يدفعوا لي مالاً لأنام خارج البيت . (هنيهة) . إنّني أعتذر بشأن أمّك : لقد تولاّني الغضب . أهي ظاهرة أيضاً في الصورة؟

فريد: حظّرتُ عليك أن تكلّميني عليها .

ليزي : طيّب . طيّب . (هنيهة) . هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً . (لا يردّ) . ماذا جئت تفعل عندي ما دام الحبّ يثير فيك التقزز؟ (لا يردّ . تتنهّد) . على كل حال ، سأسعى لأن أتعوّد على تصرّفاتك إذا ما أكثرتَ من التردّد إلى هنا . (هنيهة . فريد يمشّط شعره أما المرآة) .

فريد: أنتِ جئتِ من الشمال؟

ليزي : نعم .

فريد: من نيويورك؟

ليزي: وهل يفيدك ذلك في شيء؟

فريد: ذلك أنّك ذكرتِ نيويورك قبل قليل .

ليزي : بوسع أيّ امرئٍ أن يذكر نيويورك ، فهذا لا يقدّم ولا يؤخّر .

فريد: لماذا لم تبقي هناك؟

ليزي: لقد ضاقت بي الدنيا .

فريد: بسبب بعض المتاعب .

ليزي: أجل : فأنا أجرّها على نفسي . فمن الطبائع ما هو كذلك . أترى هذا الثّعبان؟ (تريه السوار) . إنّه طالع نحس .

فريد: ولم تلبسينه؟

ليزي: ما دام الآن لدي ، فينبغي أن أضعه . يبدوا أنّ الحيّات حين تنتقم ، يكون انتقامها رهيباً .

فريد: إذاً أنتِ الفتاة التي أراد الزنجي أن يغتصبها .

ليزي: ماذا؟

فريد: وصلت أمس الأوّل في قطار الساعة السادسة السريع؟

ليزي: نعم .

فريد: هذه أنت إذاً .

ليزي: لم يشأ أن يغتصبني أحد . (تضحك بشيء من المرارة) . يغتصبني أنا ! هل تدرك ما تقوله؟

فريد: هذه أنت . لقد قال لي ويبستر ذلك يوم أمس ، في المرقص .

ليزي: ويبستر؟ (هنيهة) . ذلك إذاً هو السبب !

فريدْ: ماذا؟

ليزي: ذلك إذاً هو سبب البَريقِ في عينيك. كانت الفكرة مثيرةً، إليس كذلك؟ يا لك من قذر! مع أنّ لك أباً على درجة كبرى من الاستقامة.

فريدْ: غبيّة! (هنيهة). لو حسبتُ أنّكِ قد ضاجعت أحد السود. . .

ليزي: وماذا بعد؟

فريدْ: عندي خمسة من الخدم الملوّنين. فإذا ما استُدعيتُ للردّ على الهاتف، ورفع أحدهم السمّاعة، فإنه يمسحها قبل أن يناولني إيّاها.

ليزي (تصفّر بإعجاب): أرى ذلك.

فريدْ (بهدوء): نحن هنا لا نحب الزنوج كثيراً. ولا نحبّ النساء البيض اللواتي يتلهّين بصحبتهم.

ليزي: هذا يكفي. فليس لديّ ما آخذه عليهم، لكنّي لا أريد أن يلمسوني.

فريدْ: وهل من يدري؟ فأنتِ الشيطان. والزنجي أيضاً هو الشيطان. . . (يقول بشكل مباغت). إذن؟ لقد أراد أن يغتصبك؟

ليزي: ولكن ما شأنك أنت وذلك الأمر؟

فريد: لقد صعد اثنان إلى مقصورتك. وبعد برهة قصيرة هجما عليك. فصرخت مستغيثة فأقبل البيض. فاستلّ أحد الزنجيين موساه، فأرداه أحد البيض قتيلاً بطلقة من مسدس. فولّى الزنجي الآخر هارباً!

ليزي: هذا ما رواه لكَ ويبستر؟

فريد: نعم.

ليزي: ومن أخبره بذلك؟

فريد: المدينة كلها تلهج بالحكاية.

ليزي: المدينة كلّها؟ يا لحسن حظي. أليس لديكم إذاً ما تفعلونه غير ذلك؟

فريد: هل جرت الأحداث على نحو ما قُلته أنا؟

ليزي: كلا، على الإطلاق. كان الزنجيان يقفان ساكنين يتحدّثان فيما بينهما. بل إنّما لم ينظرا إليّ. بعدئذٍ صعد أربعة بيض فأخذ اثنان منهما يحاصراني بشدّة. كان فريقهم قد فاز للتوّ في مباراة بالركبي وكانوا سكارى. ثم قالوا إنّ المقصورة عابقة برائحة الزنوج وحاولوا طرد الزنجيين بالقوّة. فقاوم الاثنان قدر استطاعتهما. وأخيراً تلقّى أحد البيض لكمةً على عينه. عندئذ أخرج مسدسه وأطلق النار. ذلك كل شيء. أما

الزنجي الآخر فقد رمى بنفسه من القطار لأنّنا كنّا قد دخلنا المحطة.

فريد: إنّهم يعرفونه. ولن يخسر شيئاً من جراء الانتظار. (هنيهة). ولكن هل ستقومين بسرد القصّة نفسها حين يستدعونك للمثول أمام القاضي؟

ليزي: ولكن ما شأنك أنت وتلك القصّة؟

فريد: أجيبي.

ليزي: لن أذهب إلى القاضي. قلت لك إنّي أمقتُ التعقيدات.

فريد: لا بدّ من أن تمثلي أمامه.

ليزي: لن أذهب. فأنا أرفض أن أكون على صلة بالشرطةبعد الآن.

فريد: سيأتون لإحضارك.

ليزي: عندئذ سأقول ما شاهدته.

(يمرّ بعض الوقت).

فريد: هل أنتِ مدركة حقيقة ما ستقومين به؟

ليزي: وما هي حقيقة ما سأقوم به؟

فريد: سوف تشهدين لأسود على أبيض.

ليزي: ما دام الأبيض هو المذنب.

فريد: ليس مذنباً .

ليزي : ما دام قتل فهو مذنب .

فريد: مذنب بماذا؟

ليزي: بالقتل .

فريد: إلا إنّه قتل زنجياً .

ليزي: وماذا تعني .

فريد: لو أصبح المرء مذنباً كلّما قتل زنجياً . . .

ليزي: لم يكن على حق .

فريد: أيّ حق؟

ليزي: ليس لديه الحق .

فريد: حقّكِ هذا جاء من الشمال . (هنيهة) . لا يسعك أن تعملي على إنزال عقوبةٍ بواحدٍ من طينتك ، مذنباً كان أم غير مذنب .

ليزي : لا أريد إنزال العقوبة بأحد . سوف يسألوني عما رأيت وسأجيبهم .

(هنيهة . فريد يتقدم منها) .

فريد: ماذا بينك وبين ذلك الزنجي؟ لِمَ تعملين على حمايته؟

ليزي: ليس بيننا حتى المعرفة .

فريد: إذن؟

ليزي: أريد أن أقول الحقيقة.

فريد: الحقيقة. مومس من ذوات العشرة دولارات تريد أن تقول الحقيقة! ليس هناك من حقيقة: هناك بيض وسود، ليس إلاّ. سبعة عشر ألف أبيض وعشرون ألف أسود. نحن هنا ولسنا في نيويورك: نحن لا نملك الحقّ في التهاون. (هنيهة). توماس هو ابن عمّتي.

ليزي: ماذا؟

فريد: توماس، الشاب الذي قَتَل: إنّه ابن عمّتي.

ليزي (وقد بوغتت): هكذا؟

فريد: إنّه رجل شهم. قد لا يعنيك هذا في شيء. لكنّه رجل شهم.

ليزي: رجل شهم، وكان طول الوقت يلتصق بي، ويغطّني، ويحاول أن يَشْمُرَ تنّورتي. دعني من ذلك الرجل الشهم. فلا يثير عجبي أن تكونا من عائلة واحدة.

فريد (يرفع يده قائلاً): يا للقرف! (يتمالك نفسه). أنت الشيطان: ولا يمكن أن نُلحقَ بالشيطان غير الشرّ. لقد شمّر تنورتك وأطلق النار على زنجي قذر فأيّة مسألة خطيرة تلك. إنّها حركات يقوم بها المرء تلقائياً، وليست بذات قيمة. إنّما توماس زعيم. وهذا لبّ الموضوع.

ليزي: ذلك ممكن. لكنّ الزنجي لم يقترف ذنباً.

فريد: الزنجي مقترف للذنوب بصورة دائمة.

ليزي: أنا لن أقوم أبداً بتسليم رجل للشرطة.

فريد: إن لم يكن هو فسيكون توماس. أنتِ على كلّ حال ستسلّيمنهم واحداً. وعليك أن تختاري.

ليزي: إليك. ها أنا قد غصت في الوحل حتى العنق. للتغيير (تكلّم سوارها). أيّها القذر. أيّها العفن. أنتَ لا تفعل غير ذلك!

(ترمي بالسوار أرضاً).

فريد: كم تريدين؟

ليزي: لا أريد فلساً واحداً.

فريد: خمس مئة دولاراً؟

ليزي: ولا فلساً.

فريد: يلزمك أكثر من ليلة واحدة بكثير، لتكسبي خمس مئة دولاراً.

ليزي: لا سيّما إذا كنتُ أتعاملُ مع خسيسينَ من طينتك. (هنيهة). أمن أجل هذا إذاً أومأتَ لي أمس مساءٍ؟

فريد: أجل.

ليزي: من أجل هذا إذاً. لقـد قلتَ في نفـسك: تلك هي الصغيرة الساذجة، سوف أرافقها إلى بيتها وأسلّمها الصفقة جاهزة. من أجل هذا إذاً! أخذتَ تتلاعب بيدي معابثاً، لكنّكَ كنتَ بارداً مثل الثلج، وأنت تتساءل: كيف سأُقاربُ الموضوع معها؟ (هنيهة). ولكن قل لي، ولكن قل لي أيها الغلام... ما دمتَ قد جئتَ لتعرض عليّ دسيستك، فلست بحاجة لأن تشاركني المضجع. أليس كذلك؟ علام شاركتني المضجع، أيهاالنذل؟ لماذا شاركتني المضجع.

فريد: ليأخذني الشيطان إن كنتُ أعلم.

ليزي (تتهالك على كرسي وهي تجهش بالبكاء): أنت نذل! نذل! نذل!

فريد: خمس مئة دولاراً! كفّي عن النواح، بحقّ الله! خمس مئة دولاراً! حسبكِ نوحاً! حسبكِ نوحاً. هيّا، يا ليزي! كوني عاقلة، يا ليزي! خمس مئة دولاراً!

ليزي (وهي تنشج): لستُ راغبة في دولاراتك الخمس مئة، ولا أريد الإدلاء بشهادة زور! أريدُ العودة إلى نيويورك، أريد أن أرحل! أريد أن أرحل! (جرس

الباب يرنّ. تتوقّف من فورها. يرنّ الجرس مرّة أخرى أيضاً. تقول بصوت خافت). ما هذا؟ إلزم الصمت. (رنين طويل). لن أفتح. إبقَ ساكناً.

(يُسمعُ خبط على الباب)

صوت: إفتحوا. من قِبَل الشرطة.

ليزي: رجال الشرطة. لا بدّ من وقوع ذلك. (تشير إلى السوار). إنّما ذلك بسببه. (تلتقطه وتعيده إلى معصمها). من الأفضل أن أحتفظ به. إختبئ.

(خبط على الباب)

الصوت: هنا الشرطة!

ليزي: ولكن هلمّ إختبئ. هيّا إلى دورة المياه. (لا يتحرّك. فتدفعه بكلّ قواها). ولكن هيّا، هيّا امضِ.

الصوت: أنتَ هنا، يا فْريدْ؟ يا فْريدْ؟ أنتَ هنا؟

فْريدْ: أنا هنا!

(يزيحها من طريقه. فتنظر إليه بذهول).

ليزي: من أجل هذا إذاً!

(يذهب فْريدّ فيفتح الباب، فيدخل جون وجيمس).

المشهد الثالث

ليزي، فْريدْ، جون، جيمس

يظلّ باب المدخل مفتوحاً

جون: نحن من الشرطة. أأَنتِ ليزي ماك كاي؟

ليزي (من غير أن تسمع كلامه، تواصل النظر إلى فريد): من أجل هذا!

جون (يهزّها من كتفها): حين نسألكِ تجيبين.

ليزي: ماذا؟ أجل، أنا.

جون: هاتي أوراقك.

ليزي (وقد سيطرت على نفسها برباطة جأش): بأيّ حق تستجوبونني؟ وماذا جئتم تفعلون عندي؟ (جون يريها نجمته). بوسع أيّ امرئٍ أن يعلّق نجمة على صدره. أنتم من أصحاب هذا السيّد، ولقد تفاهمتم فيما بينكم على ابتزازي بالتهديد.

(يقرّب جون بطاقة من وجهها.)

جون: أتعرفين هذا؟

ليزي (مشيرة إلى جيمس): وهو؟

جون (يقول لجيمس): أرِها بطاقتك (جيمس يعرض بطاقته. ليزي تنظر إليها، ثم تتجه إلى الطاولة من غير كلام

فتخرج أوراقاً تقدّمها إليهما. جون يدلّها على فْريد).
جئتِ به إلى بيتك أمس مساءً؟ أنت تعرفين أنّ البغاء جرم؟

ليزي: هل أنتم على تمام الثقة من حقّكم في الدخول إلى بيوت الناس بلا أمرٍ من النيابة؟ ألا تخشونَ أن أسبّب لكم المتاعب؟

جون: لا تنشغلي بشأننا. (هنيهة). سألناكِ إن كنتِ قد جئتِ به إلى بيتك.

(طرأ عليها تغيير من حين دخول الشرطيين إلى بيتها. فأضحت أكثر قسوة وأكثر سوقيّة).

ليزي: لا تتعبواً أنفسكم. لقد جئت به إلى بيتي بكل تأكيد. إلاّ أنّني مارست الحبّ بالمجّان. ألا يقطع هذا عليكم الطريق؟

فْريد: بوسعكم أن تجدوا على الطاولة ورقتين من فئة العشة دولارات. إنّهما لي.

ليزي: أثبت ذلك.

فْريد (يقول للآخرين من غير أن ينظر إليها): أخذتهما من المصرف صباح أمس مع ثمان وعشرين واحدة من نفس الفئة. ولا يبقى عليكم غير مطابقة الأرقام.

ليزي (بعنف) **:** لقد رفضتها . لقد رفضت نقوده القذرة . لقد قذفت بها في وجهه .

جون : كيف هي على الطاولة ما دمتِ قد رفضتها؟

ليزي (بعد فترة صمت) **:** لقد أوقعتم بيَ . (تنظر إلى فريد بنوع من الذهول، ثم تقول بصوت أكثر لطفاً تقريباً) . هذا هو السبب إذاً؟ (للآخريْن) والآن؟ ما الذي تبغيانه منّي؟

جون : إجلسي . (يخاطب فريد) . أطلعتها على القضية؟ (يومئ فريد بإشارة من رأسه) . قلتُ لكِ إجلسي . (يلقي بها فوق كنبة) . لقد وافق القاضي على إطلاق سراح توماس إذا ما تسلّم شهادتك مكتوبة . نحن كتبناها نيابةً عنك، فلا يبقى عليك غير التوقيع . غداً، سوف يستجوبونك بشكل نظامي . هل تجيدين القراءة؟ (ليزي تَنْهزُ بكتفيها، فيقدّم لها ورقة) . إقرئي ووقّعي .

ليزي : كلّ هذا تزوير من أوله إلى آخره .

جون : ذلك ممكن . وماذا بعد؟

ليزي : لن أوقّع .

فريدْ : خذوها . (يقول لليزي) . إنّها ثمانية عشر شهراً .

ليزي : نعم . ثمانية عشر شهراً . أما بعد أن أخرج فسوف أظفر بك .

فريدْ: إلاّ إذا تمكّنتُ من منعكِ. (يتبادلان النظر). كان عليكم أن تُبرقوا إلى نيويورك. أعتقد أنّها ذات سوابق هناك.

ليزي (بإعجاب): أنت نذل مثل امرأة نذلة. وما كنتُ أحسبني مُلاقية يوماً رجلاً بمثل خِسّتكَ.

جون: اتخذي قرارك. فإمّا أن توقّعي أو نأخذكِ إلى الحبس.

ليزي: أفضّل الحبس. لا أريد أن أكذب.

فْريدْ: لا تريدين الكذب، يا خدّاعة. ما الذي كنتِ تفعلينه طول الليل؟ وحين كنت تدعينني بقولك يا عزيزي، يا حبيبي، يا رَجُلي الحبيب، أما كنت تكذبين؟ وحين كنت تتأوّهين لتجعليني أظنّ أنّني أُمتّعكِ، أما كنت تكذبين؟

ليزي (بتحدٍّ): ذلك يلائمك ويريحك، أليس كذلك؟ كلاّ، لم أكن أكذب.

(يتبادلان النظرات. فْريدّ يحوّل نظره.)

فْريدْ: فلننتهِ من هذه المشكلة. إليكِ قلمي. وقّعي.

ليزي: بوسعك أن تعيده إلى جيبك.

(فترة صمت. يستبدّ الضيق بالرجال الثلاثة)

فْريدْ: هاكم! هاكم إلامَ انتهينا! إنّه لأفضل واحد في المدينة، ومصيره غدا متعلقاً بنزوات بنتٍ طائشة. (يقطع الغرفة

طولاً وعرضاً، ثم يرتدّ بغتة ناحية ليزي). انظري إليه. (يريها صورة). لقد وقع نظرك على رجال عديدين في العيشة البائسة التي تعيشينها. فهل رأيت كثيرين يشبهونه؟ أنظري إلى هذه الجبهة، أنظري إلى هذه الذقن، أنظري إلى أوسمته المعلّقة على لباسه العسكري. كلا، كلا، لا تشيحي بوجهك. واصلي النظر حتى النهاية: إنّه ضحيّتك وينبغي أن تنظري إليه مواجهة. أترين كم يبدو فتياً وكم يبدو مزهواً وكم هو جميل! كوني مطمئنّة، فيوم يخرج من السجن بعد عشر سنين، سيكون منهكاً أكثر من عجوز، وسيكون قد فقد شعره وأسنانه. بوسعك أن تكوني مغتبطة بسبب إنجازك الرائع. فقد كنت حتى اليوم تختلسين النقود من الجيوب. أما هذه المرّة فقد وقع اختيارك على خيرة الرجال وسوف تستلبين حياته. ألا تقولين شيئاً؟ وهل نَخَرَكِ الفساد حتى العظام؟ (يرمي بها على ركبتيها). إركعي هنا، يا قحبة! إركعي أمام صورة الرجل الذي ستصمينه بالعار.

(يدخل كلارك من الباب الذي تركوه مفتوحاً.)

المشهد الرابع
نفس الشخصيات بالإضافة إلى سيناتور

السيناتور: دعها. (يقول لليزي). إنهضي.

فريد: هالو!

جون: هالو!

السيناتور: هالو! هالو!

جون (يقول لليزي): إنّه كلارك، عضو مجلس الشيوخ.

السيناتور (يقول لليزي): هالو!

ليزي: هالو!

السيناتور: طيّب. انتهى التعارف. (ينظر إلى ليزي) هذه إذاً هي الصبيّة. إنّ اللطافة بادية على سيمائها.

فريد: إنّها لا تريد أن توقّع.

السيناتور: لديها كامل الحقّ في ذلك. فلقد دخلتم بيتها من غير حقّ. (واصل يقول بشدّة على أثر حركة من جون). من غير أن تملكوا أدنى حقّ. فعاملتوها بخشونة ونويتم إرغامها على قول ما يخالف ضميرها. ما هكذا تكون التصرّفات الأميركية. هل ألحقَ بكِ الزنجي من إساءة يا بنيّتي؟

ليزي: كلا.

السيناتور: لا بأس. هذا أمر واضح. أنظري في عينيّ. (يحدّق فيها). أنا على ثقة من أنّها لا تكذب. (هنيهة). يا لميري المسكينة. (يقول للآخرين). هلمّوا، أيّها الأولاد. لم يعد لدينا ما نفعله هنا. ولا يبقى لنا غير تقديم الاعتذار للآنسة.

ليزي: من هي ميري؟

السيناتور: ميري؟ إنّها شقيقتي، والدة ذلك المنكود الحظّ توماس. إنّها عجوز مسكينة عزيزة ستقضي نحبها من جراء ذلك. وداعاً يا بنيّتي.

ليزي: سيدي السيناتور!

السيناتور: نعم يا ابنتي؟

ليزي: إنني لآسفة.

السيناتور: وعلامَ تأسفين ما دمتِ قد قلت الحقيقة؟

ليزي: إنّني لآسفة أن تكون... تلك هي الحقيقة.

السيناتور: لا يملك أحد لأحد شيئاً. فما باليد من حيلة. ولا حقّ لأحدٍ في إرغامك على الإدلاء بشهادة زور. (هنيهة). كلاّ، لا تفكّري فيها من بعد.

ليزي: بمن؟

السيناتور: بشقيقتي. أما كنتِ تفكّرين بشقيقتي؟

ليزي: بلى.

السيناتور: إنّي أرى ما في داخلكِ بكلّ وضوح، يا ابنتي. أتودّين أن أقول لك ماذا يعتمل في رأسك؟ (يقلّد ليزي). «إذا ما وقّعتُ، توجَّه السناتور للقائها في بيتها وقال لها: ليزي ماك كاي فتاة صالحة. وهي التي أعادب إليكِ ولدكِ». وسوف تبتسم من خلال دموعها وتقول: «ليزي ماك كاي، لن أنسى ذلك الاسم أبداً». وأنا التي أعيش بلا أسرة، بعد أن رمى بي القدر في دركِ المجتمع، سأعرف أنّ عجوزاً قصيرة القامة سليمة الطويّة، سوف تفكّر بي وهي تقيم في منزلها الرحب، ستكون هناك أمٌّ أميركية تتبنّاني وتحتضنني داخل قلبها». مسكينة يا ليزي. لا تفكّري بها من بعد.

ليزي: هل شعرها أبيض؟

السيناتور: كلّيّ البياض. أما وجهها فقد لبث فتيّاً. ولو كنت تعرفين ابتسامتها... إنّها لن تتبسّم أبداً من بعد. وداعاً. غداً تقولين الحقيقة للقاضي.

ليزي: أنتَ ذاهب؟

السيناتور: أجل. سأذهب في الواقع إلى عندها. إذ ينبغي أن أنقل إليهامضمون محادثتنا.

ليزي: أهي تعرف أنّك هنا؟

السيناتور: أنا ما جئت إلى هنا إلاّ بناء على رجائها.

ليزي: يا إلهي! وهي ما تزال تنتظر؟ وسوف تقول لها إنّي رفضت أن أوقّع؟ ألا كم ستزدريني!

السيناتور (وهو يضع يديه على كتفيها): يا بنيّتي المسكينة. أنا لا أحسدك على ما أنت فيه من موقف.

ليزي: يا لها من معضلة! (تقول لسوارها). أنتَ، أيّها القذر، تسبّبْتَ في كلّ هذا.

السيناتور: ماذا؟

ليزي: لا شيء. (هنيهة). أمّا وقد وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، فليت الزنجي اغتصبني حقاً.

السيناتور (منفعلاً): يا بنيّتي.

ليزي (بحزن): وكان من شأن ذلك أن يدخل على قلوبكم البهجة ويكلّفني أنا قدراً ضئيلاً من العناء.

السيناتور: شكراً. (هنيهة). كم أودّ أن أساعدك. (هنيهة). لكن يا للأسف، فالحقيقة هي الحقيقة.

ليزي (بحزن): هذا صحيح.

السيناتور: والحقيقة هي أن الزنجي لم يغتصبك.

ليزي (بحزن شديد): هذا صحيح.

السيناتور: صحيح. (هنيهة). ومن المؤكّد أنّنا هنا بصدد حقيقة من الدرجة الأولى.

ليزي (من غير أن تفهم): من الدرجة الأولى...

السيناتور: نعم: أقصد حقيقة... شعبية.

ليزي: شعبية؟ أليست هي الحقيقة؟

السيناتور: بلى، بلى، إنّها الحقيقة. إلاّ أنّ... هناك عدّة أشكال من الحقائق.

ليزي: أتظن أنّ الزنجي قد اغتصبني.

السيناتور: كلا. كلا، لم يغتصبك. إنّه لم يغتصبك مطلقاً من وجهة نظر بعينها. لكن ليتك توليني بعضاً من انتباهك. فأنا رجل مسنّ عشت كثيراً وأخطأت كثيراً. لكنّ وقوعي في الخطأ تناقص بشكل ملحوظ في الأعوام الأخيرة. والرأي الذي أحمله حول هذه المسألة برمّتها مختلف عن رأيك.

ليزي: ولكن أيّ رأي؟

السيناتور: كيف أوضح الأمر لك؟ هاكِ: لنتخيّل أن الأمة الأمريكية ظهرت لك بغتةً. فما الذي ستقوله لك؟

ليزي (فَزِعة): أفترضُ أنّها لن تجد ما تقوله لي.

السيناتور: هل أنت شيوعيّة؟

ليزي: يا للهول: كلا.

السيناتور: لديها والحال هذه شيء كثير تقوله لك. سوف تقول لك: «يا ليزي، لقد وصلت بكِ الأمور إلى ضرورة الاختيار بين اثنين من أبنائي. إذ ينبغي على أحدهما أن يتوارى. فماذا نعمل في حالات مماثلة؟ إنّنا نُبقي على الأفضل. طيّب. تعالي نبحث أيّهما الأفضل. هل تقبلين؟»

ليزي: أقبل عن طيب خاطر. آه، اعذرني. حسبتك أنت تتكلّم.

السيناتور: إنّني أتكلّم بلسانها. (يواصل). «يا ليزي، ما هي فائدة هذا الزنجي الذي تقومين بحمايته؟ لقد وُلدَ بمحض الصدفة ولا يعلم أين وُلِدَ إلا الله. لقد تولّيتُ رعايته، فما الذي يفعله بالمقابل حيالي؟ لا شيء على الإطلاق. إنّه يتسكّع ويسرق ويغنّي ويرتدي ملابس وردية وخضراء، إنّه ولدي وأنا أحبّه على قدر بقيّة أولادي. لكنّني أسألكِ: هل يحيا حياة رجل حقيقي؟ إنّه لا يلفت نظري حتى بموته».

ليزي: ألا ما أحسن كلامكَ.

السيناتور (مستأنفاً): «أمّا بالمقابل، فتوماس هذا قتل أحد السود، وفعلته سيئة جداً. لكنّني بحاجة إليه. إنّه أميركي مئة بالمئة، وهو سليل واحدة من أقدم عائلاتنا. لقد أتمّ دروسه في جامعة هارفارد وصار ضابطاً - إنّني بحاجة للضبّاط - وهو يشغّل ألفيْ عاملٍ في مصنعه - ألفا عاطلٍ عن العمل إذا ما أصابه الموت - إنّه زعيم. إنّه حصن حصين في وجه الشيوعيّة والنقابيّة واليهود. فمن واجبه أن يحيا ومن واجبكِ أنت أن تحافظي على حياته. هذا كل شيء. أما الآن فاختاري».

ليزي: ألا ما أحسن كلامك!.

السيناتور: اختاري.

ليزي (مجفلة): ماذا؟ آه، نعم... (هنيهة). لقد شوّشت أفكاري، فلمْ أعد أعرف أين أضع قدميْ.

السيناتور: أنظري إليّ، يا ليزي. هل تثقين بي؟

ليزي: نعم، يا سيدي السيناتور.

السيناتور: هل تعتقدين أنّ بوسعي أن أنصحك بعمل مشين؟

ليزي: كلا، يا سيدي السيناتور.

السيناتور: إذاً ينبغي أن توقّعي. فهاك قلمي.

ليزي: أتعتقد أنّها ستكون راضية عني؟

السيناتور: من هي؟

ليزي: شقيقتك.

السيناتور: سوف تحبّك عن بعد مثل ابنتها.

ليزي: أليس محتملاً أن ترسل لي أزهاراً؟

السيناتور: ذلك محتمل جداً.

ليزي: أو صورتها وعليها توقيعها.

السيناتور: هذا ممكن تماماً.

ليزي: سوف أعلّقها على الجدار. (هنيهة. تمشي باضطراب). يا لها من معضلة! (تعود إلى السيناتور). وماذا ستفعلون بالزنجي إذا ما وقّعت؟

السيناتور: بالزنجي؟ آه! (يمسك بها من كتفيها). إذا ما وقّعت، فسوف تتبنّاك المدينة كلّها. المدينة بحالها. كافّة الأمّهات في المدينة.

ليزي: ولكن...

السيناتور: هل تظنّين أن مدينة بحالها يمكن أن تخطئ؟ مدينة بحالها، بقساوستها وكهنتها، بأطبّائها بمحاميها وفنانيها بعمدتها ومعاونيه وجمعيّاتها الخيرية. هل تظنّين ذلك؟

ليزي: كلا. كلا. كلا.

السيناتور: هاتي يدك. (يرغمها على التوقيع). هاك. أشكرك باسم أختي وابن أختي وباسم سبعة عشر ألف من البيض في مدينتنا، وباسم الأمّة الأميركية التي أتولّى تمثيلها في هذا المكان. هاتي جبينك. (يقبّلها من جبينها). أما أنتم، فهيّا بنا. (يقول لليزي). سأقابلك مساء: إذ لا يزال علينا مواصلة الحديث.

(يخرج)

فريد (وهو يخرج)**:** وداعاً يا ليزي.

ليزي: وداعاً. (يخرجون. تلبث مسحوقة، ثم تندفع صوب الباب). أيها السيناتور! أيها السيناتور! لا أريد! مزّق الورقة! أيها السيناتور! (تعود إلى خشبة المسرح فتمسك بالمكنسة الكهربائية على نحوآلي). الأمّة الأميركية! (تصل التيار). لديّ ما يشبه الإحساس بأنّهم خدعوني!

(تشغّل المكنسة بغضب)

ستار

اللوحة الثانية

الديكور ذاته، بعد اثني عشرة ساعة. المصابيح مضاءة والنوافذ مفتوحة على القمة. ضجيج وصخب في تزايد. يبدو الزنجي عند النافذة فيتخطّى عتبتها ويقفز إلى الحجرة الفارغة. يتقدّم إلى وسط خشبة المسرح. الجرس يرنّ. يختبىء وراء ستار. تخرج ليزي من غرفة الحمام، فتتوجّه إلى باب المدخل وتفتحه.

المشهد الأول

ليزي، عضو في مجلس الشيوخ. الزنجي مختبئاً

ليزي: تفضل! (يدخل السيناتور). كيف الحال؟

السيناتور: توماس الآن بين ذراعي أمّه. وأنا آتٍ حاملاً امتنانهما.

ليزي: أهي سعيدة؟

السيناتور: إنّها في غاية السعادة.

ليزي: وهل بكت؟

السيناتور: بكت؟ ولمَ؟ إنّها امرأة قوية.

ليزي: قلتَ لي إنّها سوف تبكي.

السيناتور: ذلك أحد أساليب القول.

ليزي: ما كانت لتتوقّع الأمر. أليس كذلك؟ كانت تحسبني امرأة طالحة وتظن أنني سأشهد للزنجي.

السيناتور: لقد سلّمت أمرها لله.

ليزي: ما هو رأيها بي؟

السيناتور: إنّها تشكرك.

ليزي: ألم تستفسر عن مواصفاتي؟

السيناتور: كلا.

ليزي: وهل ترى أنّي فتاة صالحة؟

السيناتور: إنّها ترى أنّك أدّيتِ واجبك.

ليزي: آه، حقاً؟...

السيناتور: وهي تأمل أن تواصلي أداءه.

ليزي: نعم، نعم...

السيناتور: انظري إلي، يا ليزي. (يمسك بها من كتفيها). هل تواصلين أداءه؟ ألستِ عازمةً على تخييب أملها؟

ليزي: لا تنفعل أكثر مما ينبغي. فلم أعد قادرة على النّكوص عمّا قلته، لأنّهم سيدخلونني السجن. (هنيهة). ولكن ما حقيقة هذه الصيحات؟

السيناتور: لا شيء.

ليزي: لم أعد بقادرة على تحمّلها. (تذهب فتغلق النافذة). سيدي السيناتور؟

السيناتور: ماذا، يا ابنتي؟

ليزي: هل أنت واثق من أننا لم نخطئ، وأنّي قد أدّيت واجبي؟

السيناتور: مطلق الثقة.

ليزي: لكنّني أُنكرُ نفسي. لقد شوشتَ فكري. فأنت تفكّر بسرعة تفوق طاقتي. كم الساعة الآن؟

السيناتور: الحادية عشرة.

ليزي: بقي على طلوع النهار ثمان ساعات. أُحسّ أنّه لن يُغمض لي جفن. (هنيهة). فحرّ الليالي شبيه بحرّ النهار. (هنيهة). والزنجي؟

السيناتور: أيّ زنجي؟ إيه! طيب، إنّهم يبحثون عنه.

ليزي: ماذا سيفعلون به؟ (ينهز السيناتور بكتفيه، والصيحات تتعالى. فتتّجه ليزي إلى النافذة). ولكن ما حقيقة هذه الصيحات؟ هناك رجال يمضون حاملين مشاعل كهربائية تصحبهم كلاب. أهو تطواف بالمشاعل؟ أم هو... قل ما حقيقة ذلك، أيّها السيناتور! قل لي ما حقيقة ذلك!

السيناتور (وهو يخرج رسالة من جيبه)**:** كلّفتني شقيقتي بأن أسلّمك هذه.

ليزي (بغبطة)**:** لقد كتبت لي؟ (تمزّق الغلاف فتخرج منه ورقة نقدية من فئة المئة دولار، وتفتّشه بحثاً عن رسالة فلا تجد فتدعكه وتلقي به أرضاً. صوتها يتغيّر). مئة دولار. ينبغي أن تكون مغتبطاً: فقد وعدني ابنك بخمس مئة. لقد حقّقتم وفراً ممتازاً.

السيناتور: يا بنيّتي.

ليزي: سوف تشكر السيدة شقيقتك نيابة عني وتقول لها إنني كنت أفضّل مزهريّة من الفخّار أو جوارب من النايلون، أو أي شيء آخر تكلّفت عناء انتقائه. فالقيمة في البادرة، أليس كذلك؟ (هنيهة) الحقيقة أنكم قد أوقعتم بي.

(يتبادلان النظر فيقترب السيناتور).

السيناتور: أشكرك، يا ابنتي. سوف نتبادل الحديث قليلاً فيما بيننا. أنت تجتازين أزمة أخلاقية وتحتاجين لدعم مني.

ليزي: أنا في حاجة ماسّة للمال لكنّي أعتقد أننا سنتدبّر الأمر، أنا وأنت. (هنيهة). لقد كنت حتى هذه الساعة أفضل المسنّين لأنّهم ذو هيئة موقّرة، لكنّي بدأت أتساءل عمّا إذا كانوا مَرْوَزيين أكثر من الآخرين أيضاً.

السيناتور (طَرِباً): مروزيّون! كم أودّ لو سمعك زملائي. يا لعفويتك العذبة. فالشيء الكامن فيك لم يتأثّر بتصرّفاتك الفوضويّة! (يداعبها). أجل. أجل. شيء كامن. (تستسلم بسلبية وازدراء). سوف أعود. لا تخرجي ورائي. (يخرج. تلبث ليزي جامدة في مكانها. لكنّها تأخذ الورقة النقدية فتدعكها وترمي بها أرضاً ثم تتهالك فوق كرسي وتنفجر باكية. العويل في الخارج يشتدّ اقتراباً. تُسمع من بعيد طلقات نارية. يخرج الزنجي من مخبئه. فيقف أمامها. ترفع رأسها وتطلق صرخة).

المشهد الثاني

ليزي، الزنجي

ليزي: إيه! (هنيهة. تقف). كنت واثقة أنّك ستعود. كنت واثقة من ذلك. من أين دخلت؟

الزنجي: من النافذة.

ليزي: ماذا تريد؟

الزنجي: خبّئيني.

ليزي: قلت لك، لا.

الزنجي: ألا تسمعينهم، يا سيدتي؟

ليزي: أجل.

الزنجي: هذه هي المطاردة قد بدأت.

ليزي: أية مطاردة؟

الزنجي: مطاردة الزنجي.

ليزي: هكذا! (يمر وقت طويل). هل أنت واثق من أنّهم لم يروك وأنت تدخل؟

الزنجي: واثق.

ليزي: ماذا سيفعلون بك، لو قبضوا عليك؟

الزنجي: البنزين.

ليزي: ماذا؟

الزنجي: البنزين. (يومئ موضحاً). ويشعلون النار.

ليزي: فهمت. (تتوجه إلى النافذة وتجر الستارة). أقعد. (يتهالك الزنجي على كرسي). أكان ينبغي أن تأتي إليّ. أما كفاني قط ما حصل؟ (تقبل عليه بما يشبه التهديد). إنّي أحسّ بالهلع من المتاعب، هل تفهمني؟ (تخبط بقدمها). إنّه الهلع! الهلع! الهلع!

الزنجي: إنّهم يعتقدون أنّي ألحقت بك الأذى، يا سيدتي.

ليزي: وماذا بعد؟

الزنجي: لن يأتوا للبحث عنّي هنا.

ليزي: هل تعرف لماذا يطاردونك؟

الزنجي: لأنّهم يعتقدون أنّي ألحقت أذى بكِ.

ليزي: وهل تعرف من الذي أخبرهم بذلك؟

الزنجي: كلا.

ليزي: أنا. (صمت طويل. الزنجي ينظر إليها). مارأيكَ بهذا؟

الزنجي: لِمَ فعلتً ذلك، يا سيدتي؟ لِمَ فعلتِ ذلك؟

ليزي: أنا أتساءل بدوري.

الزنجي: لن تعرف قلوبهم الرحمة. سيسوطونني على عينيّ ويسكبون عليّ صفائح البنزين. ويلاه! لم فعلتِ ذلك؟ أنا ما ألحقتُ بكِ من أذىً.

ليزي: إيه! بلى. لقد ألحقت بي أذىً. لا يسعك أن تعرف إلى أيّ حدّ آذيتني! (هنيهة). أليست بك من رغبة في خنقي؟

الزنجي: إنّهم يرغمون الناس على أن يقولوا عكس ما يعتقدونه.

ليزي: نعم. في أغلب الأحيان. وحين لا يقوَون على إرغامهم على ذلك، يشوّشون عليهم أفكارهم بكلامهم المعسول. (هنيهة). سأخبّئك حتى مساء الغد. (يقوم بحركة). لا تمسّني: فأنا لا أحب الزنوج. (صرخات في الخارج وطلقات نارية). إنّهم يقتربون. (تتجه إلى النافذة فتزيح الستائر وتنظر إلى الشارع). نحن في وضع حرج!

الزنجي: ماذا يفعلون؟

ليزي: وضعوا دوريات عند طرفي الشارع وأخذوا يفتّشون المنازل كلّها. لقد كنتَ بحاجة ماسّة للحضور إلى هنا! لا بدّ أن يكون أحدهم قد شاهدك وأنت تدخل الشارع. (تنظر من جديد). هاك. جاء دورنا. لقد صعدوا.

الزنجي: كم يبلغ عددهم.

ليزي : خمسة أو ستة. أمّا الآخرون فينتظرون في الأسفل. (تعود إليه). لا ترتعد. لا ترتعد، عليك اللعنة! (هنيهة، تقول لسوارها). أيّها الثعبان القذر. (ترمي السوار أرضاً وتطأه). يا للنجاسة! (تقول للزنجي). كنتَ حقاً بحاجة للحضول إلى هنا. (ينهض ويهمّ بالإنصراف). إبقَ. إن تخرج ينتهِ أمرك.

الزنجي : أقصد السطوح.

ليزي : وضوء القمر؟ بوسعك أن تصعد إن كانت تحدوكَ الرغبة في أن تُمْسي دريئةً لهم. (هنيهة). فلننتظر. عليهم تفتيش طابقين حتى يصلوا إلينا. قلت لك لا ترتعد. (الصمت يطول. تذرع الغرفة طولاً وعرضاً. يلبث الزنجي مسحوقاً فوق كرسيه). أليس لديك سلاح؟

الزنجي : آه! كلا.

ليزي : طيّب.

(تفتش في دُرج وتخرج منه مسدساً).

الزنجي : ماذا تنوين أن تفعلي، يا سيدتي؟

ليزي : سأفتح لهم الباب وأدعوهم للدخول. فمنذ خمسة وعشرين عاماً وهم يغشّونني بأمّهاتهم العجائز ذوات

الشعور البيض، وبأبطال الحرب والأمّة الأميركية. لكنّي فهمت. ولن ينالوني حتى النهاية. سأفتح الباب وأقول لهم: «إنّه هنا. إنّه هنا لكنّه لم يرتكب ذنباً. وقد أخذوا منّي شهادة مزوّرة. أقسم بالله إنّه لم يرتكب ذنباً».

الزنجي: لن يصدّقوك.

ليزي: ذلك ممكن. من الممكن أن لا يصدّقوني: عندئذ تصوب المسدس إليهم. فإن لم ينصرفوا أطلقتَ عليهم النار.

الزنجي: سيأتي آخرون غيرهم.

ليزي: سوف تطلق على الآخرين أيضاً. وحاول، إذا ما رأيت ابن السيناتور، أن لا تخطئه، لأنّه هو الذي دبّر العملية برمّتها. نحن محاصران، أليس كذلك؟ هذه على كلّ حال نهاية حكايتنا، فاسمع كلامي. لأنهم إذا ما عثروا عليك عندي فلن يوفّروني أبداً. لا بأس إذاً من القضاء مع أكبر مجموعة ممكنة. (تُقدِّم المسدس إليه). خذه! قلت لك خذه.

الزنجي: لا أستطيع يا سيدتي.

ليزي: ماذا؟

الزنجي: لا أستطيع إطلاق النار على بيض.

ليزي: حقاً! ألا كم سيأبهون بذلك!

الزنجي: إنّهم بيض، يا سيدتي.

ليزي: وماذا بعد؟ ما داموا بيضاً فإنّ لهم الحق في أن يذبحوك كالخنزير؟

الزنجي: إنهم بيض.

ليزي: يا أبله! إليك عني، فأنت تشبهني، أنت ساذج وأبله مثلي. أخيراً، مادام كلّ واحد موافقاً. . .

الزنجي: لماذا لا تطلقين أنتِ النار، يا سيّدتي؟

ليزي: قلت لك إنني بلهاء. (يُسمع وقع خطى فوق الدرج). ها هم. (ضحكة قصيرة). شكلنا لا بأس به. (هنيهة). امض إلى دورة المياه. لا تتحرّك. والتقط أنفاسك.

(يطيع الزنجي الأمر، وليزي تنتظر. يرنّ الجرس. ترسم إشارة الصليب وتلتقط السوار وتمضي فتفتح. يظهر رجال يحملون بنادق).

المشهد الثالث

ليزي . ثلاثة رجال

الرجل الأول: نحن نبحث عن زنجي .

ليزي: أيّ زنجي؟

الرجل الأول : ذلك الذي اغتصب امرأة في القطار وجَرَحَ ابنَ أخت السيناتور بطعنة من موسى .

ليزي: عليه اللعنة . ولكن لا ينبغي البحث عنه في بيتي . (هنيهة) . يبدو أنّكم لم تعرفوني؟

الرجل الثاني: بلى ، بلى، بلى . رأيتكِ نازلة من القطار أوّل أمس .

ليزي: ذلك أنه اغتصبني أنا ، كما تلاحظون . (هرج ومرج، ينظرون إليها بعيون ملؤها الذهول والرّغبة وشيء من الرهبة . فيتراجعون بعض الشيء) . وإذا ما جاء فسوف أُذيقه طعم الموت من هذه الفوهة .

(يضحكون)

رجل: ألست راغبة في رؤيته أثناء الشنق؟

ليزي: تعالوا خذوني حين تعثرون عليه .

رجل : لن يطول بنا ذلك ، يا حلوتي : نحن نعرف أنّه مختبئ في هذا الشارع .

ليزي : ليكن النصر حليفكم .

(يخرجون . تغلق الباب . وتتوجّه لتضع المسدس على الطاولة) .

المشهد الرابع

ليزي ، ثم الزنجي

ليزي : بوسعك أن تخرج . (يخرج الزنجي فيركع ويقبّل ذيل ثوبها) . قلت لك أن لا تمسّني . (تنظر إليه) . لا بدّ أن تكون شخصاً غريب الأطوار حتى تَجِدَّ المدينةُ كلّها في إثرك .

الزنجي : لم أفعل شيئاً قط ، يا سيدتي ، وأنت تعرفين ذلك حقّ المعرفة .

ليزي : يقولون إنّ الزنجي يكون قد فعل شيئاً بصورة دائمة .

الزنجي : لم أرتكب ذنباً البتة . البتة . البتة .

ليزي (تمسح جبهتها بكفها) : أكاد أُجنّ . (هنيهة) . مهما يكن من أمر ، فإنّ مدينة بحالها ، لا يمكن أن تكون على ضلال . (هنيهة) . اللعنة . تشوّشت أفكاري .

الزنجي: هكذا الحال، يا سيدتي. هكذا الحال دوما مع البيض.

ليزي: أتشعر، أنت أيضا، أنّك مذنب؟

الزنجي: أجل يا سيدتي.

ليزي: ومع ذلك فأنت لم ترتكب ذنباً؟

الزنجي: كلا، يا سيدتي.

ليزي: لكن ما الذي فعلوه حتى تجدنا مؤيّدين لهم على الدوام؟

الزنجي: إنّهم بيض.

ليزي: وأنا أيضا بيضاء. (هنيهة. وقع خطى خارجاً). ها هم ينزلون. (تقترب منه لا إرادياً. إنّه يرتعد، لكنه يطوّق كتفيها بيده. يخفّ وقع الخطى. صمت). (تفلت منه على نحو مباغت). آه، هل ترى؟ كم نحن في عزلة؟ إنّنا أشبه بيتيمين. (يرنّ الجرس. يصغيان بصمت. يرنّ أيضاً). هيّا إلى دورة المياه، بسرعة.

(خبط على باب المدخل. الزنجي يختبئ. تذهب ليزي فتفتح).

المشهد الخامس
فْريدْ. ليزي

ليزي: هل جننت؟ لمَ تخبط على بابي؟ كلا، لن تدخل، فقد نالتني مصائب كثيرة من جرّائك. هيّا انصرف، هيّا انصرف، أيّها النذل، هيّا انصرف! انصرف! (يدفعها، فيغلق الباب ويمسك بها من كتفيها. صمت طويل).
وماذا بعد؟.

فْريدْ: أنتِ الشيطان.

ليزي: أمن أجل أن تقول لي ذلك، كنتَ عازماً على أن تخرق بابي؟ في أيّة هيئةٍ أنت؟ من أين أتيت؟ (هنيهة).
أجب.

فْريدْ: أمسكوا زنجياً. لم يكن هو المطلوب. لكنّهم قضوا عليه رغم ذلك.

ليزي: وبعد؟

فْريدْ: كنتُ وإيّاهم.

(ليزي تصفر).

ليزي: فهمت. (هنيهة). من الواضح أنّ مشهد القضاء على زنجي يترك عليك أطيب الأثر.

فريد: إنّني أشتهيك.

ليزي: ماذا؟

فريد: أنتِ الشيطان! لقد سَحَرْتِني. كنتُ وسطهم، حاملاً مسدساً بيدي، والزنجي يتدلّى متأرجحاً من أحد الأغصان. فنظرت إليه ومرّ بذهني خاطر: إنّني أشتهيها. وهذا ليس بالأمر العادي.

ليزي: اتركني. قلت لك أن تتركني.

فريد: فما حقيقة هذا الأمر؟ ماذا فعلتِ بي، أيّتها الساحرة؟ كنت أنظر إلى الزنجي فرأيتك. رأيتك تتأرجحين فوق ألسنة اللهب. فأطلقت النار.

ليزي: يا حثالة! دعني! دعني! أنتَ قاتل.

فريد: ماذا فعلتِ بي؟ أنت لاصقة بي مثلما تلتصق بلثّتي أسناني. كيفما تلفّتُّ أراك، أرى بطنك القذر الشرير، وأشمُّ رائحتك في كفَّيَّ. رائحتك في خياشيمي. فهرعت إلى هنا من غير أن أعرف إن كنت قادماً لكي أقتلكِ أو لكي آخذك عنوة. الآن بتّ أعرف. (يرخيها على نحو مباغت). لا يسعني رغم ذلك أن أدانَ من أجل عاهرة. (يعود إليها). أصحيح ما قلتهِ لي هذا الصباح؟

ليزي: ماذا؟

فريدْ: إنّني حققّتُ لك المتعة؟

ليزي: دعني وشأني.

فريدْ: أقسمي على أنّ ذلك صحيح. أقسمي! (يلوي معصمها. تسمع ضجة في دورة المياة). ما هذا؟ (يصغي). أيوجد أحد هنا؟

ليزي: هل جننت. لا أحد.

فريدْ: بلى. في دورة المياه.

(يمشي صوب دورة المياه).

ليزي: لن تدخل.

فريدْ: يبدو واضحاً أنّ أحدهم هنا.

ليزي: هذا زبوني اليوم. إنّه رجل يدفع. هاك. هل طاب خاطرك.

فريدْ: زبون؟ لن يكون لك زبون بعد اليوم. أبداً. أنتِ لي. (هنيهة). أريد أن أرى وجهه. (يصيح). أخرج من هنا!

ليزي (صارخة)**:** لا تخرج. ستقع في الفخ.

فريدْ: يا ابنة القحبة الملعونة. (يزيحها بعنف. ويقترب من الباب ويفتحه فيخرج الزنجي). أهذا هو زبونك؟

ليزي: آخفيته لأنّهم كانوا يريدون إلحاق الأذى به. لا تطلقِ النار، فأنت تعرف حقّ المعرفة أنّه بريء.

(يسحب فْريدْ مسدسه. ينطلق الزنجي على نحو مباغت فيدفعه ويولّي هارباً. يجري فريد وراءه. تمضي ليزي حتى باب المدخل الذي خرجا منه وتأخذ بالصراخ).

ليزي: إنّه بريء! إنّه بريء! (يسمع صوت طلقتين. فترجع متجّهمة الوجه. تتجه إلى الطاولة فتأخذ المسدس. يعود فْريدْ. تستدير صوبه وظهرها إلى الجمهور وهي تمسك بالمسدس من وراء ظهرها. يرمي فْريدْ بمسدسه فوق الطاولة). ماذا، هل نِلتهُم؟ (فريد لا يرد). طيّب. طيّب. أما الآن فقد جاء دورك. (تصوّب المسدس إليه).

فْريدْ: يا ليزي. لي أمّ.

ليزي: أغلق فمك! سبق أن خدعوني بنفس الطريقة.

فْريدْ (يمشي نحوها ببطء): لقد قام كلارك الأول بمفرده، باستصلاح غابة بحالها. وقتل ستة عشر هندياً بيده قبل آن يقضي في كمين. أما ابنه فقد بنى هذه المدينة كلّها تقريباً. كان يخاطب واشنطن دونما كلفة ومات فوق أرض يوركتاون من أجل استقلال الولايات المتحدة.

أبو جدّي كان زعيم جماعة «الساهرين». وقد أنقذ اثنين وعشرين شخصا أثناء حريق سان فرانسيسكو الكبير. أما جدّي فقد رجع ليقيم هنا وعمل على شقّ قناة الميسيسبي وكان حاكماً للولاية. والدي عضو في مجلس الشيوخ، وأنا سأغدو عضواً من بعده: أنا وريثه الذكر الوحيد وآخر فرد في سلالتي. نحن صنعنا هذا البلد، وتاريخه تاريخنا. وقد توزّع أفراد آل كلارك ما بين الألاسكا والفيلبين ونيومكسيكو. فهل تجرئين على إطلاق النار على أميركا كلّها؟

ليزي: إن تقدَّمت َكوَّمتُكَ.

فريد: أطلقي النار! هيّا أطلقي! أنتِ تلاحظين أنّك لا تستطيعين. إنّ فتاة مثلك لا تستطيع إطلاق النار على رجل مثلي. من أنتِ؟ وماذا تفعلين في هذا العالم؟ هل عرفت لك جداً على الأقل؟ أما أنا، فلي الحق في الحياة: هناك أشياء كثيرة عليّ أن أُباشرها، والناس ينتظرونني. ناوليني هذا المسدس. (تناوله إيّاه فيضعه في جيبه). أما بشأن الزنجي فهو فائق السرعة في الجري: لقد أخطأته. (هنيهة. يطوّق كتفيها بذراعيه). سوف آخذك لتقيمي فوق الرابية، على الجانب الآخر

من النهر، في منزل جميل وسط حديقة شاسعة. سوف تتجولين في الحديقة، لكنني أمنعك من الخروج: فأنا شديد الغيرة. سأجيء للقائك مع حلول الظلام، ثلاث مرات في الأسبوع: الثلاثاء والخميس ويوم العطلة الأسبوعية. سيقوم على خدمتك عدد من الزنوج وسوف تحصلين على المال أكثر مما راود أحلامك بكثير. لكن عليك الامتثال لكافة نزواتي. ولديّ منها الكثير! (تستسلم أكثر لاحتواء ذراعيه). أصحيح أنّي حققت لك المتعة؟ أجيبي. أهذا صحيح؟

ليزي (بلهجة إرهاق): أجل، هذا صحيح.

فْريدْ (وهو يربّت على خدّها): هلّمي بنا، فالأمور كلّها عادت إلى نصابها. (هنيهة). إسمي: فْريدْ.

ستـــار

الفهرس

٢٠٠٠ ط١/ ٥/ ١٩٩٨

طُبِعَ في مَطَابِع وزارة الثَّقافة

دِمَشق ١٩٩٨

سعر النُّسخة داخل القُطر

٢٢٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٤٥٠ ل.س